

حورية فى السجن

مؤسسة يسطرون للطباعة والنشر والتوزيع



رئيس مجلس الإدارة

عماد سالم

المدير العام

أحمد فؤاد الهادي

مدير الإنتاج

أحمد عبد الحليم

الطبعة الأولى

الكتاب : حورية في السجن

المؤلف : محمد شوقي أبو ذكري

تصنيف الكتاب : رواية

تصميم وإخراج : محمد أسامة

المقاس ٢٠ × ١٤

رقم الإيداع : ٢٣٢٤٣ / ٢٠١٧

الترقيم الدولي : 9 - 529 - 776 - 977 - 978

العنوان : المكتبة والطبعة : ٣ ش صفوت - محطة الطبعة شارع الملك فيصل - الجيزة

التليفون : ٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩ - ٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢

Email : yastoron@gmail.com

موقعنا على الفيس بوك : مؤسسة يسطرون لطباعة وتوزيع الكتب

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

حورية في السجن

رواية

محمد شوقي أبو ذكري

الإهداء

إلى- من ربا فأحسنا، وصبرا فما جزعا، فكانا خير عون لخير طريق.

..... أمي..... وأبي.....

إلى- الثائرة الحرة، رمز الصمود وزهرة الأمل.... حوريتي.

..... زوجتي الحبيبة

إلى- الأحرار خلف القضبان، من سطروا بحروفهم أروع الملاحم

في الثبات.

..... ثواريناير.....

إلى- أصحاب الدماء الذكية، التي طهرت تراب الوطن من دنس

الأوغاد.

..... شهداء الحرية.....

إلى- قارئ هذه الرواية، المستبطين من بين حروفها الحق

والصواب، من سيحكمون عليها وقيمونها وهم خارج الدائرة.

..... حملة مشاعل التنوير.....

انتبه من فضلك

قبل أن تقرأ...

أيا كان فريقك، لا تحكم عليّ من سطوري الأولى.
انتظر.. حتى حريفي الأخير، ربما تغير فكرتك عني تماما..

هل يوجد شيء أكثر من الخطر يمكن أن يحفز إبداعنا؟!
هل هناك شيء يمكن أن يهدد إبداعنا أكثر من الخطر؟!

د/ نوال السعداوي

المقدمة

جذبها بقوة من يدها وهي تركض نحو الباب هاربة، فاختل توازنها وسقطت حقيبتها، في الوقت الذي تشبثت فيه بهاتفها تستمد منه النجدة..!

حاولت أن تفلت من يديه، لكنه قبض على عضديها وقربها إليه بشدة لاهثاً كالكلب الذي انقض للتو على فريسته..!

حاولت دفعه صارخةً.. فباءت كل المحاولات بالفشل..

كلما اقترب برأسه منها إبتعدت هي برأسها، وهي تتلوى بين قبضتيه تريد الفرار..

فجأة دفعها بإتجاه الحائط مطوحاً برأسه نظارتها، التي تركتها وحيدة وطارَت في الهواء.. ثم سُمع صوت إرتطامها في الأرض؛ أصبحت الرؤية باهتة أمام عينيها، فشعرت بدوران خفيف، سقطت على إثره أرضاً مسلمة نفسها للقدر!

دلدل لسانه فرحاً بنشوة الانتصار..

الفريسة مهدودة أمامه..!

لا تحرك ساكناً..

لمع في عينيه المستذئبتين إحمرار وجنيته البريئتين... فتحسسها بأطراف أصابعه.. حتى وصل للشفتين الصامتتين فخيّل له أن صمتها

علامة رضا تقول: «أفعل ما تشاء .. أنا هيت لك >>

نزع سترته مسرعاً، وأحكم هذه المرة جسدها بين قدميه، ثم ارتكز على ركبتيه، ومال للأمام مستنداً على ذراعيه بعد أن ثبتهما على أبواب قلعتها الحصينة، استعداداً للاقتحام. لكم تمنى هذه اللحظات؟! رأى محمد من خلف الستارة ما حدث، وإنها ذهبت لعالم آخر! غير مدركة..

اقتحم عليهما المكان مبتسماً يقتله الشوق أن يرى هذا الفيلم المثير الذي بدأ عرضه .

كان الكلب منهمك مع فريسته لم يشعر بالواقف بجواره متلهفاً، ومثبتاً عدسة كاميرا هاتفه على العرض الحصري..
ما زال الكلب شاهراً لسانه وأطرافه..
يريد أن يطيل متعته ما قبل الاقتحام..
يتأملها من كافة جوانبها..

تحسس وجهها النائم بأطراف أصابعه ماراً فوق قسماتها البريئة ببطئ متعمد، قرب أنفه واستنشق عطرها قبل أن ينهشها بأسنانه..
غير عابئ بشئ ..

فهو الآن يسبح في بحر الخطيئة ..

زين له شيطانه أنها امرأة خضعت لأمره هامة بعد أن أرهقت من رقصة الوداع!..

لم يفكر في عاقبة وطئ الموتى!..

بل كفر هذه اللحظة بالموت...
كفر بكل شئ راعياً ساجداً لهواه..!
أحس أنه أطال التأمل والشم فأمسك طرفاً سترتها مباعداً بينهما..
وممزقاً!

حتى تراءت أمامه قلعتها..!
تراءت من الداخل ينيها مصباحان معلقان، يستمدا وقودهما من
ريح الجنة..!
زاغت عينيه من نورهما، فسال لعبه حتى سقطت قطرات منه على
شعلتهما

فبهت نورهما للحظات..! حتى أزالنا نارهما الوسخ..!
فمزق الحصون وهدم القلاع والأبراج..
وانكب عليهما دافئاً رأسه في الشق بين الشديين..
مستمعاً لقلب ينبض صارخاً..
» لقد حييت بالرحمة وملئت بالخوف على حياة الآخرين.. فمن
ليا الآن ينقذني من بين ثنايا هذا الكلب الأحمق..«

الفصل الأول

(ألم شديد)

الثلاثاء ٢٠١٦/٩/٦ - الثانية صباحا.

زنزانة ٧ - عنبرج - سجن وادي النطرون

وضع يده على خده ليخفف من الألم. أيقظه من النوم. ألم لا يقاوم.
ذاك الألم من وجع الضرس. نار مشتعلة، تحدث عندما يتوغل السوس
في جدار الضرس، كأنه في أرضه خاصته لا يراعي حرمة حدود أو
جدران. ما إن يصل إلى مراده، العصب. تشتعل كافة الحواس من شدة
الألم.. كأنها تقاوم نارا أحرقت فيها للتو! حاول أن يداعب خده بيده
عله يذهب، أو تقل حدته، لكن لا جدوى. يقف.. يجلس.. ينام.. يتحرك..
يتمضض بماء فاتر.. أقسم أن لا يذهب!!!

دارت الأفكار في عقله.. ماذا لو طال هذا الألم طوال فترة
السجن؟! ماذا سيصنع؟! لا توجد هنا أدوية أو إمكانيات ليشفى من
وجعه!! حتى أن وجد حلا مؤقت لا بد وأن ينتظر للصباح، حتى يفتح باب
زنزانتة للتريض ويحاول الذهاب إلى مستشفى السجن - كما يسمونها -
والحقيقة هي ليست مستشفى بل سجن صغير.. مغلقة الأبواب والنوافذ
بالشبكات الحديدية، طيبب برتبة سجان، ما عرف الرحمة!! بل ما
عرف من أدوية الأمراض سوى المسكنات، التي يحصل عليها السجنين

هي الأخرى بصعوبة بالغة، ظننا منهم أنه يتعاطاها لا يأخذها بغرض الشفاء، كما أنه يتعامل مع كافة المرضى والأمراض بنفس الطريقة كلاما وفعلا.. ومع ذلك الوصول للمستشفى شبه مستحيل، وإن نجح فالوصول للطبيب كمن يعبر المانش وهو لا يعرف العموم، يبدو أنه وقع مع من لا يرحم!!!

تسللت دمعة من عينه على خده محاولة تخدير الألم!! تذكر ماضيه وحاضره وفكر في مستقبله..

إنه حسن الحداد، السجين السياسي، المحكوم عليه بالسجن لمدة ثلاث سنوات بتهمة التظاهر وإثارة الشغب ومحاولة قلب نظام الحكم!! ويقضي مدة العقوبة بالسجن المشدد بوادي النطرون..

هو المهندس حديث التخرج دفعه قدره إلى غياهب السجون، عندما نزل إلى الشارع مطالبا بحقه في العيش الكريم والعدالة!! العدالة ذاك المصطلح الذي لا يوجد في قاموس حكام البلاد.. لا يعرفونها.. ولا يعرفون حتى حروفها.. ولا تسأل لماذا!! لأن الإجابة هي من دفعت حسن للسجن!! لم يختلف حلمه عن كثير من أقرانه.. حلم بسيط، أن يتخرج من كليته ويكون مهندسا نافعا لأهله وبلده.. وإن قلت أن بلده ما استحققت يوما تضحيات من أحد!! فلك أن ترضي بنصف الجملة.. نافعا لأهله.. تلك الأسرة الفقيرة التي أكلت التراب حتى تربيته، وتعلمه، في انتظار يوم سيأتي ليصرف هو عليهم ويرد لهم الجميل.. حسرة كان نصف الجملة الثاني.. بلده.. من قضى على الأول!! فبدل من أن تكون بلده مقبرة للغزاه، كانت مقبرة لأبنائها وغنيمة رائجة لأبنائهم هم يتقاسموها وقتما شاءوا وكيفما شاءوا!!

الفصل الثاني

(عم مبروك)

غلبه النوم بعدما انتصر على ألمه، وفي الصباح، وأثناء التريض طلب من السجن عرضة على الطبيب!! أبى في البداية.. ولكنه لم ييأس. ووضع في يده (بون) - ورقة ذات قيمة نقدية عشرة جنيهات- لأن الأوراق النقدية ممنوع تداولها أو حملها داخل السجن، حتى لا يستخدمها السجن لرشوة السجن!! كأن السجن عاجز لأخذ البون واستبداله من كافيتريا السجن؟! حاول حسن أكثر من مرة أن يسأل عن سبب منع النقود داخل السجن، فكانت الإجابة في كل مرة مختلفة عن سابقتها، إلى أن وصل لسبب أقنعه، الفلوس ممنوعة هنا لعزل السجن نهائياً عن مظاهر الحياة الخارجية بقصد إذلاله!! نعم إذلاله!!

تركه السجن، الشاويش مبروك، رجل أربعيني خط وجهه بشنب يتباها به، ربما حرم من شعر رأسه لينبت في وجهه. له كرش كبلونة بلغت مداها وعلى وشك الانفجار. يرتدي بذلة عسكرية وباريه عسكري يستمد منه قوة وجبروت ترهب كل من يراه من السجناء. يحمل عصا يستخدمها عند اللزوم بضربات على جسد من عصي الأوامر أو أراد أن ينافسه سطوته وجبروته.

عاد بعد أن أخذ له الإذن من الضابط المكلف بالخروج للمستشفى..

وصل حسن للمستشفى بصحبة الشاويش وانتظر أمام الباب الذي
علاه لافتته مكتوب عليها (طبيب الأسنان) وبجوارها علقت لوحة
بعنوان (إرشادات بعد خلع الضرس) انشغل حسن بقراءة اللوحة، ربما
احتاجها بعد خلع ضرسه. بينما أشعل الشاويش سيجارته وبدأ ينفث
دخانه تحت لوحة إرشادية «ممنوع التدخين نهائياً»

الفصل الثالث

(الحوارية)

مستشفى السجن

خرج الممرض من الحجرة. عذرا في الحقيقة هو ليس ممرض!! ولا مساعد طبيب!! وإنما هو أحد السجناء الجنائيين، قد صنعته إدارة السجن ليعمل (مسيرا) داخل المستشفى. وعوامل اختياره- حسن المظهر والسمعة، ليس له سابقة تعاطي حبوب مخدرة، وغيرها. غالبا معظم الأعمال داخل السجن تتم بأيادي عاملة مصنعة من داخل عنابر السجناء. إلا في الأعمال الحساسة كالقيادية والإدارية يقوم عليها موظفين مدنيين..

استلم التذكرة الخاصة بحسن، المدون عليها الاسم والعنبر والتهمة من الشاويش وتفحصها بسرعة.. أخذها ودخل غرفة الطبيب مرة أخرى. أغلق الباب. ألم أخبرك في السابق أن الوصول للطبيب أمر شبه مستحيل!! لكن حسن مازال يحمل في صدره أمل الدخول، وربما حمل الإصرار على استكمال الطريق لآخره، لأنه لا يتحمل أن يفلق عليه باب الزنزانة اليوم دون وجود حل لضرسه. دقائق. وخرج المسير ورد البطاقة للشاويش قائلا-

- الدكتور يقول ده عنبر ج ودوره مش النهارده.. الدور النهارده دور

عنبر أ، ب!

تغير لونه فور سماع الكلام، اقترب من الشاويش الذي قابله قائلاً -
-انت سمعت الكلام طبعاً..ممكن نمشي ونبقى نيجي بكرة في
ميعاد عنبرج.

حاول حسن إقناعه مرة أخرى ليتوسط له عند الطبيب، ولكن لا
جدوي هذه المرة.فرغ صوته مردفاً -

-أنا مش هاتحرك من هنا غير لما أدخل للدكتور.. أنا بموت من
الألم.

اقترب منه وقبض على عضديه-

-شكك كده ناوي تدخل التأديب النهارده.

رن صوتهما بين جدران المستشفى المغطاة بالرخام، بدأ مبروك
ينهره بقوة ويسبهه بألفاظ نابية،وحسن مازال مصراً ألا يتحرك من
مكانه.فكل ما يحدث الآن أهون بكثير من ألم ضرسه ليلاً..

فجأة فتح باب الغرفة وخرجت منه فتاة هادئة الملامح، تحمل بين
قسماط وجهها الرحمة والرضا، ترتدي سترة بيضاء، ونظارة طبية
زادتها وقاراً، عكست على عدستها لون عينيها الخضروين.

رمقها حسن باستغراب! أيوجد بين مرده الشياطين حورية؟! كيف
أتت إلى هنا وكيف هربت من الجنة؟! ما كان يتوقع يوماً أن يكون طبيب
الأسنان داخل السجن امرأة!وأى امرأة؟! كان يظننه طبيب رجلاً لا
يختلف كثيراً عن السجنان وإن أظهر بعض العلم أو الأناقة..

أخرجه من شروده صوتها الرقيق وهي تزعق في الشاويش-

- في إيه؟.. بتزق كده ليه؟.. هنا مستشفى مش عنبر.. وبعدين الألفاظ اللي قلتها دي هيكون ليا تصرف تاني عند رئيس المباحث. امتعض وجهه ووقف أمامها مطأطأ رأسه خجلاً وخوفاً من مواجهتها-

-معلش يا دكتورة.. انتي عارفة الأشكال دي مش بتيجي غير بكده. استغل حسن رهبة مبروك واضطرابه أمامها خصوصاً بعد أن هدده بإبلاغ رئيس الباحث فتدخل موجهها كلامه للطبيبة :

- حضرتك أنا تعبان جداً.. وضرسى بي موتتي بالليل.. ودلوقتي الشاويش قالي مش دورنا النهارده.. هو أنا هقول للآلم متجيش غير في دورنا.. يافندم الأدوية هنا ممنوعة ومفيش حل غير عند حضرتك. نظرت إليه بعينين تسارعت رموشهما صعوداً وهبوطاً من خلف النظارة فسألت-

-انت عنبر كام؟

بنبرة هادئة وقورة أجاب:

-عنبر ج سياسي.

أشارت للميسر بيدها:

-التذكرة بتعته فين؟

ناولها التذكرة فتفحصتها بسرعة ثم قالت وهي تومئ برأسها تجاهه متحركة باتجاه الغرفة:

-تعالى.

ظهرت علامات البشر على وجه حسن وتبعها للداخل وظل الشاويش مع المسير خارج الغرفة، كانت قد أخبرت الأخير في السابق أن لا يدخل أثناء الكشف إن كان المريض سياسي، أما السجين الجنائي فلا بد أن يصاحبها لأنها لا تأمن على نفسها مع المجرمين وتجار المخدرات والقتلة.

الفصل الرابع

«مش عارف جابوهالنا منين؟! بكرة تقوي المساجين علينا!! السجون باظت يا جدعان»

كان هذا صوت الشاويش، الذي نثت غضبه في سيجارته الأجنبي، أعطاهما له المسير ليهداً من روعه وغضبه في نفس الوقت. أردف المسير موسوسا:

-وكم ان بتعامل السياسي معاملة خاصة.. هو مش كلنا مساجين ولا ايه؟! ومن ساعة ما جت والمصالح وقفت!!

كلمة نبهت الشاويش من شروده فلطمه:

مصالح ايه يا ابن الكلب؟!!

بحركة تلقائية وضع المسير في يده عليه السجائر الأجنبي كاملة

-المصالح اللي بتنتفتح علونا كلنا..يعني هو أنا لوحدي اللي

باستفاد.. ما كله بيهيس!! ولا ايه يا حضرة البيااش شاويش.

دس مبروك العلبة في سترته، أنساه ملمسها ما حدث، لم يخرج

هباء في هذا المشوار لكن مازال حنقه تجاه الطيبية لم يخف بعد، لن

ينسي أنها أهانته أمام السجين، وأسقطت هيئته، وتوعدته بإخبار رئيس

المباحث بما حدث.

الفصل الخامس

(حل مؤقت)

حجرة طبيب الأسنان

وقف عاقدا ذراعيه أمام الطبيبة التي غيرت فكرته تماما عن مستشفى السجن وعن السجن ذاته.. سؤال واحد يدور بداخله ويتكرر كل لحظة، ما الذي دفع بفتاه كهذه، جميلة، طيبة، وقورة، أن توافق للعمل في هذا المكان بين المجرمين والقتلة؟! ربما هي وحدها من تملك إجابة هذا السؤال!! أمسكت بقلمها لتدون في دفترها بيانات الكشف.. سألته بعد أن كتبت البيانات الأساسية من التذكرة:

-بتشتكي من إيه يا.....؟!!

نظرت للتذكرة لتحصل على الاسم فأجاب:

-اسمي حسن الحداد.

وقع الاسم لم يكن غريب عليها على الرغم من أنها كتبت منذ لحظات في دفترها، إلا أن الاسم قد سمعته من قبل في مكان ما؟! لم تظهر ذلك أمامه فكرت عليه السؤال مرة أخرى:

-بتشتكي من إيه يا حسن؟!!

فتح فمه ووضع يده على مكان الوجع، كان يبعد عنها مسافة حوالى

متر ونصف..اشتكي

-ضرسى مفتوح من السوس وييجى بالليل يتعبني جدا وخصوصا بالليل بصحي من النوم كذا مرة بسببه وامبارح بالذات الوجع زاد جدا. ظهرت علامات الرأفة على وجهها وكذلك علامات العجز عن تقديم شئ ، السجن ومستشفاه معدات بدائية،لا ترقى لعمل أي ترميمات لعلاج الأسنان المصابة، أقصى ما تملكه هو الخلع فقط، حتى الخلع يكون بدون تخدير لأن محقنات التخدير غير موجودة بالكلية داخل المستشفى.

سألته عن ما بقى له من مدة الحبس.عله يكون خارج في القريب العاجل فتصححه بحلول مؤقتة كي لا يفقد ضرسه هباءا، وحينما يخرج من الممكن ترميمه وإصلاحه في الخارج.

- فضلك أد إيه وتخرج؟!

قال بصوت مستغرب لا يخلو من الاستنكار:

- أنا محكوم على بثلاث سنين، وقضيت منهم حوالى ست شهور يعني حوالى سنتين ونص على الخروج.

وقفت مكانها لإشعاره بأنه يهملها أمره وقالت مشفقة :

-بص يا حسن هنا مفيش غير الخلع، وبرده الخلع مش أمان أوي لأن التعقيم هنا مش كويس..فأنا هديك مسكن تاخذ منه ٢ مرات في اليوم.. وهحاول بس مش أكيد أعملك حل مؤقت لحد ما تخرج بالسلامة إن شاء الله.

ظهرت علامات اليأس عليه ثم أردف:

- بس علشان أجي العيادة لحضرتك مشوار شبه مستحيل، وكمان المسكن أكيد هايخلص.

انحنت على مكتبها وكتبت شيئاً في ورقة أمامها. ثم مدت يدها على امتدادها قائلة:

- دي ورقة فيها إعادة كشف هتديها للشاويش يوم الخميس القادم وتقوله أنا عندي إعادة كشف مع الدكتورة هبه هيحيبك على طول.

تردد اسمها بداخله، فهي هبه حقا من الله وهبها الله لنجدته من الشاويش ومن الألم. لكن هذا لم يكفي، النظام هنا معقد.. الشاويش ربما قطع الورقة لو أعطاها له، وتحجج بعدم وجود الطبيب في هذا الوقت.. سريعا أوجد الحل، فطلب في خجل وتوسل:

- طيب ممكن حضرتك تبعتي للعنبر اسمي وهما يندهولي..لأنني مش هعرف أوصل هنا تاني..أنا عارف إني مينفضش أطلب من حضرتك حاجة بس توسمت فيكي الخير وحسيت إنك فعلا عاوزه تساعديني.

ارتسمت بسمة على شفيتها أبانت ثغرها البراق وأسنانها التي شدته وجعلته يقول في داخله (يا بختها..سنانها مية مية)..ثم أردفت مشفقة:

-ماشي إن شاء الله أول ما أجي يوم الخميس هبعثلك تيجي!! أي حاجة تاني؟!

اتسع بؤبو عينيه فرحا:

-لا شكرا.. مش عارف أشكر حضرتك إزاي..ربنا ينجيكي من أيدي الظالمين!!

على الرغم من أن دعوته أثارته دهشتها إلا أنها لم تعلق وأشارت له بالإنصراف.

الفصل السادس

(الوالد الأديب)

الرابعة عصرا

مدينة السادات

عادت هبة إلى بيتها الواقع على بعد كيلومترات من السجن في مدينة السادات، حيث تقطن في شقة والدها الكائنة في قلب هذه المدينة، تصل يوميا، متعبة الجسد من عناء العمل، فهي تكشف في اليوم الواحد على ما لا يقل عن مائة سجين، وإن كان يزيد عن ذلك..

لك أن تتخيل أصناف البشر الذين تتعامل معهم هبة، وإن كان يشعرها بكونها طيبة، ذلك السجن السياسي صاحب الفكر والرأى الذي يتعامل برقي ووقار ويحمل كثيرا منها في ملامحه وكلامه وأسلوبه، ولما لا وهو إما مهندس أو طبيب مثلها قاداته ثورته ووقوفه في وجه الظالم إلى السجن، ولكن على الرغم من ذلك فهي لا تري ولا تتعامل مع السجناء السياسيين إلا مرات قليلة جدا طوال الشهر، لأنهم في إدارة السجن يمنعوهم من الوصول للمستشفى من الأساس!! يخافون منهم في الخارج والداخل! ربما قابل أحدهم أحد السجناء الجنائيين وبث سم أفكاره في عقله فانقلب السجن رأسا على عقب!! أو حرض أحدهم على الإضراب بسبب عدم أخذ حقه في الطعام أو الدواء أو الكساء!! فيتحاشون الإختلاط بين السجناء الجنائيين وبين السياسيين..

وضعت هبة مفتاح الشقة في مزلاق الباب.. لا تريد إزعاج والدها، فهو في هذا التوقيت يجلس في مكتبته بين كتبه يقرأ ويكتب ويدون كل ما شد انتباهه، فمن يوم أن ماتت زوجته أم هبة، قرر العودة من غربته، حيث كان يعمل مهندسا مدنيا في دولة الكويت. قرر أيضا إحياء موهبة قديمة كثيرا ما أحبها وهي

القراءة، وورثته ثراء فكري وأدبي دفعه إلى كتابة الشعر والنثر والقصص القصيرة، والآن أصبح له اسم كبير يتردد بانتظام على أسنة المبدعين والمفكرين وفي صالونات ونوادي الفكر والسياسة في مصر..

على أطراف أصابعها تسللت حتى دخلت مكتبته، ودون أن يشعر لفت وراءه ثم طبعت قبلة على خده جعلته ينتبه لمجيئها، فترك القلم وطبع قبلة على يدها فقالت بدلال -

- ايه ده يا بابا أنا فتحت باب الشقة ودخلت وبعدين دخلت المكتب ولفيت من ورا المكتب وحضرتك في عالم تاني.. دا أنا كده أقلق عليك بقى..!!

ابتسم.

- انتي عاوزه حد يكون بيقراً رواية (لدان براون) وياخد باله مين اللي دخل ومين اللي خرج دا أصلاً بيكون تايه جوه الرواية!!!
قطبت جبينها لأعلى مردفة:

- يعني أنا جاية من أرض العجائب علشان تسمعني عجائب شفيرات

دان براون.. في إيه يا بابا؟! وبعدين كنت ولا لسه؟!

- لسه كنت مستيكي لما تيجي!! هو أنا أقدر أكل من غيرك يا هوبا؟!
رفعت حاجبيها شاكة ثم قالت بدلال:

- أشك في الكلام ده!! انت أكيد ماكلتش لأنك بتاكل في حته تانية خالص.. حته موجودة هناك في باريس في اللوفر!! صح ولا لأ؟!
انفجرت أساريه، لأن ابنته ولدت تعشق القراءة مثله ومن المؤكد أنها قرأت روايات دان براون كلها فقال وهو يغالب الضحك:

- طب خلاص علشان مش نضيع الوقت.. ممكن تروحي تجهزي دلوقتي الأكل وأول ما تخلصي نادي علي...!!
لوت شفيتها:

- وكمان بتطرديني يا بابا..! ماشي.. ماشي.. طيب ابقى شوف بقى مين اللي هيحكيك اللي حصل في السجن النهاردة.. ابقى خلي دان براون يجي يعرفك اللي حصل..

جرت قدماها مبطأة عله يعاندها ويترك ما في يده ويطلب منها أن تحكي له ما حدث، لكنه لم يفعل!! هذه عاداتها اليومية تحكي له ما حدث، كافة القصص الغريبة التي يستمع لها باهتمام ويدون بعضها في بعض الأحيان ليستمد منها فكرة رواية أو عنوان ومطلع قصيدة رومانتيكية.. لكن يبدو أنه هذه المرة في عالم الشفيرات....!!

دخلت غرفتها ورمت بحقيبتها على السرير ثم ارتمت بجوارها فاردة ذراعيها كنسر طائر سعد لتوه من أرض مبسوطة.. حدقت

بنظارتها في السقف الأبيض اللون، وأغلقت عينيها في حالة استرخاء
تنسيها ما حدث طول اليوم..شئ واحد لم تنساه..حام في عقلها وأرتمي
على طرف لسانها فجأة :

«حسن الحداد» نطقت الاسم دون أن تدري..!!

جلست على طرف السرير وكررت الاسم أكثر من مرة..خاطبت
عقلها..هذا الاسم ليس غريب عنها..! ربما قابلته من قبل..! وربما
حدثته..! وضعت يدها على جبهتها فاركة إياها برفق ربما تعيد لها
ذاكرتها مكان وزمان قابلت فيه هذا السجين..

الفصل السابع

(العنبر)

قبل ذلك بساعات

أوصل الشاويش حسن إلى عنبره بعد ما توعدّه بعقوبات متلاحقة، لأنه السبب فيما حدث له اليوم من الدكتوراة، فأل لا يبشر بخير، سيرفض خروجه مرة أخرى لإعادة الكشف، رمي به في الزنزانة رقم (٧) عنبر (ج)، خليط من كافة المذاهب والأحزاب والأفكار.

(عنبر السياسي) لافته سوداء تخبر الزائرين مهما كانوا أن هنا مقابر أصحاب العقول المستتيرة، لهم معاملة خاصة، وإجراءات أمنية مشددة تمنع أي تواصل بالخارج.

(الزنزانة) مكان لا يسمح للسجين فيه إلا بالنوم على جانبه، أمنيته التي لا يحصل عليها أبداً، أن ينام على ظهره..!! أما في أوضاع الجلوس فيجلس كل نزيل أمام الآخر ويتناوبا السند على الحائط كل عدة ساعات.

أسئلة تراوض خيال النزير الجديد فور دخوله هذا المكان الموحش، كيف يعيش كل هذا العدد في هذه المساحة الضيقة؟! كيف ينامون؟! يأكلون؟! يشربون؟! وكيف لحمام واحد أن يكفي كل هذا العدد من البشر؟! وكيف يتم عمل الأكل وطبخه في هذا الذي يسمى مطبخاً؟! كيف يأمن الإنسان على حياته في هذا عند إشعال السخانات الكهربائية

المخصصة لطهي الطعام؟! كيف لو أحرقت الزنزانة؟! ماذا لو حدث ماس كهربائي؟! كيف يصلون؟! أم أن هنا القبر ولا صلاة بعد الموت؟! أين منكر ونكير؟! أين الأقرع؟! ربما متنا شهداء ولم نحاسب؟! ألهذا وصف الشهيد بأنه حي لا يموت!..

دخل حسن مهمسكا بمسكناته، وجلس على فرشته التي تفصل بينه وبين الأرض بواسطة ثلاث بطاطين ميري، مطبقة على نفس المساحة المخصصة له بدون زيادة أو نقصان، فالسنتيمتر الزيادة هنا ربما طارت فيه رقاب وللأسف لا يختلف في ذلك بين مسجون سياسي أو مسجون جنائي!!

لم يروق له أحد في الزنزانة سوي صديقه إبراهيم، لأنه يشبهه في كثير من الأمور فضلا عن أنه صيدلي حديث التخرج وليس له أي أيديولوجيات فكرية متعصبة، فإبراهيم شاب في عقده الثالث متوسط الطول ممتلئ الجسد قليلا له صلعة مبكرة ويتمتع بخفة ظل يحسد عليها خصوصا في هذه الظروف وهذا المكان المعتم.

– عملت ايه يا حسن في المستشفى؟!

سأله إبراهيم بنبرة بائسة فهو يعلم إمكانيات المكان وظروفه.

أجابته وهو يناوله المسكن :

– ادوني الشريط ده.. والدكتورة قالتلي استنى يوم الخميس لما

أشوفك حل.

بثقة الصيدلي المحترف أردف :

- دا كيتوبروفين، مسكن قوي، بس له آثار جانبية على المعدة..
سيبك من ده كله

.. انت قلت دكتوراة؟! وفي السجن؟!

بابتسامة خرجت على استحياء :

- أيوة دكتوراة!! حورية من الجنة نزلت السجن فجأة.. بس مش
عارف ليه سابت الجنة..!!

انعدل في جلسته ليواجهه مباشرة ثم قال بحماس :

-يسلام يا سلام.. ده الشعر بتاعك لقي حد يتقال فيه..

احكي.. احكي..!!

تركه حسن يعد أن أعطاه ظهره :

-سيبني بس علشان عاوز أنام دلوقتي علشان منمش من امبارح

وأول ما أصحى هنحكي براحتنا.

الفصل الثامن

(الإصرار)

الخامسة مساء

عادة قديمة توارثتها عن جدها ووالدها، هي العند والإصرار مهما كانت النتائج.. والآن أمامها معركة من نوع خاص مع ذاكرتها.. تناديهما.. تهادنها.. تراوغ معها.. تصر على التحدي كي تحصل على ما تريد..

من حسن الحداد هذا؟! أبت ذاكرتها إلا أن تطيل الصراع معها لأطول فترة ممكنة، فهي تعشق عنادها.. ساعدتها فأعطتها لازم من لوازم الحقيقة ربما يصلها إلى هذا الرجل مجهول المصدر لديها، على أقل تقدير الآن.. قادهها عقلها إلى فكرة البحث عنه في معجزة القرن العشرين- شبكة الانترنت.. مواقع التواصل..!! من الأكيد أن هذا سيقودها إلى.. فالسجين السياسي يراعي شأنه، ينشر أصدقائه صور له، يتضامن الجميع معه ويتمنون له الحرية والنجاة من أيدي الظالمين يجعلون منه بطلاً ثائراً، ينعون به بالسجين الحر، يسوقون بسمته مزينة بكلمة « بسمتك بتحرر وطن».

إنشغلت بالبحث، إلى أن أخرجها من رحلتها البحثية صوت والدها الذي طرق الباب برفق وهو يقول ساخرا

— هو ده الأكل اللي بتحضريه.. لو كنت إعتدت عليكي كنا متنا

من الجوع.. يلا الأكل جاهز يا دكتورة قدامك خمس دقائق وهلم الأكل...

اتسعت حدقة عينها مندهشة :

- ماشي يا بابا..!! هو أنا في مطعم سجن؟!

أغلقت الجهاز لأنها تعلم قراراته جيدا، ولو تأخرت سيفلق المطعم قبل وصولها، ووقتها لا تجد ما تأكله، بدلت ملابسها مسرعة وركضت باتجاه الردهة، حيث والدها في انتظارها، يجلس على الكرسي الرئيسي للطاولة الممتلئة بأشهي المأكولات والأذها، فهي هوايته الثانية- الطبخ.. وخصوصا أنه عاش في الغربية سنين عديدة.

اقتربت منه وسرقت قبلة من خده الأيمن وهي تتأهب للجلوس بجواره فأشار بإصبعه مبتسما

- كان فضلك ثلث دقائق على فكرة.. ده نظام يا دكتورة.. احنا

بنهزر ولا ايه؟!

مدت يدها في أطباق المائدة لتملأ طبقها ثم أردفت بدلال.

- افرض بقى يا بشمهندس لو مكنتش جيت في الميعاد.

بدا على قسماته علامات الجدية

- انتي بتقولي إيه؟!.. أكيد طبعا.. طبعا.. كنت هديكي مدة

تانية..

بضحكة ملائكية قادته هو الآخر للضحك في جو عائلي:

- كنت متأكدة إني هوبا حبيبتك مش هتهون عليك.

أردف متحمسا :

- قوليلي بقى واحكيلى إيه اللي حصل النهارده في السجن؟!

- السجن؟! يا بابا أنا دكتورة مش شاويشه..ايه اللي حصل

النهارده في مستشفى السجن؟!

- ماشي يا ستي ايه اللي حصل النهارده في مستشفى السجن؟!

احكيلى بقى..!!

قالت وهي تنظر إليه بعد ما ازدردت الطعام :

- مع اني مش كنت ناوية أقولك بس للأسف محتاجة رأيك

ضروري جدا انهاردة، وخصوصا بعد ما شفتك بتقرأ في شفرات دان

براون.. بص يا سيدي..!!

قصت هبة ما حدث بالتفصيل مع الشاويش مبروك ومع حسن

الحداد، وأن هذا الاسم ليس غريبا عنها!! وذهبت للبحث عبر الفيس

بوك!! ولم تصل في النهاية لأي نتيجة.. وصراعاتها مع ذاكرتها التي

لم تجدي نفعاً في مثل هذه الحالات الحرجة..استمع لها بإصغاء تام

وبدون مقاطعة، فمثل هذه الحكايات تروق له.

صمتا معا بعدما انتهت هي من قصتها للحظات، أشارت بيدها

أمام عينيه السارحتين في ملكوت آخر، صاحت

- بابا!! بابا!!!!!! رححت فين يا بشمهندس؟!

– مقدرش أجزم انتي ممكن تكوني شوفتيه فين.. بس المعروف إن السياسيين أو معظمهم بيكونوا من كليات القمة.. طب، هندسة، صيدلة، علوم.. فأكيد لو هو له حساب على الفيس بوك أكيد هيزيله بلقب حقيقي.. وخصوصاً إنك قولتي إن ملامحه بتوحي بالجدية. أومأت برأسها موافقة لما يقول :

– كلام منطقي جداً، إزاي مش فكرت فيه قبل كده، وليه مفكرتش أسأله؟! خصوصاً إن ملامحه بتدل على إنه شخص على مستوى عالٍ من التعلم، وأكيد طالما مأخبرنيش إنه زميلي في المهنة كطبيب فمن الوارد جداً يكون مهندس.. م.حسن الحداد. أضاف والدها بحماسة :

– والأولى إنه يكون كاتب اسمه بالإنجليزي، لأن معظم الصفحات دي بيستخدموها في تزين الـ CV الخاص بهم لعل الشركات الخاصة بالعمل تريد الاطلاع على هويتهم أو التواصل معهم عبر العناوين الإلكترونية... قاطعته :

– دا علشان كدة حضرتك كاتب اسمك على الفيس لحد دلوقتي Eng-Magdy El GhoRaB برغم إنك تركت مهنة الهندسة من فترة وبقيت دلوقتي من أشهر الكُتاب المصريين. هدأ من نبرة صوته ليدل أن كلامه القادم ربما يحمل جزء محبب، فاستطرد :

- بس على حد معلوماتي إن السجين السياسي بالذات أهله وأصدقائه يمسحوا أي صفحات ممكن تسببه مشاكل في تحقيقات الأمن الوطني، فمن الوارد جدا إنك مش تلاقي له أي بيانات على الفيس نهائي .

- المحاولة أول طريق النجاح يا بشمهندس.. دا علامك ليّ.. ولا نسيت؟!

بعد عنادها وحماستها ركضت باتجاه غرفتها وهي تتشف يديها بمنديل ورقي مما أثار سخرية والدها عليها.
فقام بدوره المعتاد يوميا ولملم أطباق السفرة ليبدأ مشواره الجديد في رحلة الغربة، ويغسل الأطباق وينظف المطبخ.

الفصل التاسع

(Eng.H.ElHadad)

السادسة مساءً -

دخلت مباشرة على صفحة البروفيل الخاصة بصاحب الاسم، والصورة الشخصية عبارة عن رسمة كلايشات كتب تحتها عبارة (سجنك حرية) وكانت الخلفية الصورة باب زنزانة حديدي أسود..!! من الواضح أن هذه الصفحة مبتغاها، ولتأكد من ذلك قرأت آخر منشور لصاحب الصفحة، وجدته مذ حوالى ستة شهور، يعني نفس المدة التي أخبرها بها حسن لما سألته عن موعد خروجه في المستشفى، ضغطت بمؤشر الماوس على معلومات حول حسن، بدأت تقرأ بتأني...

- الاسم/ حسن محمد الحداد.

- الجامعة/ خريج كلية الهندسة جامعة الأزهر عام ٢٠١٠م.

- العنوان/ مدينة بنها- محافظة القليوبية.

- المدرسة/ خالد بن الوليد سكول.

- الحالة الاجتماعية/ متزوج ولديه بنت وحيدة.

- آراءه السياسية/ بكره الظلم ويعلم أن أفضل الجهاد كلمة حق

عند سلطان جائر دون أن يكون له أي انتماءات سياسية أو حزبية.

- مواهبه/ كتابة الشعر والقصة القصيرة.

- المفضلات لديه/ أغاني حمزة نمره ومحمد محسن وأغاني الشيخ

إمام وأحمد فؤاد نجم.

قرأت بياناته أكثر من مرة، لم توصلها لأي نتيجة؟! حاله كحال معظم السياسيين في السجون.

خرجت من الصفحة وبدأت تتصفح حائط الصفحة الشخصية لعلها تجد ما يدلها على شئ.

فوران في عقلها وقلبا معا!! أين ما تبحث عنه؟! رأت بعد ذلك مجموعة من المنشورات التي أشار بها بعض زملائه وأصدقائه في العمل له بعد اعتقاله مباشرة.. حدثت عينيها في منشور كان به عدد من التعليقات لا بأس به، كتب صاحبه « الحرية للشرفاء.. الحرية للمهندسين الذين ملئوا الزنازين.. أيعقل أن يرمى حسن الحداد بين جدران السجن.. وهو من هو؟! الأول على الثانوية الأزهرية في محافظة القليوبية، والحاصل على تقدير امتياز لمدة أربع سنوات في كلية الهندسة، وصاحب أول براءة اختراع في مجال توفير الطاقة الكهربائية واستخدام الطاقة النظيفة..!!

الحرية- لحسن- الحداد..»

أعادت قراءة البوست أكثر من مرة..!! الأول على محافظة القليوبية؟! ضربت فجأة جبهتها براحة يديها..!! حسن الحداد؟! معسكر المتفوقين؟! الإسكندرية؟! لقد تذكرته وتذكرت متى رآته وحدثته...!!

الفصل العاشر

شهر أغسطس ٢٠٠٥ م

محافظة الإسكندرية

مقر جمعية بسمة

«عام ٢٠٠٥، هو العام الذي حصلت فيه على شهادة الثانوية العامة، وهو نفس العام الذي حصل فيه حسن الحداد على الثانوية الأزهرية.. ونفس تاريخ الحصول الموجود في صفحته على الفيس بوك..

«بعد ظهور النتيجة مباشرة، اتصلت بي جمعية في محافظة الإسكندرية تسمى جمعية (بسمة) دعنتي للتكريم في حفل خاص بالطلبة المتفوقين والحاصلين على درجة تسعة وتسعون في المائة من المجموع.

- أوائل المحافظات- وكنت وقتها الثانية على محافظة المنوفية، لذلك رشحت لهذا التكريم، ولم يقتصر الأمر على التكريم فقط، بل أسبوع ترفيهي، شامل السكن والإقامة وزيارة جميع معالم إسكندرية مجاناً..

وفي نهاية الأسبوع سيقام حفل كبير يحضره المحافظ، وعلمت من الداعي بوجود أماكن خاصة للطلبات وأخرى خاصة بالطلاب، وكذا معظم الخدمات المقدمة..... وافقت.

ذهبت.. وفي نهاية الأسبوع وبعد أن استمتعت بأسعد الأوقات مع المتفوقات من كافة المحافظات- حملة لواء العلم والتفوق في مصر كلها- أقيم الحفل النهائي الذي كان مقرر فيه التكريم وبالتالي سيحضره الطلبة معنا. كان حفل رائع، أكثر ما شد انتباهي في الحفل هو هذا الشاب الوسيم الذي ارتدى نظارة طبية زادته وقاراً، والذي طلب من مقدم الحفل أن يسمح له بكلمة لمدة خمس دقائق...فوافق. قدمه بعدها للحضور فوجهت نظارتي تجاهه وحدثت في خشبة المسرح.

بدأ كلامه قائلاً : « أنا حسن الحداد... سعدت بوجودي معكم اليوم في هذا الحفل الكبير... أنا الأول على محافظة القليوبية.. حبيت أوصل رسالة لكل الطلبة والطالبات المتفوقين من كل محافظات مصر.. الحبيبة.. رسالة نور وشعلة أرجو أن تحملوها وتوصلوها لكل الأحرار في محافظتكم، ليعم النور بلدنا الحبيبة، إن لم يكن علمنا وتفوقنا هو السبيل لرفع الظلم عن بلدنا فما قيمة العلم إذن؟!

وكلكم ترون وتسمعون ما يمر به وطننا الآن!! سياط الجلاد تجلد ليل نهار أظهر الفقراء وتمتص دماءهم، ولا أقصد بالسياط معناها الحقيقي، ولكن هو مجاز لفقراء غرقوا في وسط البحر وآخرين حُرقوا في القطار وآخرين لحدوا في غياهب السجون، فأصبح قطار الأغنياء يسير بسرعة البرق مستمداً وقوده من دماء الفقراء في كل أرجاء الوطن، فلا بد أن تجعلوا علمكم وتفوقكم سبيل العيش الكريم لهذا

السواد الأعظم من المصريين..اللهم بلغت اللهم فاشهد..وشكراً»..
نزل بعدها حسن من على المنصة، ولم يعلق المقدم على كلامه..
غير أنني رأيت تأثير هذه الكلمات على وجوه الحاضرين سواء المكرمين
أو الحضور العاديين، انتهت الحفلة وفي أثناء خروجنا من القاعة
الرئيسية للحفل حدث أمر غريب!! جعل هذا الشاب يراوض خيالي
لأيام.

الفصل الحادي عشر

(الغداء)

زنزانة (٧)

بين المغرب والعشاء

كان هذا اليوم خدمة إبراهيم (طباخ) وحسن (مساعد طباخ) - نظام الخدمة في الزنزانة كل شخصين يوم في الأسبوع يقوموا بجميع أعمال المطبخ من أكل ونظافة- وبما أن الأخير مريض فشهادة الأول دفعته إلى تحمل كافة أعمال اليوم، كما أنه قد عقد صفقة معه أن يحكي له بالمساء ما حدث مع الدكتورة.

- أبلونج السجن.. وأرز إبراهيم المعجن.. نفسي مرة أشوفك حد يزور في يوم نبطشيتك..

كلمات خرجت في عفوية من فم خالد (شاب ظريف يمتلك خفة دم لا بأس بها) لا تخرج خدمة من يومها سالمة، إلا وتلاحقها سهام لسانه في وصلة لا تنتهي إلا بالسخرية والاستهزاء.

- أظن إحنا في سجن!! وياريت تاكل أي أكل ينزل وانت ساكت.. احنا مش هيلتون رمسيس هنا..!!

- أنا عارف يا إبراهيم إننا مش في هيلتون رمسيس يا حبيبي بس دا علاقته إيه إن الأرز يطلع معجن ولا سليم.. النار موجودة وأكياس الأرز موجودة والماء والملح موجودين.. إيه ناقصك بقى علشان تعمل رز عدل.

- ناقصه بلونتين يحطهم هنا كدة (أشار إلى صدره) ويبقى بنوته زي العسل ويعرف يطبخ ويرقص ويعمل كل حاجة بقى.
نطق هشام بهذه الكلمات فأثار ضحك كل السجناء بصوت عالي.
عدا على الذي ترك الأكل وقام وهو يصيح :
-- انتوا مش هاتخرجوا من هنا بمعاصيكم.. ابقوا قابلوني لو خرجتم!!!

تدخل حسن محاولاً إقناعه بالعودة للطعام مرة أخرى :
-- يا شيخ علي بيهزروا وكمان مش ينفع نكبتهم في مكان زي ده..
وبعدين يا أخي رَوِّحوا عن القلوب ساعة بعد ساعة.
رمقه علي باشمئزاز من أعلى لأسفل وكأن نظراته تقول له من انت حتى تتحدث عن أحاديث رسول الله صلَّ الله عليه وسلم.
صمت حسن ولم يعقب عليه ثم ذهب إلى المطبخ، في الوقت الذي كان فيه إبراهيم يللم أطباق الطعام الفارغة ويجمعها في المطبخ
- هتفضل واقف كدة كتير ولا ايه يا حسن!!!
مد الأخير يده وهو يأخذ منه الأطباق
- إديني دول بقى وأنا هغسلهم كفاية أوي إني سايبك طول النهار تشتغل لوحدي وأنا مقضيها نوم.. دا عيب أوي يعني.
ابتسم إبتسامة مشفقة :

- عيب أوي يعني، روح يا بشمهندس اغسل إيدك وإرجع فرشتك
علشان تاخذ الدوا بتاعك.. وسيبني أشوف شغلي ومهنتي الأساسية

في غسيل الأطباق، انت ناسي يا بشمهندس إني صيدلي واخذ كلية
الصيدلة في خمس سنين بتقدير (جيد) تقدير الشعب هههههه
ابتسم له حسن شاكر ا مواقفه الشهمة وانصرف..

الفصل الثاني عشر (رجل ضخم الجثة)

أغسطس ٢٠٠٥م

مدينة الإسكندرية

حفل التكريم

أغلقت حاسبها واسترخت بجواره محدقة في سقف غرفتها ذا النور الهادئ والألوان الفاتحة، فهي لا تعشق من الألوان سوى الفواتح، أكملت ذاكرتها استرسال اللقاء الأول مع حسن ذاك الشاب الطموح.

« رأيتُ فيه شاباً يعمل لهدف ويتعلم لهدف ويتفوق لهدف أسمى، رفع الظلم عن المظلومين.

أعاد لذهني أصحاب الرسائل الذين يتحملون من أجل نشر فكرتهم كل المتاعب والمصاعب، حتى وإن كانت فكرة خاطئة! كلماته ما زالت تتردد في أذني من وقت الحفل، ثباته على خشبة المسرح، عدم إكترائه بأحد من الحضور أو المكرمين، مؤمن بفكرته. وحين انتهى الحفل وأثناء خروجنا من القاعة، كنت أتمشى بجوار إحدي زميلاتي التي تعرفت عليها في السكن، تذكرت زميلتي أنها نسيت شيئاً داخل القاعة واستأذنتني لترجع وتأتي به. وقفت أمام باب الخروج الرئيسي تأمل وجوه الخارجين من الحفل، حتى شد انتباهي صوت أتى من

خلفي مباشرة..!! كان هذا الصوت لرجل ضخم الجثة، يرتدي بدلة سوداء ورابطة عنق حمراء اللون، يشبه في وقفته وحركاته رجال البودي جارد الذين يحمون الشخصيات المهمة في المجتمع، أخفي وجهه بنظارة سوداء أخفت جزء كبير منه، تحدث لمجهول في الهاتف..!!
ونظرا لحماسه في سرد موقف ما، علا صوته بدون أن يشعر، سمعته وهو يقول :

-ايوا يا فندم الحفلة خلصت والمحافظ سلم الجوائز ودلوقتي الناس كلها بتصرف من المكان، وجميع قوات التأمين مستتية أمر مغادرة المكان.

سكت الرجل للحظات يبدو أنه يستمع لكلام الطرف الآخر ثم استطرد :

-بس حصل حاجة غريبة يا فندم في الحفل.. في واحد من الطلاب المكرمين، اسمه حسن الحداد.. من القليوبية.. طلب كلمة من مقدم الحفل.. وحرص فيها كل الحاضرين على النظام.. ووصف الحاكم بالظالم.. وقال عاوزين الكل يحمل شعلة العلم ضد الظلم.. وكلام من ده كثير.. بس الكلام دا كله كان قبل وصول السيد المحافظ بعشر دقائق.. وأنا شاورت لمقدم الحفل بقطع الصوت عنه أو إنزاله فورا من المنصة.. وخليت عيني عليه طول الحفلة.. وأمرت ضابط من قواتنا يحاول يجمع أكبر قدر من المعلومات عنه.. واستبدلت مكان اللي كان جالس بجواره بواحد من رجالتنا علشان لو فكر يعمل حاجة والمحافظ موجود.

ختم الرجل كلامه «وفي انتظار أوامرك يا فندم»، استمعت للحوار بالكامل واستتبطت من كلامه أنه ضابط من قوة تأمين الحفل، وكلماته هذه كانت عبارة عن تقرير يرفعه لرئيسه في العمل.. ثم أغلق هاتفه وأشار لأحد الأشخاص أن يقف أمام الباب الرئيسي للمقر مباشرة!!
تابعت الموقف في ترقب، خمنت أن هؤلاء الأشخاص يخططون لإيذاء حسن وربما القبض عليه.

فارت بداخلي مشاعر العنصرية، فمهما كان فحسن من فريقي!! فريق المتفوقين الحاصلين على المراكز الأولى على المحافظات في كافة أنحاء الجمهورية وله واجب على حتى وإن كنت لا أعرفه أو أكلمه كلمة واحدة. أما هؤلاء فهم من الفريق الآخر..!! عناصر السلطة..! كما أنني لا أنكر أنني أعجبت بكلامه وأنه على حق، شاب لا يريد أن نكون في معسكر الطاغين وأن ندافع عن المظلومين بالعلم، وما الضرر في ذلك؟!
أكفر الرجل؟!.. والله ما كفر ولا أخطأ..!!

نظرت بالداخل فوجدته مازال في القاعة.. ركضت باتجاه القاعة أبحث عنه.. مضطربة.. أحييت بداخلي صورة الفنانة نادية الجندي في فيلم مهمة في تل أبيب..!! أنظر خلفي من حين لآخر.. هل هذا الرجل يتبعني أم مازال واقفا مع رجاله عند الباب الرئيسي.. وفور دخولي من باب القاعة اصطدمت بحسن وهو يخرج منها.. لحظات من الصمت والترقب.. تصرفت بتلقائية.. فأمسكت برسغه وسحبته بعيدا عن القاعة كأم عثرت على ابنها بعد أن تاه منها في السوق.

كان يتبعني وحروفه محشورة في حلقه لا تستطيع الخروج من دهشته لما يحدث..!! في مكان يبدو بعيدا عن أعين الناس في هذا المبني الفخم.. تركت يده وقبل أن أبدأ بالكلام سبقني قائلاً :

- هو في إيه؟ وانت مين؟ وإيه اللي حضرتك عملتية ده يا فندم؟!

تسارعت رموشها صعودا وهبوطا من شدة الخجل ثم أردفت

- أنا آسفة جدا.. في حاجة حصلت وشفنت من واجبي إني لازم

أعرفك!! لأنني كنت هبقى مضايقة جدا لو حصلك حاجة.

سكت حسن ولم يعقب على كلماتها فاستطردت :

- أنا كنت واقفة بره عند الباب الرئيسي وسمعت راجل باين من

شكله أنه ضابط...

حكيت له ما حدث بالتفصيل وأخبرته أنه في حالة خروجه وارد جدا

يتم القبض عليه أو إيداه..!!

اكتسي وجهه قلقا وربما أحس أنه قد تعجل في كلمته في الحفل..

كيف يقول هذه الكلمات في حفل سيحضره المحافظ ومن الطبيعي أن

تكون عيون الأمن في كل أركان المكان.. وقبل أن يصل لحل ليخرج من

هذا المأزق بدون أي خسائر عاجلته قائلة :

- أنا رأيي أننا نروح دلوقتي لرئيس الجمعية هو أكيد لسه في الداخل

ومخرجش!! نحكي له اللي حصل..!! وهو أكيد هيساعدك ويخرجك

من هنا من غير أي مشاكل..ولاً إيه رأيك؟!

راقت كلماتي له.. وربما حسدني على ثباتي خاصة في مثل هذه

المواقف الصعبة، ورأى أن هذا هو الحل الأمثل!!

- بس أنا مش عارف هروح أقول إيه لرئيس الجمعية؟!

- لا تقلق سيب الموضوع دا عليّ.

ثم اتجهنا معا حتى وجدناه، فحكيت له ما حدث، فحاول الرجل نفي هذا التوقع نهائيا، لأنهم لو يريدون القبض عليه ما انتظروا خروجه من القاعة وتم القبض عليه في الحال.

في حالة من التوسل السريع أكملتُ :

- ممكن حضرتك تخرج معنا من الباب الرئيسي وأكد لو يحصل حاجة هتقدر تبعدنا عن أي شبهة ممكن تأثر علينا أو يتم القبض على حسن.

كان حسن يستمع لحواري مع رئيس الجمعية، بعدها خرجنا جميعا من الباب الرئيسي يتقدمنا الرئيس، ولما اقتربنا من الباب زادت ضربات قلبي بسرعة وكأنها في سباق، ورمقته بنظرة تحمل بين طياتها «إن شاء الله خير.. لا تقلق»

وعند الباب قابلنا الرجل ضخم الجثة.. توقف قلبي لحظة ثم عاد مرة أخرى حين مد يده مصافحا رئيس الجمعية، ووجه الأخير الشكر لرجال الأمن ودورهم في نجاح الحفل وخروجه بهذه الصورة اللائقة.

ثم صافح الرجل حسن وصافحني وهنأنا لحصولنا على التكريم.. قائلا:

- دي أقل حاجة تقدمها ليكم محافظة الإسكندرية.. أتمنى لكم

دوام التوفيق والنجاح.

تركنا الرجل ورحل..!! وسلم علىنا رئيس الجمعية وهو يقول
منصرفا:

- مش قلت لك دا توقع مش سليم..!! وابتسم ثم صافحنا وانصرف
هو الآخر..!!

غزا حسن صمته ثم قدم الشكر لي على ما فعلته من أجله، وحرصني
على إبلاغه بالخطر وخصوصا أن هذا كان سيعرضني للخطر مثله،
كما شكرني على ذهابي معه لرئيس الجمعية وإيجادي حل للخروج من
هذا المأزق.

أجبتة وعيني تلمع تحت عدسات النظارة :

- دا واجب عليّ يا فندم.. لازم نعرفهم أن المتفوقين إيد واحدة..
وإن العقل غلب القوة.

تبسم لثقتي بنفسي فاستكملت بقوة وثقة أكثر :

- يلا بقى هامشي أنا!! ونتقابل بعد خمس سنين في حفل تكريم
أوائل الجامعات المصرية.. سلام..!!
ومشيت...!

الفصل الثالث عشر (أتغلب القوة العقل؟)

إحدى عشر عاماً على هذه الحادثة.. مرت خلالها هبة بطروف
صعبة تنسي كل شئ..

انغمست بعدها في محطات الحياة المتقلبة ما بين سعادة وفرح
وما بين حزن وألم..واليوم بعد كل هذا يقع جاذبها في طريقها مرة
أخرى، ولكن هذه المرة ليست في حفل لتكريم المتفوقين، ولا كما خمنت
في حديثها الوحيد حفل لتكريم أوائل الجامعات المصرية!! اليوم هو
سجين محكوم عليه بالسجن المشدد لمدة ثلاث سنوات يقضيها في
سجن وادي النطرون، وهي طبيبة أسنان في مستشفى هذا السجن!
ربما لا يختلف حالها عن حاله كثيراً فهو سجين وهي أيضاً سجينه!!
ولكن هو أجبر على هذا السجن لأنه حكم عليه ظلماً، أما هي ما
يجبرها للجلوس في هذا المكان؟! بل ما الذي جعلها ترضي العمل فيه
من الأساس؟! حسن تغيرت ملامحه كثيراً عما كانت في السابق، لذلك
لم تتعرف عليه من شكله وإنما تعرفت عليه من اسمه العالق في ذهنها
من وقت حفل التكريم..!!

أهذا هو الطريق الحقيقي لمن يدافع عن المظلومين؟! أم ما هو فيه

الآن النتائج الطبيعي لكلماته على خشبة المسرح؟!

راود خيالها أفكار أخرى أعادتها للماضي وعنصريته.. هل ستساعده؟!.. هل مازالت تراه من فريقها الذي يجب أن تدافع عنه مهما كلفها ذلك؟! أم أنها الآن أصبحت من الفريق الآخر؟!!

غلبت القوة العقل!! ولم يصبح المتفوقين يد واحدة بل تفرق كل منهم في فريق ضد الآخر!! أصبحت الآن تقوم بدور ذلك الرجل ضخمة الجثة الذي نجت حسن منه في السابق، نجته من بين أنيابه!! ترفع تقاريرها اليومية لرئيس مباحث السجن عن المساجين!! تكتب كل صغيرة وكبيرة عنهم!! وربما كان هو عنوان تقريرها القادم!! لا يعقل أنها ستعرض نفسها للخطر من أجله هذه المرة!! وربما ستساعده بدون أن يشعر بها أحد؟! حالة من التضاد تسارعت بداخلها، مشاعرها الرقيقة العنيدة في السابق تصارع المشاعر الجامدة التي تستخدم في معاملة المجرمين وتجار السلاح والقتلة!!

قامت من مكانها وبحثت عن نفسها بين إطار مرآتها المعلقة في وسط غرفتها..

لما ظهر حسن من جديد؟! رمى بها عقلها في بحور الماضي وما حدث بعد تخرجها من كلية طب الأسنان عام ٢٠١٠م.. أمسكت بصورة كانت ترقبها من على التسريحة الخاصة بها، كانت هذه صورة زوجها (أشرف)، زوجها الذي نقلها من فريق حسن إلى فريق الرجل الضخم، مرت أعوامها برتابة موظف حكومي لا جديد عنده سوى أنه ينتظر اليوم الذي يخرج فيه على المعاش لينتظر بعدها ملك الموت!!

ما الذي جعلها تتزوج من ضابط شرطة؟! وما سبب عملها في السجن؟!!

وأين زوجها الآن؟! ولما لم تعيش معه في شقتها وتعيش مع والدها؟! وقبل أن تلفظ أنفاسها الأخيرة في بحور الماضي وضعت الصورة في مكانها!!

واستلقت على سريرها المهد وغاصت في نوم عميق لا يختلف كثيرا عن نوم حسن في زنزانته، ألم أقل لك في السابق أن كليهما سجين!! دخل بعدها والدها ليطمئن عليها، ويعرف نتيجة استنتاجاته؟! لم تجبه حين ناداها، فطرق الباب ثم دخل فوجدها تسبح مع الملائكة في جنة الخلد بجوار حاسبها الإلي، نقل الحاسب للمنضدة المجاورة ثم غطاها بلحافها الناعم وطبع قبلة على خدها الملائكي.. وخرج!!

الفصل الرابع عشر (الكُفَّار)

التاسعة مساءً

زنزانة (٧) -

جلس إبراهيم أمام حسن على فرشته، وكان الأخير مشغولاً بقراءة كتاب (حادثة دنشواي بين الشعر والنثر) كتاب استعاره من مكتبة السجن. يمر أحد المسيرين كل أسبوع يوزع على كل زنزانة كتاباً يخترونه من بين عشرة كتب؛ لأن الكتب ممنوع دخولها نهائياً من الخارج!! بسبب حادثة قديمة مع أحد ضباط السجن، حيث اكتشف أثناء تفتيش زيارة أحد النزلاء كتاباً غلافه الخارجي يحمل عنوان (تفسير الشيخ الشعراوي) وحينما فتح الضابط الكتاب وجد محتواه مختلفاً تماماً عن الغلاف!!

كان الكتاب به مادة فحواها الأدلة على تكفير الكفار!! ومن سوء حظ السجن أن الضابط فتح الكتاب ليتصفح فوقعت عيناه على صفحة مكتوب فيها :

«ولهذه الأدلة المذكورة سالفا نستنتج أن إبراهيم عبدالمجيد كافر هو ومن على شاكلته أمثال داليا جمال وإبراهيم عيسي وحلمي رزق وفاطمة ناعوت.. الخ»

غير الصفحة فالتقطت عيناه قاعدة مزيلة بأمثلة :

« ومن لم يكفر الكافر فهو كافر مثله، وبناءً عليه فإن محمد سيد
طنطاوي كان كافراً!! الخ...»

امتقع وجه الضابط ومزق الكتاب أمام الزائرين من أهل السجين ،
ثم استدعاه إلى المكتب، وعوقب بالتأديب لمدة سبعة أيام!!

لماذا لم يناقشه من باب معالجة الفكر بالفكر؟! فالرد على مثل
هذه الشبهات يستطيع درأها طفل في ابتدائي خصوصاً أمام حماقة
المُكفّر.. وربما أنه عاقبه لأنه زيف عنوان الكتاب لا من أجل محتواه!!

ومن وقتها صدر مرسوم من المندوب السامي البريطاني بمنع دخول
أي كتب نهائياً للسجن!!

ما ذنب حسن ومن على شاكلته من هذا القرار المجحف وهم لا
يقرءون هذه الكتب المضللة؟!!

يحرمون القراءة كما حُرِّموا نسيم الحرية.. ألم يعلم هؤلاء أن
القراءة حرية وحدها في بحر القضيان.

ولكن يا ترى من السبب في حرمانهم من هذه الهواية؟! السجين

المتشدد الذي دفعته حماقته لتزييف الكتاب ليكون السبب في إيذاء
عشرات السجناء خلفه؟! أم هو الضابط الذي خص بالسيئة الجميع؟!!

لكن لا عجب.. فحماقة الأول هي من دفعت بحسن وأمثاله لغياب
السجون عندما حولوا المسار السلمي للثورة لمسار العنف والتخريب!!

والثاني تربي على ذلك وتعلم مبادئ الظلم داخل مناهج دراسته، فما
الضير من أن يموت ألف شخص أو يسجنهم في مقابل القبض على

مجرم أو حتى إرهابي..!!

بدأ إبراهيم الكلام بعد أن لصق ركبته بركبتي حسن :

- المفروض كنت تقوم تستحمى، حد يسيب فرصة شكل دي في

السجن دا؟!

بدون أن يرفع رأسه من بين أسطر الكتاب أردف

- يعني هو أنا عملت حاجة النهارده علشان أستحمى؟! انت شلت

الخدمة كلها لوحديك يا إبراهيم.. مش عارف أقولك إيه؟! ربنا يفك

أسرك يارب..

ربت إبراهيم على ركبتيه :

-أولا انت تعبان من الصبح.. وأكد هيجي يوم وأتعب برده وساعتها

هترد الجميل.. ثانيا انت نسيت الاتفاق ولا إيه؟! احكي لي بقى كل اللي

حصل في المستشفى.

حدق فيه مبتسما

- أحكيلك إيه بس، مفيش حاجة حصلت أصلا يا دكتور!!

عدل من جلسته وعقد حاجبيه قائلًا :

- لاااااا.. دا كده بقى الاتفاق ضاع.. وأنا اللي كنت طامع أزود عليه

حاجة كمان..

- حاجة إيه؟!

- إنك تحكي لي كل اللي في الكتاب دا.. لأنك عارف عقدتي في

القراءة.. بحب أسمع بس.. قلت إيه يا أبو علي؟!

أوماً حسن برأسه وأردف وهو يثب قائماً

- ماشي بس هاقوم أعمل كوبيتين شاي وارجعلك.

قام حسن واتجه إلى المطبخ لتجهيز الشاي.. يوجد في الداخل
اختراع عجيب.. نزلت الرحمة من السماء فزرعت كلها في قلب رئيس
المباحث فسمح بدخوله إلى الزنزانة..!!سخان الشاي (الكاتيل)..!!
يومها احتفل جميع النزلاء، وأقاموا حفل استقبال مهيب وأجلسوه على
كرسي العرش بجوار السخان الحجري الذي يستخدم في طهي وتسخين
الطعام..!!

صب حسن الماء الساخن في الأكواب البلاستيكية التي كفرت بكل
شئ حولها من كثرة الاستخدام،
- عندك زيارة بكرة صح؟!
جاء سؤال إبراهيم استفساري

أجاب حسن وهو ينظف التراب من على فرشته قبل الجلوس :
- آه إن شاء الله الزيارة بكرة.. والله مبقتش عاوز أزور في السجن
ده أصلاً...أختي بتتبهدل.. وكمان بقلق ليحصل حاجة في الزيارة..
وانت عارف تناحة المخبرين ورمي جتتهم.
قال مشفقاً:

- خلاص طالما عندك زيارة بكرة، هاعفيك من شرح الكتاب
النهارده.. بس بقى لازم تحكي لي إيه اللي حصل مع الدكتور.. اللي
قولت عليها حورية؟!

غزت ابتسامة خجولة وجهه فاستطرد :

- أهم حاجة بس توطي صوتك أحسن حد من إخوانا البعده يفتكروننا
بنتكلم على بنات ويعتبرونا من كفار قريش.. وساعتها مش هقدر أحوش
عنك.

بدأ حسن في سرد ما حدث في المستشفى، وما حدث مع الشاويش
مبروك، وخروج الدكتورة لإعطاءه درسا علنيا في الأدب والأخلاق،
ومنعه من الدخول أثناء الكشف..! ولم ينسى أن يعبر له عما دار
بداخله، وانجذابه لجمالها الفتان.

كما أخبره أنه شعر وقتها أنها ليست المرة الأولى التي يراها فيها!!
لكن لا يدري أين؟!

حرك إبراهيم يده في حركة بهلوانية وكأنه يعزف على كمانجة ثم
أردف -

- وإيه كمان؟! كمل.. كمل.. من زمان مسمعتش الكلام ده.. أيوه
بقي..

لوح برأسه يمنة ويسره أسفا

- خلاص خلصت الحكاية مفيش حاجة تاني.. مش قولتلك عادي
يعني..!!

- يعني مش هتروح تاني؟! ولا حتى هتطلع منها بأي مصلحة
وتشوفلك حل في ضرسك اللي انت طلعت عينيا بسببه.

- لا... قالتلي إن الخلع هنا مش أمان ووعدتني إنها هتحاول

وتساعدني!! وهروح لها يوم الخميس علشان ترد على.

- أيوه بقى.. يارتتي كان ضرسي تعبني، أول مرة أعرف إن وجع

الضرس حلو أوي كدة.. هو أنا مينفesch أروح مكانك يا أبو على..!

ظهرت علامات إلى أس عليه فأردف :

- بس أنا أعرف أوصلها يوم الخميس.. تفكر الشاويش (...) اللي

بره دا هيخرجني ثاني بعد ما هي هزأته قدام المستشفى كلها.

- أكيد لو هي ناوية تساعدك وهي ملاك زي ما انت وصفتها

هتبعتك علشان تروح تعيد الكشف.

قال متئائبا وهو يعدل من وضعيته استعداداً للنوم :

- ربنا يبسر بقى يوم الخميس.. ولو مش في حل هخلعه وخلاص..

تلوث تلوث يعني هعمل إيه بقى.. أما آجي من الزيارة ربنا يحلها.

الفصل الخامس عشر

(الحلم)

الأربعاء

٢٠١٦/٩/٧م - الثالثة صباحاً

منزل المهندس/ مجدي الغراب.

«كانت ترتدي منامتها الفاتحة... قامت فجأة من نومها بعد أن

شعرت بحاجة شديدة لشربة ماء...

ما هذا العطش؟! لم تشعر بذلك من قبل؟! لملت خصلات شعرها

المتناثرة على الجانبين ودفعت لحافها... اقتربت من باب الغرفة تبحث

عن الماء.. فتحت الباب.. وارت بيديها عينيها، فشعاع الشمس كأنه

مسلط عليها مباشرة.. فُتح الباب على صحراء شاسعة جرداء لا زرع بها

ولا ماء، سُلطت عليها أشعة الشمس عمودية فأسخنت رمالها وأسكنت

الهواء من كل الاتجاهات.. أين الشقة؟! أين انت يا بابا؟! أين الماء؟! أين الماء؟!

مدت قدميها في ترقب وخوف، فسرت في جسدها حرارة الرمال وبدأ

وجهها يندى عرقاً... تقدمت خطوات للأمام ثم وقفت فجأة تائهة لا

تعرف أين تذهب؟ نظرت لليمين ثم نظرت لليسار... لا ترى أحداً! غير

أن لون الرمال الأصفر إستأثر بجمال رؤيتها بالكامل... جال بخاطرها

فجأة أن القيامة قد قامت..! ولكن أين الناس؟! ولما لا تقترب الشمس

من الرؤوس مباشرة؟! أم أنها من الناجين فبعدت الشمس عن رأسها!!

تَرَ شيئاً.. لم يبقَ أمامها إلا اتجاه الخلف.. ستحاول ولم تيأس بعد.. ركضت باتجاه الخلف... وبدأت قطرات عرقها تتساقط، أمسكت بطوق قميصها وجففت وجهها... جذبها فوح رائحة العرق وكأنها من أجساد حوريات الجنة.. أهدأ طريق الجنة؟!!

وصلت لمسافة كبيرة في اتجاه الخلف، لا تقل عن المسافات التي قطعتها في الاتجاهات الثلاثة الأخرى.. مازال صاحب الصوت يستغيث... ولكن الصوت اقترب هذه المرة أكثر... إذن هي في الاتجاه الصحيح... أسرع... كان هناك شخص يرتدي سترة السجن الزرقاء الخاصة بالمحكوم عليهم... يقف في وسط قفص حديدي مكون من أسياخ حديدية تحيطه من كل الاتجاهات ولا يوجد له باب!.

يتحرك المحبوس في القفص بعشوائية كأسد حبس ومنع عنه الطعام والشراب..!! يقف عند كل ركن من أركان القفص ويتشبث بالحديد ممسكاً به بقوة وينادي « هبة » وعندما لم يجيبه أحد ينتقل للركن الآخر.. ركضت هبة باتجاهه، وحينما اقتربت جدا منه كان الصوت قد انقطع..! رأت المحبوس يقف في الوسط خاشعاً وكأن على رأسه الطير واضعاً يمناه على يساره..! كان يصلي..! يبدو أنه لما انقطعت به الأسباب ولم يجيبه أحد قرر اللجوء لربه...

وقفت تستمع لصوته الندي في ترتيل القرآن الكريم مصحوباً بدموع لم تنقطع... تشبثت بأحد أسياخ الحديد.. تنتظره.. سقط جسدها على الرمل من شدة التعب... أسندت ظهرها على الأسياخ، وشردت عيناها

فيما لا تدركه...!

أخرجها من شرودها صوت بكاء شديد لطفلة تستغيث.. وثبت من مكانها... نظرت للرجل كان مازال يصلي غير أنه انتقل من وضع الوقوف إلى وضع السجود.. جرت باتجاه الصوت... على بُعد مترات من القفص كان بئر تعلوه حافة من الحديد دائرية الشكل ومعلق بها عمود خشبي تدلى منه حبل... اقتربت منه وأمسكت بحافة البئر فرأت طرف الحبل مقطوع بسكين حاد...! صاحت الطفلة من جديد مما دفع هبة للنظر في جوف البئر... فرأت جردل مربوط به باقي الحبل المقطوع.. وبجواره تقف الطفلة الصارخة...!

تنظر إلى السماء تستغيث.. تصرخ.. تبكي.. تقابلت عيناها فهدأت الطفلة قليلاً.. وزادت علامات الخوف والرأفة على وجه هبة فبكت بقوة وكأنها بحاجة لهذه الدموع.. جذبت طرف الحبل المقطوع وبدأت تفكر...

كيف تصل إلى النهاية لتنقذ الطفلة... بدأت محاولاتها في عملية الإنقاذ... حتى جاءها صوت الرجل مرة أخرى « هبة.. لازم تنقذها يا هبة.. لازم تنقذها»

ارتعش جسدها واضطربت أطرافها، فقامت فزعة من النوم.. كانت مازالت في سريها... قامت ومشت بثناقل باتجاه الصالة... نظرت في ساعة الحائط المعلقة... كانت الساعة الثالثة صباحاً.. ارتشفت الماء حتى رويت ثم عادت مرة أخرى لغرفتها.. ونامت..!!

الفصل السادس عشر (الزيارة)

الأربعاء ٧/٩/٢٠١٦م

العاشر صباحاً

نام حسن ليلته قلقله على أخته التي ستأتيه في الغد.. فالسجين السياسي دائماً ما يشعر أنه ليس وحده المسجون! وإنما أهله أيضاً حينما يتبعون أثره في كل مكان يروحه..! بعكس الجنائي فمعظمهم رمى أهلهم طوبيتهم ولا يسألون عنهم إلا نادراً جداً.

في صباح الأربعاء وفي حوالي الساعة العاشرة صباحاً مد مسير الزيارات (مسجون سياسي) فمه من فتحة باب الزنزانة (النظارة) وصدع بالخبر الذي يولد فرحاً مؤقتاً لدى أي مسجون.

- حسن محمد الحداد.... زيارة.

ناداه إبراهيم، وكان غارقاً في النوم... هز جسده برفق، فقام بعدها شارداً.

- يا ليا حسن قوم عندك زيارة.. أنا حجزتلك الحمام من بدري.. قوم ادخل على طول على بال ما أجهزلك الشنطة والفوارغ.. وسترة الزيارة.

دخل حسن الحمام توضأ وخرج ليستعد للزيارة...

في نفس هذا الوقت وعلى بعد كيلومتر من الزنزانة، عند الباب الرئيسي لليمان يوجد طابور طويل من الأهالي ينتظرون تسجيل أسماءهم في كشف الزيارات.

يقف في هذا الطابور أهالي السياسيين وأهالي الجنائين! يفصلون فقط بين الرجال والنساء! وإن كان الأهالي يرون أن الرجال أهون بكثير من النساء الجنائين!.

يأتي الأهالي للسجن حوالي الساعة السابعة صباحاً؛ ليلحقوا التسجيل بالكشوف مبكراً قبل غلق الباب في تمام الثانية عشر ظهراً، وقبل أن يأتوا للسجن يكونون طوال الليل في حالة استعداد وتجهيز الطعام.. أي لا ينامون في الليلة التي تسبق الزيارة نهائياً!! ألم أخبرك أنهم أيضا سجناء؟!.

وقفت مريم في هذا الطابور النسائي الطويل بين امرأتين من أقارب الجنائين.. كانت إحدهن تدخن سيجارة وتنفث دخانها في وجه مريم مع أشعة الشمس الراقدة فوق الرأس! والأخرى كانت لها حركات مريبة؟ تدفع النساء أمامها للأمام بطريقة عشوائية مما يزيد حنق الواقفة أمامها، فلما تنظر للخلف توارى المرأة نفسها فلا تقع عينها إلا على مريم، والتي يعلو وجهها علامات الخوف والوجل مما يحدث.

مريم هي الأخت الوحيدة والصغيرة لحسن، تولى أمرها بعد أن مات والدها قبل أعوام، أما والدتها فقد فارقت الحياة منذ أمد بعيد.. نحيفة الجسد، دقيقة الوجه، في وجهها براءة الأطفال على الرغم من سنها

الراشد.. ترتدي غطاء رأس طويل يصل لمنتصف صدرها.. لا تنقطع عن زيارة أخيها منذ أن قبض عليه، ومن يومها وفي أول زيارة أمرها بترك شقته والذهاب للعيش مع خالتهما في إحدى قري مركز بنها، ومن وقت لآخر تذهب لشقته لإحضار بعض الطلبات له أو تنظيفها.. مريم ذات روح طيبة، ليس لها علاقة بالسياسة ولكن صنعتها المحنة.. فمنذ أن قبض على أخيها ورأت مدى الظلم الذي تعرض له وهي بدأت تعي ما يحدث حولها من أحداث. فالمحنة تصنع الرجال كما قالوا، والنساء أيضا يكون لهن نصيب من هذا الصنيع.. مريم تدرس في كلية التجارة جامعة بنها وقد اجتازت عامها الأول بتقدير امتياز.. وفي يوم حضورها للزيارة تعطي نفسها اجازة راضية لتزور أخيها وحبیبها حسن.. ليس عندها أهم منه حتى لو قارنت بين حياتها الجامعية ومستقبلها ونفسها وبين أخيها لاخترت حسن!

وقفت بعد مشوار طويل أمام هذا العسكري الجالس على مكتبه فقال مشمئزاً :

- هاتي بطاقتك»؟!!

أعطته البطاقة متوجسة :

اتفضل.

بصوت متعجرف

- هتزوري مين؟!!

- أخويا.... حسن محمد الحداد.

رمقها الرجل باشمئزاز :

- دا مخدرات ولا سرقة!؟

قالت غاضبة :

- أخويا... حسن مسجون سياسي.

وثب الرجل من مكانه وأسند بكلتا راحتيه على المكتب :

- أحا...مفيش هنا حاجة اسمها سياسي وجنائي...هنا كلوا

مسجون... متهم بيتعاقب... يعني خطر على المجتمع...فاهمة ولا تحبي

أفهمك بطريقتي..!؟

اغرورقت عيناها بالدموع وقالت بصوت اختلط بغصّة داهمت

حلقها

- ماشي... ماكنتش أقصد والله.

جلس العسكري مرة أخرى وسجل البيانات في الدفتر ثم رمى

البطاقة في درجه

- خلاص... يلا روحي اقعدي هناك لحد ما نندهلك.

تراجعت مريم للخلف خطوات، وبحثت بعينيها عن مكان تجلس فيه

بعيداً عن مجالس الجنائيات...

يتعمدون سوء المعاملة للسجين السياسي من باب التكدير وتعكير

صفو الأهالي، عليهم يظهرون يأساً، وتموت عندهم وعند أبنائهم

الأفكار التي تواجه النظام..! ولكن أن لهم ذلك، فالسجن أبداً ما غير

الأفكار ولا أماتها، بل بعكس ما يتوقعون، يقويها ويزيدها ثباتاً وقوة،

فالأمل يولد من رحم الألم وتصنع المحنة أفضل ما يكون من أناس
يضربون يومياً أروع الأمثلة في التضحية والثبات، وقول كلمة الحق مهما
كلفهم ذلك من ضياع أموالهم واستهداف حياتهم بالقلق أو الخوف
مهما سيحدث... أو حتى موتهم!.

الفصل السابع عشر

(المصاصة)

في الداخل أعد حسن نفسه، ارتدى سترته المعدة سلفاً للزيارة، والتي يطويها ويضعها بين بطاطين فرشته، لكي تظهر وكأنها مكوية وخالية من النتوءات أو الانكماشات. لاقترب منه إبراهيم وهو يحمل في يمينه زجاجة بلاستيكية بها رائحة طيبة، فسكب من عطرها على جسده وملابسه وهو يقول :

- افتح وشك كدة يا أخي... لازم أهلك مايلاحظوش عليك حاجة... لازم نظهر قدامهم إننا ثابتين... وكمان مش لازم يعرفوا إنك تعبان علشان ميقلقوش عليك... كفاية اللي هما فيه... ربنا يكون في عونهم.

ابتسم حسن ابتسامته المعتادة والتي تلخص بين طياتها الكثير من الكلام :

- ماشي يا إبراهيم... حاضر مش هاقول لهم... وطبعاً إحنا ثابتين... ومش بياثر فينا غياب سجان ولا سوطه.... ببقى قلقان بس على أختي مريم انت عارف إنها بتيجي لوحدها.
مد يده وعدل من ياقة سترته :

- إن شاء الله تكون آخر زيارة يا حبيبي وترجع ليهم بقى سالما غانما.

الفصل الثامن عشر

(الشاويشة منال)

الانتظار القاتل؟! هو ذاك الانتظار الذي تنتظره مريم خارج أبواب السجن. لم ترد أن تجالس أحداً من المنتظرين في الخارج، لأنها فعلت ذلك في السابق... وندمت. اقررت تتجرع مرارة الانتظار وحدها بدون أنيس أو حبيب.

- مريم محمد الحداد.

نادى السجنان بصوته الأجش فحملت شنطة الزيارة واقتربت من الباب.

محطات يمر بها الزائر قبل الوصول لقاعة الزيارة..! مشت مريم وهي منحنية لليمين قليلاً؛ أثقلتها الشنطة التي تحملها لأخيها والتي تحتوي (طعام ملكي - ملابس - بعض أغراضه الخاصة كفرشاة للأسنان - الصابون - خضراوات وفاكهة).

مرت على المحطة الأولى وكانت عبارة عن ممر ضيق عرضه حوالي متر في نهايته يقف اثنين من المخبرين سدا الطريق أمامها. وضعت شنطتها بين يدي أحدهما فقال -

معاكي موبايل أو أي ممنوعات في الشنطة دي... لو لقيت حاجة

هلبسك قضية

- لأ.... الموبايل سبته بالخارج... الشنطة مش فيها غير الأكل.

قال الرجل بنبرة زيلها بالاستهزاء -شكلك كدة تبع الشيوخ؟!

- لأ أنا أخويا مسجون.... وقبل أن تقول سياسي تذكرت ما حدث عند البوابة الرئيسية فلم تكمل كلامها.

عاجلها الرجل:

- وريني الشنطة دي علشان نخلص..!

أمسك المخبر طرف الشنطة بيد وبالأخرى أخرج محتوياتها.. فض
كيس الخضار واحدة واحدة وشقها نصفين بسكين حاد كان في يده!
شاكاً أن تكون أخفت بين حبات الطماطم برشام أو ممنوعات! كيف
يظن أنها تضع برشام بين الحبات وترجعها كما كانت بالهيئة التي
خلقها بها الله تعالى!

أخرج بعد ذلك الملابس وربما بها بجوار الحائط! ولما سألته عن
سبب ذلك أجاب :

- الهدوم ممنوعة!... هتخرجي تلاقيهم مكانهم.. ابقى خديهم!!
ما حجتهم في ذلك! لا تعرف! لم يبقى في الشنطة غير طبق من الفل
به وجبة ساخنة.

فتحها بعشوائية! ومزق بطرف أصابعه بعض قطع اللحم ووضعها
في فمه!! يذوق حتى يقيم أتعرف تطهي الطعام أم لا ؟!

وبعد أن هتك عرض قطعة اللحم غرس أصابعه بين حبات الأرز
وبعثرها لينظر هل أخفت بها شئ أم لا؟!

في النهاية أعاد المحتويات من جديد للشنطة ثم حملتها بين يديها لتدخل على المحطة الثانية من التفتيش.

يبدو أنها ستعاني نفس المعاناه التي يعانها أخيها في الوصول إلى مستشفى السجن.

كانت تقف على بعد خطوات من المخبرين، امرأة ضخمة الجثة ترتدي زياً عسكرياً وغطاء رأس أسود، وضعت فوقه (باريه) ! إنها الشاويشة منال، مسؤولة عن تفتيش النساء الداخلات للزيارة تفتيشاً ذاتياً، اقتربت منها مترقبة؛ فهي ليست المرة الأولى التي تراها فيها... تعرفها جيداً من قبل... تعرف طريقتهما في التفتيش، حتى أصبحت أمامها مباشرة وضعت الشنطة جانباً وفتحت ذراعها كمن تستعد للطيران.. بدأت منال في تفتيشها فمررت يداها الممتلئتين على غطاء رأسها وأدخلت أصابعها في الفاصل بين رأسها والغطاء، ثم مررت يديها على ذراعها حتى أسفلهما..! مازال وجه مريم مترقب يكسوه الرعب والقلق والخوف، على الرغم من أنها لا تحمل أي ممنوعات بداخل جسدها، نزلت الشاويشة وعبثت بيديها أسفل صدرها.. ما الذي يمكن أن تخفيه المرأة في هذا المكان؟! حتى وصلت للمكان الذي يجعلها تتحرك مجبرة حتى تنتهي منال من هذا التفتيش..!.

اعتقاد سائد عند رجال الشرطة أن الزائر يُدخل ممنوعات للنزول مواربها بين رجليه..!!

لا يختلف في ذلك رجلٌ أو امرأة لذلك تركز منال التفتيش في هذا

المكان عليها أن تجد بغيتها..! ولكن اكتشفت مريم في زيارتها السابقة حلاً يمنع هذه ومن على شاكلتها من العبث أو التحرش.. دست يدها في سترتها وأخرجت عشرون جنيها ووضعتهم في يد المفتشة، فبادلتها الأخيرة الابتسامة المسحورة وقالت لها - «زيارة سعيدة.. عايزة أي حاجة تانية أعملها لك»!!

إذا الأمر ليس تفتيشاً للبحث عن الممنوعات ولا لإتقان العمل كما يدعون وإلا خمسون جنيها ممكن أن تدخل أي ممنوعات بدون أي جهد..! وهذا بالفعل ما تفعله نساء الجنائين ، ومريم نفسها قد حصلت على هذه الطريقة الأمنة من إحداهن في الزيارة السابقة.

حملت الشنطة بعد أن أنهت محطات التفتيش بنجاح.. واتجهت إلى نهاية الممر حيث قاعة الزيارة مباشرة.

الفصل التاسع عشر (الطريق إلى القاعة)

الثانية ظهراً

مبنى الزيارة

جلست مريم على المصطبة المواجهة لباب دخول السجناء، حتى يراها أخيها فور دخول القاعة، لم ترفع نظرها عن الباب الذي مازال مغلقاً، تأهبت أذناها لسماع مزلاق الباب وهو يفتح...! صوت يشعرها باقتراب لحظات السعادة المؤقتة...رتبت ما ستقوله.. ستحضنه.. ستطعمه بيدها.. قررت أنها لن تحكي له عن مشاكلها حتى لا تثقل عليه! فما هو فيه كفيل أن يحرك الجبال.. حاولت تهذيب محتويات الشنطة في وقت الانتظار.. سقطت من عينيها دموع متفرقة وهي تتجول بيدها داخلها.. دندنت بخفوت حتى لا يسمعها أحد « اللهم انتقم من الظالمين».

على بعد مترات كان يقف أخوها في طابور النزلاء المسموح لهم بالزيارة اليوم..

نادى المخبر الاسماء بالتتابع، من ينادي عليه يخرج من باب العنبر وينتظر مطأطأ الرأس! في النهاية يكون طابور طويل، كل اثنين متجاورين...كرر المخبر نداء الاسماء مرة أخرى! ثم طاف حولهم وهو

يشير بيده ١-٢-٣-٥ ليتأكد أن عدد النزلاء الواقفين أمامه هو العدد المطابق للكشف، وبالطبع هذا التطابق لا يحدث من مرة واحدة ولا مرتين ولا ثلاثة!.. فيظل يحصر العدد الحقيقي أكثر من ستة مرات حتى تحصل المطابقة؛ لأنه في كل مرة إما أن ينسى أحدهم أو يعد أحدهم مرتين... (وهذا حال الظلم في كل زمان فبرغم ظلم الظالم وسطوته وجبروته إلا أنه يشعر في داخله بحقيقته وأن من أمامه ليسوا مجرمين ولا قتلة ولا حتى إرهابيين! مما يخلق حالة من الارتباك بداخله، تلمس عينيه! هل سمعت من قبل عن أحق ارتكب ظلما وعاد إلى بيته سالما يكون في حالة طبيعية كباقي البشر؟! دائما ما تراه يتسبب في أخطاء كثيرة نتيجة ارتبائه؛ فمن فطم نفسه على تجاهل الحقيقة حينما يطلبها في أي وقت لا يراها إلا زيفا أو خطأ أو خداعاً... وهذا حالهم!

بعدها صرخ المخبر في الجميع :

- مش عاوز أي مخالفات... أول ما أصفر تقوموا على طول...
أي ابن (...) هيتأخر بعد الصفارة هاجي أخده من حضن أمه...
مفهوم؟!.

تقدم المخبر الطابور وأشار لهم بالتحرك في إثره.. كان حسن ثالث سجين بعد المخبر مباشرة، يأسف على حاله لأنه جعل أخته ترى زهرة شبابها بين أسوار السجون... شد انتباهه أحد الجنائين الزائرين يحمل في يده بوكيه ورد؟! ليس بوكيه بالمعني الحقيقي وإنما هو عبارة

عن مناديل ورقية مطوية بطريقة معينة وملتفة حول بعضها لتظهر كأنها وردة حقيقية ثم تجمع أعداد كثيرة منها فتكون بوكيه أشبه بالحقيقي.!

نادى حامله في جميع النزلاء :

- حد يشتري ورد... إدي لحبيبتك بوكيه ورد بعلبة سجائر بس.
اقترب منه حسن ودس يده في سترته وأخرج علبة سجائر يحملها معه للطوارئ؛ ربما تحدث مشكلة مع أحد المخبرين فيعطونها له رشوة فيهدأ في الحال... اشترى الورد... وظهرت على وجهه ابتسامة حنونة.. سيعطيه لأخته....

الفصل العشرون (عطش الحقيقة)

قبل ذلك بساعتين
مبنى المستشفى

وصلت هبة إلى مكتبها في تمام الساعة الثانية عشرة ظهراً؛ منذ ليلة أمس كانت في حالة أرق شديد وحيرة من أمرها.. وخصوصاً بعدما تذكرت حسن وتذكرت موقفها السابق معه. استيقظت أمس حوالي الساعة الرابعة فجراً.. ظلت جالسة على سريرها لم تتحرك!! ضامة ركبتيها إلى صدرها وملتحفة فراشها الدافئ، كان جسدها في الغرفة وعقلها في السجن ومستشفاه!.. حسن!.. ما سبب انشغالها به لهذه الدرجة؟ معرفتها به في السابق وإن كان موقفاً شهماً منها إلا أنه كان موقف عابراً وانتهي!.. فمثل هذه المواقف تترك أثراً وفتية وتنتهي. ما سبب أرقها؟ ولما لم تتم في هذه الليلة؟ ربما كان هذا بعد الحلم الذي رآته فيه؟! الصحراء.. القفص.. البئر.. من هذه الطفلة الصغيرة؟ فكرت أن تقوم وتساءل والدها عن تأويله. فهي تعرف خبرته في هذا الأمر.. لكنه نائم الآن وسيستيقظ في الساعة صباحاً... لم تحسم أمرها بعد فيما أن كانت ستساعد حسن أم لا؟ ما زالت تراه أولاً وأخيراً سجين؟ ليس أكثر من ذلك بصرف النظر عن صفته أو إن كان مظلوماً

أو ظالماً ! اتكأت وهي تقنع نفسها بأن الحل عند والدها في الصباح...
تحاملت على نفسها وحاولت النوم في انتظار اللقاء والتأويل.
استيقظت على صوته صائحاً :

- يلا يا دكتورة.. الفطار جاهز.. بلاش كسل.. الناس مش بتأخذ
الأجازات علشان تنام..!

دفعت غطاءها ولممت خصلات شعرها وخرجت... مرت بوالدها
في طريقها إلى الحمام فطبعت قبلة على خده! عادة تفقده توازن يديه
الممسكة بالأطباق أثناء وضعها على المنضدة، أنهت حمامها وعادت
مسرعة؛ لأنها تعلم أن التأخير يتسبب دائماً في أن والدها لن يتناول
لقمة واحدة بدونها.. جلست.. وفر عليها عناء بدء الكلام، فدائماً ما
تجد هي عناءً في البدايات وبعدها تسيير الأمور أفضل :

- عمليتي إيه في المسجون اللي قولتي إنك شوفتيه قبل كدة ؟!

ازدردت طعاماً في فمها ورمقته بنظرة تملئها الحيرة :

- قدرت أوصل لعنوان على الفيس باسم حسن الحداد ومن معلومات

الصفحة تأكدت أنه حسن اللي أنا عاوزاه.

- جميل.. طيب قدرتي تعري في إيه اللي يربطك بيه؟

- أيوه.. تخيل يا بابا حسن ده كان من الأوائل على محافظة القليوبية

في الثانوية وحضر معايا حفل تكريم أوائل المحافظات في الإسكندرية!

رمقها بثقة كمن كان متأكد من مثل هذا :

- إيه الجديد؟! كنت متأكد من كدة.. معظم الثوار على مستوى

العالم كله كانوا أوائل وخريجي كليات قمة..عندك مثلا جيفارا كان طبيب أسنان، وماركس كان اقتصادي عالمي.. ووالدك أهوقدامك كان مهندس.

ابتسمت لكلامه ثم أردفت :

- بس أنا عمري ما سمعتك بتتكلم في السياسة يا بابا غير قليل جدا لما بتكتب مقال تعليقا على حدث رأي عام.
تملكته مشاعر الأب الذي طالما يحكي لأبنائه عن بطولاته وانجازاته فاستطرد :

- زمان وأنا في الجامعة كنت اتحبست ٤٥ يوم بسبب مظاهرات نظمها الاتحاد أمام الإدارة..طبعا كنت وقتها عضو في الاتحاد واتقبض على...واتحبست!

عقدت حاجبيها في استغراب لما تسمع :

- أيوه بقى... آمال فين يا بشمهندس التاريخ الجامد ده من زمان!
- أكيد هاحكيلك لو عاوزه، بس هو في وقت أصلا يا دكتورة عندك أو عندي؟

- بس الغريب يا بابا مش إني عرفت مين حسن ده؟! الغريب الحلم اللي شوفته امبارح واللي بسببه ماعرفتش أنام طول الليل.

وجه نظره إليها في حماسة لإظهاره الاهتمام بما سيسمع. حكته له ما رأت بالتفصيل عن الصحراء... القفص... البئر... الحبل... حسن... والطفلة.

صمت رهيب طوق المكان بعدما انتهت هبة من سرد حلمها لوالدها.
يبدو أنه عرف التأويل؟! وفي انتظار تجميع النقاط وربطها ليخبرها
بحقيقة الأمر.

لاحظت ما تملكه من دهشة فأردفت :

- إيه يا بابا ساكت ليه؟ هو الحلم فيه حاجة ولا إيه؟!

- بصي يا هبة، تأويل الأحلام شئ اجتهادي يعني ممكن يحصل
التفسير وممكن لأ...ومفيش حد يقدر يجزم إن تأويله صح؛ لأنه بكده
يكون بيدعي كذبا أنه يعلم الغيب... وده مستحيل على البشر حتى
الأنبياء إلا من ارتضى من رسول.

- أكيد طبعا يا بابا أنا بسأل حضرتك وعارفة طبعا أنه شئ
اجتهادي.

. الحلم ده لو فسرتة من خلال المكان هقول إن الصحراء والعطش
الشديد اللي كنتي حاسة بيه هو عطش لحقيقة مهمة غائبة عنك وطالما
حسن هو الشخص الوحيد اللي كان في الصحراء فأكيد جزء من
الحقيقة دي مرتبط بيه.. وان الاتجاه الصحيح كان للخلف فدا معناه
إن الحقيقة في الماضي.. والرائحة الطيبة اللي كانت في عرقك دليل إن
جواك طيب تستهلي معرفة هذه الحقيقة.. والقفص طبعا السجن..
والصلاة وانه مارداش عليكي فأكيد هيحصل حاجة تبعد المسافات
بينكم.. أما البئر والحبل المقطوع والطفلة فدا تفسيره عند حسن وحده.
بنبرة هادئة أردفت :

- بس تفكر حقيقة إيه اللي ممكن تربط بيني وبين حسن ده؟!
- قولتلك إن مافيش حد يقدر يجزم إيه الحاجة دي بالضبط، هي بس تأويلات ممكن تسهل علىنا معرفة طريق الحقيقة.

في حيرة شديدة كست وجهها استطردت -

- يعني يا بابا شايف إنني أعمل إيه؟!

- أكيد طبعا بدون تراجع لازم تعرفي حسن ده قصته إيه وتتكلمي معاه وممكن من خلال كلامه تقدري تربطي الخطوط ببعضها.. خلي بالك أنا هاكون متحمس جدا لسماع اللي هيدور بينكم لأنني متأكد انه وراه قصة ممكن تكون رواية عالمية

ابتسمت بطفولة رافعة إحدى حاجبيها :

- أيوه.. أقول بقى انك عاوز تطلع بمصلحة من الموضوع يا بابا يا

حبيبي!

- مصلحة؟! في بنت رقيقة وبنوته زي العسل تقول مصلحة؟!

مدت يدها وربتت على كتفه :

- بهزر معاك يا بابا... هو حرام أهزر ولا إيه؟

- مااشي... بس بكرة لما تروحي الشغل لازم تستدعي حسن ده وتساليه عن قصته.

قالت وهي تقوم من مكانها متعجلة

- وبكرة ليه؟! النهارده... الصراحة مش هقدر استنى لحد بكرة بالحيرة دي كلها.

قطب جبينه لأعلى :

- بس ميعاد شغلك بكرة، هتروحي النهارده ازاي... هيدخلوكي؟!

- هيدخلوكي؟! إيه يا بابا هي مدرسة ولا إيه؟! أنا دكتورة يا بابا!!

وكمان ليا وضعي.. انت ناسي إني بنت مجدي الغراب ولا إيه؟!

جهزت نفسها سريعاً ووصلت إلى المستشفى

وهي الآن في مكتبها.

الفصل الحادي والعشرون

(التقارير)

سمعت طرقات خفيفة على الباب فأذنت للطارق بالدخول
- اتفضل.

كان ياسر الطبيب العام ومدير مستشفى السجن.. رجلٌ في نهاية
عقده الخامس، يقولون عنه مخضرم مصلحة السجون! يعدونه أحد
الأعمدة القوية في جدار المصلحة. كثيراً ما أخرج ضباطهم من قضايا
قتل وتعذيب! فكم من تقارير كتبها أخرجت سبب الوفاة بعيداً كل البعد
عن القتل العمد؛ لذلك له وضعه وتقديره داخل السجن وله كلمته
المسموعة!.

- إيه يا دكتورة هبة... واحشك السجن أوي كدة علشان تيجي في يوم الأجازة.
قامت ثم مدت يدها وصافحت يده الممتدة في وقار واحترام :
- طبعا أكيد الشغل بيوحشني يا دكتور خصوصا لما يكون مع حضرتك،
وكمان لقيت نفسي فاضية فقولت آجي أشوف أي حاجة أعملها.

قابلها بابتسامة بعدما ثبتته بمسمار صلب عشرة سنتيمتر. حياها
وخرج عائداً إلى مكتبه بين تقاريره التي ليس له شاغل غيرها، فهو
الموزع المعتمد للتقارير في كافة سجون مصر وربما استعارته هيئات
أخرى تابعة لوزارة الداخلية.

انتظرت هبة حتى خرج ثم ركضت باتجاه الردهة الواسعة للمستشفى، ونادت على المسير (حاتم) ثم عادت أدراجها إلى مكتبها بعد أن أخبرها أنه سيأتي لها بعد أن يوصل بعض الطلبات لمكتب المأمور.

انتظرت بفارغ الصبر حتى جاء فسمحت له بالدخول

- أيوه يا دكتورة... أمري.

بدون أن تنظر إليه بدت أنها منشغلة في كتابة أمر مهم في ورقة أمامها، حتى لا يشعر أنها متلهفة لمجئ حسن للمستشفى مما قد يثير حولها الشكوك :

- عارف النزيل اللي كان هنا امبارح؟!

- مين؟!

- آخر واحد كشفت عليه، بتاع عنبر (ج)، اللي عمل خناقة داخل المستشفى.

- أيوه افكرته... حسن الحداد، دا عنبر السياسي.

- عاوزاك تروح دلوقتي العنبر وتجيبهولي ضروري، علشان في بيانات ناقصة نسييت أخذها منه ولأن حالته صعبة لازم أعمل تقرير له علشان يتعالج في مستشفى خارجي تبع المصلحة.

اضطرت أن تكذب هذه الكذبة حتى لا يشك أحد في أمرها، وهذا الأمر طبيعي؛ لأن هناك حالات تضطر إدارة المستشفى تحويلها للخارج وحتى لا تتحمل إدارة السجن مسئولية السجين إن مات أو حدث له مكروه.

ذهب حاتم إلى العنبر وسأل عليه فأخبره مسير العنبر أنه في زيارة... فأبلغه تحويله للمستشفى فور وصوله ضروري لأن الدكتور في انتظاره... عاد إلى هبة وأخبرها بما حدث فسألته عن مدة الزيارة فأجابها أنها ما بين الساعة والنصف ساعة. يعني أمامها على الأقل ساعة حتى يصل إليها... بحساب وقت إجراءات التفطيش المتبعة بعد الزيارة... لكن لا بأس.. ستنتظره!.

الفصل الثاني والعشرون

(الطفلة)

الثانية ظهراً

قاعة الزيارة

أخيراً فتح الباب... ركض حسن باتجاه القاعة المكتظة بالأهالي، أعداد هائلة، منهم الواقف ومنهم الجالس.. الصامت.. والمتحدث.. أرض المحشر! ترقب أعينهم جميعا الباب الحديدي الذي فتح لتوه ودخل منه السجناء. حاول تخطي بعض الأطفال المجتمعين عند الباب في انتظار آبائهم أو إخوانهم من السجناء... طاف يبصره في المكان... يمينه ويساره... حتى وجدها أمامه مباشرة على بعد مترات، ترفع يديها وتشاور باتجاهه، بصوتها كمن يصرخ في المولد... أسرع متفادياً الأهالي، رافعا بوكيه الورد عاليا حتى لا يصطدم بأحد فيتلف... حتى وصل إليها، رمت الشنطة وجرت هي الأخرى نحوه، ضمها بشدة بين ذراعيه، تمنى أن لا ينتهي وقت الزيارة أبداً، فكم تشتاق لأخيها... وحيدها... أبوها وأمها وكل مالها في الدنيا، شعرت في حضنه مدى الظلم الذي وقع عليها من الظالمين حين حرموها منه، تمنى لو تقتلهم جميعا وتخرجه من بين أيديهم... حاله لا يختلف كثيراً عن حالها، يأسف عليها فمثلها الآن تعيش بين أهلها وعائلتها لا في السجون بين المجرمين والقتلة.

تساقطت دموعها كشلال على كتفه، فباعدها عنه سنتيمترات
وأمسك برأسها ورفعها أمام عينيه :

- مش قولت قبل كدة مش عاوز أشوف الدموع دي تاني.

فأجابته بصوت حنون خالطته الدموع :

- عامل إيه يا حسن... وحشتني يا حسن... وحشتني

ثم ضمته إليها مرة أخرى

رفع يده وقدم لها الورد .. فأخذته فرحة كبنت مدللة فرحت بهدية

أعطائها لها والدها في يوم عيد ميلادها.

- جميل جدا يا حسن... شكرا يا حبيبي ربنا يخليك ليا ويحفظك

يارب.

أجلسها على المصطبة وجلس بجوارها واضعا يدها بين راحتيه

- أخبارك إيه يا مريم؟ وأخبار الكلية إيه؟ ومستريحة عند خالتك

وللا؟

- أنا الحمد لله يا حسن زي الفل مش ناقصني غير وجودك معايا،

بس إن شاء الله خير ياخويا قريب جدا هاتكون معايا نبدأ بقى حياتنا

زي كل الناس.

بعينين حالمتين أردف :

- إن شاء الله... مفيش أي أخبار جديدة عن البلد؟ ولا لسة الناس

نايمة! بيفكروا في الأكل والشرب وخلص ومش فارق معاهم ذل أو

إهانة؟!

رسمت على شفيتها ابتسامة بعثت الأمل في كل أركان المكان :

- لأ مفيش جديد يا حسن الناس زي ما هي! بس بيقولوا هيعملوا
عفورئاسي في الأيام القادمة... وحاسة إنك هتكون منهم.
أردف ساخراً :

- عفورئاسي! انتي بتصدقي الكلام ده يا مريم... الكلام ده بنقرأ
عنه في الروايات السياسية فقط... وحتى لو حصل بيخرجوا الناس
اللي قربوا يخلصوا مدتهم... أو حتى الناس اللي ليها وسايط جامدة!
أرباب الطبقة النبيلة...!
ضغطت على يده بشدة :

- مش عاوزه أشوف نظرة اليأس دي تاني يا حبيبي دا أنا أصلاً
اتعلمت الثبات منك.. وبعدين فين يا جبل ما يهزك ريح!
استطرد :

- أكيد ثابتين وصامدين لحد النهاية ومش هنساوم ولا نتنازل...
والسجن عمره ما غير فكرة... وبعدين سيبك بقى من السجن واحكي لي
عنك يا مريم.

- أنا ياخويا زي الفل طول ما انت كويس... خلاص أيام وهنروح
الجامعة، السنة الجديدة هتبدأ.. ومش مقصرة في الصلاة زي ما انت
قولتلي... متقلقش عليا.

قال وهو يضغط على مخارج الألفاظ والحروف :

- طيب بتصرفي في منين يا مريم؟!

إبتلعت غصتها، فهي لا تريد أن تحمله همها :

- الحمدلله يا حسن الفلوس اللي انت سايبها لسة معايا منها
لحد دلوقتي وبمشي حالي محدش بيموت من الجوع يا بشمهندس...
أهم حاجة يا حبيبي ليا عندك طلب؟ علشان خاطري يا حسن مشي
حالك جوا ومالكش دعوة بحاجة على الأقل لحد ما تخرج، خلي بالك
من كلامك ما حدش عارف ممكن حد ينقله! ويأخروك في الخروج أو
يعملوك قضية ثانية.

- عارفة يا مريم في كلمة لما ركيز كتبتها في الكراسة بتلخص كثير
من الحال اللي إحنا فيه «لقد أعدمونا من زمن فات»... لا يضر الشاة
السلخ بعد الذبح... هيعملوا فينا إيه أكثر من كده... متشغليش دماغك.
قالت وقد اكتسى وجهها بمسحة حزن :
- دماغك ناشفة ومش ناوي تجيبها لبر... بس برده خلي بالك من
نفسك.

- سيبك من السياسة والسجن فين المصاصة والشيكولاتة؟!
ابتسمت إبتسامة تعالت على قمة المحنة ثم أردفت وهي تمد يدها
داخل سترتها :
- مش هاقولك بقى يا حسن أنا عملت إيه علشان أهربك الشيكولاتة
والمصاصة! كنت حاسة إني بعمل عمل بطولي! هههههههه
- ههههههههههه... أيوه بقى... لازم نعلم عليهم حتى بالمصاصة!
في قاعة الزيارة يتجول عدد لا يقل عن عشرة مخبرين بين صفوف

الأهالى مترقبين أن يعطي أحد الأهالى للسجين شئ مخالف، يتصنتون لسماع أي كلام عن هروب أو تهريب ممنوعات داخل السجن، يجلسون في بعض الأحيان ملتصقين بالزائر وأهله رغما عنه! لالتقاط ما يقوله! وليس لأحد هنا حق الاعتراض! هذا نظام الزيارة... ولو اعترض أحدهم صرخوا فيه :

دي زيارة سجن يا حبيبي مش لقاء في جينة الاسماك..!
رأى أحدهم مريم تدخل يدها في سترتها وتخرج شيئاً ما وأخيها بدت عليه علامات الترقب والسعادة في أن واحد، اقترب منهم وأمسك بكيس الشيكولاتة وهو في طريقه لحسن.. ثم قال وهو يرفعه أمام عينيه :

- إيه ده.. ده حشيش ولا إيه؟

قابله حسن بابتسامة قائلاً :

- حشيش إيه يا باشا دي شيكولاتة!.

قال بعد أن شمها ووضع جزء منها على طرف لسانه وتأكد أنها ليست حشيش:

- بس الحاجات دي ممنوعة هنا.. وفيها مخالفة وتأديب.. تعالى

ورايا!

شرع حسن باتباعه فجذبه للخلف ودست يدها في سترتها وأخرجت

عشرون جنيهاً دفنتهم في يد المخبر قائلة :

- خلاص بقى ومش هيعمل كدة تاني!!

سرى سحر الفلوس في عروقه فأعطاها الكيس قائلاً :

- ماشي بس متكرررش تاني.. وياكلها هنا علشان مينفعش يدخل

بيها جوا!

مشي المخبر وعادا لمكانهما

- شكلك بقيتي خبرة في التعامل مع الحمقي؟!!

بنظرة ثقة أردفت وهي تعدل من ياقتها متظاهرة :

- هعمل إيه لازم كنت أتعلم الحاجات دي من الجنائين علشان

أعرف أسلك أموري في التفتيش

- ثم همست في أذنه باسمه- أدخلك موبايل كمان لو عاوز! سهلة

خالص بس انت قول ماشي!

وضع يده على فمها كي تصمت :

- غيري الموضوع ده ؟ انت متعرفيش إيه اللي بيحصل للي بيتمسك

بالموبايل؟!

- إيه يعني اللي بيحصل؟!

- لأ ولا حاجة خالص! هيدخل بس التأديب ١٥ يوم وهيتحرم من

الزيارة شهر واحتمال يرحلوه من السجن لمكان بعيد! بسيطة خالص!

صح؟!

ضاقت حدقة عينيها :

- بسيطة؟! أنا بقول نغير الموضوع أحسن يا حسن.. الطيب أحسن

برده..

بدأت بعدها في شرح محتويات الشنطة لأخيها متأسفة لما حدث

فيها أثناء تفتيشها، ثم سألته إن كان يريد شيئاً تأتيه المرة القادمة به.
في الوقت الذي اقتربت منهما طفلة صغيرة تحمل في يديها كيس

(شيبسي)، مدت يديها لحسن الذي استغرب فعلتها ثم تلعثت :

- عمو.. عمو ممكن تاخذ كيس الشيبسي ده وتخرج بابا معايا

دلوقتي؟!

اغرورقت عينا مريم بالدموع، فنظر إليها أخيها مشفقاً وأراد
أن يصرف الطفلة حتى لا تقلب عليه وعلى أخته مواجهاً عانوا في
تضميدها.

سألها :

- بابا فين يا حبيبتي؟

أشارت الطفلة لمسجون زائر يبدو من شكله انه جنائي، يجلس بجوار

زوجته

- بابا هناك أهو.

حملها بين يديه وأوصلها إلى الجنائي الذي لم يُظهر أي اهتمام
بأمرها على الرغم من أنها ابنته، فأخذتها والدتها منه وشكرته.

رجع حسن إلى مريم التي مازالت ترقبها ووالديها ودموعها لم تجف

بعد فواساها :

- إحنا هنقضيها عياط ولا إيه يا مريم لاحظي إن الزيارة قربت

تخلص ومشبعتش منك على فكرة.. في إيه بقى؟!

مسحت دموعها وأردفت -

- أسفة يا أخويا بس افكرت بنتك حرية.. كان زمانها أد الطفلة دي!
إزدرد ريقه وبدأت عيناه هو الآخر تمتلئ بالدموع :
- بنتي؟! هي فين بنتي يا مريم؟ بنتي اختفت وربنا وحده يعلم إن
كانت عايشة ولا ماتت! ومراتي ماتت.. وأنا اتسجنت!!
ربتت على كتفه باسمه :
- إن شاء الله عايشة وربنا هيجمعكم مع بعض ويتقبل سارة زوجتك
في الشهداء.. الله يرحمها كانت زي الملائكة.
صدعت إحدى الزائرات فجأة بصراخ ملاً المكان، وكأنها رأّت كلباً
قادم ليفترسها!.

الفصل الثالث والعشرون

(الأسياذ والعبيذ)

هزج وضجيج داخل القاعة، سارع أحد المخبرين وأغلق البابين الخاصين بالزائرين والسجناء، حتى لا يحاول أحد الهروب وسط هذا الزحام.

ترك حسن مريم في مكانها وجرى باتجاه الصوت في وسط القاعة.. ظن أن يكون أحد السياسيين تعرض لخطر ما، لم تنتظر مريم واتبعت أثره.. فكان ما توقعه!! سيذة من أهالى الزائرين تجلس على الأرض، وتبكي صارخة، تشاور بيدها في اتجاه ما.. نظر حسن إلى الاتجاه المشار إليه فوجد جميع المخبرين ملتفين حول سجين يبرحونه ضرباً وهو في المنتصف يرفع يده متحاشياً ضرباتهم من أن تصل إلى رأسه أو وجهه.. بدت كلمات المرأة الصارخة تتضح «والله ما عمل حاجة... أنا بلبسه الخاتم... المخبر افكر إنى بديله حاجة ومسك ايدي! إبنى زقه بس علشان مسك ايدي، إنما والله ما عمل حاجة... والله ما عمل حاجة»

غلي الدم في عروقه! كيف يتجرأ هذا الوغد من مسك يدها؟! أليس للنساء حرمة؟ لما لا ينادي السجناء لتفتيشها؟
جرى باتجاهه ودفع أيديهم عنه، مطوحاً بيده يمناً ويسره:

- «سبوه يا ولاد الكلب.. سبوه...يا ولاد الكلب... انتوا مش بني آدمين؟»

إلتف حوله ثلاث مخبرين وأركلوه ضربات متتالية، سقط بعدها على الأرض فوضع أحدهم حذاءه على رقبته -

«عاوز إيه يا ابن (.....) وريني بقى هتعمل إيه؟!»

ركضت مريم باتجاه المسجى على الأرض وجثت على ركبتيها وقبلت قدم المخبر أن يرفع حذاءه عن رأس أخيها الذي بدأ يلفظ أنفاسه بصعوبة :

- أرجوك سبيه-صرخت... بكت- خلاااص حرام عليكم.

دوت صفارة انتهاء الزيارة داخل القاعة، تبعها صوت المخبر :

- كل الأهالي تخرج من القاعة.... عاوز دقيقتين كل الناس تكون بره... بسرعة رئيس المباحث جاي.

تشبثت مريم بيد أخيها، لا تريد أن تتركه على هذه الحالة مع هؤلاء المجرمين، فجذبها أحد المخبرين من يديها عنوة، ونظرات حسن تتابعها من تحت الحذاء الراقد على رقبته.

- قتلتك قومي يا إما أعملك محضر مساعدة مسجون على الهروب، وهتشر في عندنا في السجن!

حرك حسن يده ببطء كي تمشي ولا تعلق.. خرجت بعدها من القاعة وعيناها متعلقة به ومصيره المجهول، تبعها الأم الصارخة التي لم يختلف حالها كثيراً عن حال مريم.

وبعد خروج آخر الأهالي من القاعة أغلق الباب الخاص بهم وبقى الباب الآخر مفتوح.

صرخ رئيس المخبرين في حسن والسجين السياسي الآخر :

- يلا يا ابن (...) انت وهو إقلعوا هدمكم...عاوز أشوفكم زي ما أمكم ولدتكم... بسرعة يا أولاد (...).

قام حسن وخلع ملابسه كاملة وبالمثل فعل الآخر... صرخ المخبر - وشكم للحيطه..!!

إستدارا للحائط وهما يواريا سوءاتهما بكفيهما.. كيف كان شعور آدم وهو في وسط الجنة يوارى سوءته بيده؟! ولكن هنا ليست الجنة، بل أرض الكفر والنار.

دقائق ودخل من الباب رجل أربعيني، عريض المنكبين، طويل يوارى عينيه بنظارة سوداء ويمسك بيده هاتفه غالى الثمن وعلبة سجائر حمراء اللون.

رفع المخبرين أيديهم بالتحية العسكرية عند مروره من أمامهم.

بدأ رئيس المخبرين في سرد ما حدث داخل القاعة:

- العيال دول يا محمد بيه عملوا مشكلة في الزيارة... البيه كان بياخذ موبايل من أمه ولما المخبر قاله إيه ده خبطه بالبنية في وشه! والتاني قعد يهتف ويهيج الأهالي كلها علينا! وأكد دي خطة يا باشا علشان يحاولوا يهربوا حاجة في وسط الزحمة! بس خلاص الوضع تمام... هما واقفين منتظرين قرار سعادتك!؟

اقترب منهما رئيس المباحث... وفصل بينه وبينهما أحد المخبرين
غليظ اليدين.. فسأل الأخير موجهًا كلامه لحسن -

- اسمك إيه ياروح أمك؟

أجاب حسن مطأطأ الرأس :

- اسمي حسن محمد الحداد.

صفعه المخبر بكلتا يديه وكأنه سبه.. صائحاً :

- اسمك سوسن يا روح أمك، حسن دي هناك عند أمك في البيت!!

كرر السؤال مرة أخرى :

- اسمك إيه يالا؟!

سكت حسن ولم يرد بأي اسم، فركله بجذائه في وسط رجليه فسقط
تواً على الأرض، وأمسك برأسه وصدمها بالحائط أكثر من مرة! ولم
يتوقف حتى أشار له رئيس المباحث، فتوقف.

اتجه للآخر :

- اسمك إيه يا حيلتها؟

فأجاب :

- اسمي عمر

فحدث معه مثلما حدث مع حسن!

بعدها وجه رئيس المباحث كلامه لهما مباشرة... بحدة :

- عاملين فيها أبطال؟! يا ولاد (...) هنا سجن... عارفين يعني إيه

سجن؟ يعني أخرك هنا تبوس رجل سيدك! وأفكارك اللي بتصدعنا

بيها في الشارع تنساها تماما... مش كفاية بنخليكم تزوروا أهلكم...
كمان هتنتططوا جوه السجن... على العموم أنا ليا تصرف ثاني معاكم؟
ثم أشار لأحد المخبرين :

- هات ليا التذاكر بتاعتهم.

أحضرت التذاكر، فكتب عليها بالأحمر :

تأديب لحين صدور عفو عنهم!!

- التأديب في السجن له لائحة خاصة، فلا بد من تحديد المدة والسبب، وتكون المدة في الغالب لا تزيد عن أسبوعين، ويتم عرض السجن قبلها على مستشفى السجن للتأكد من أن حالته الصحية تسمح له بالموث في الحبس الانفرادي المدة المقررة، ولن تعرض حياته للخطر، لكن هنا لا التزام بأي قوانين داخلية أو خارجية! السائد قانون واحد فقط- الأسياد والعبيد!

تركهم مع المخبرين وعاد أدراجه حيث جاء، وقبل خروجه من القاعة نادى أحدهم وهمس في أذنه :

- هات مرهم وامسح مكان الجروح علشان متعلمش، محدش ضامن الأهالي يبلغوا حقوق الإنسان ويصدعونا بكرة!

أوماً المخبر برأسه موافقاً وحاسداً سيده على ذكائه الخارق في

تفادي مثل هذه الأخطاء الصغيرة.

جاء بعدها آخر بسترتين من الخيش النتن، لبس خاص بدخول

التأديب...

ثم ذلك أماكن الجروح بمرهم مضاد حيوي ليزيل آثار الجريمة!

ولكن أيزيل المرهم جرح القلب، وتسجيل العقل لما حدث بالتفصيل

ليطلع التاريخ يوماً عليه ويعرف أن ما كان يطلقون عليه في السابق زمن

الوصاية بأسياده وعبده مازال موجوداً حتى ونحن في القرن الحادي

والعشرون؟!؟

الفصل الرابع والعشرون

(أضغاث أحلام)

الثالثة والنصف عصرأ

مبنى المستشفى

كانت هبة في مكتبها ترسم بقلمها دوائر متداخلة على ورقة بيضاء أمامها...! عادة تعودتها في الصغر حين ما يشغلها أمرٌ ما... ترسم ما هو بعيداً عن أي معنى يدور في عقلها! فعقلها منشغل في عالم آخر...؟! من حين لآخر تنظر للساعة، تتأفف أن الوقت مر دون أن يأتي.. ما الذي حدث؟ ولما لم يأتي حتى الآن؟

دخل عليها حاتم بعد أن أذنت له بالدخول... كان يحمل بين طيات وجهه خبر ما.. تمتت -

- في إيه؟! السجين اللي قولتك عليه مجاش لحد دلوقتي ليه؟

أردف بكلمات دخل مخصوص ليقولها :

- للأسف مش هايجي!

عقدت حاجبيها باستغراب :

- ليه مش هايجي؟

- عمل مشكلة في الزيارة... ضرب مخبر... ورئيس المباحث أمر

بروح التأديب.

وثبت من مكانها في توتر واضح ثم تساءلت :

- بس مش المفروض اللي بيروح التأديب بييجي المستشفى الأول ويعمل كشف حالة.

- لآ... رئيس المباحث أمر بالتأديب على طول من غير عرض على المستشفى!

- انت عرفت منين اللي حصل دا!

- الواد شنكل مسير الزيارة جه وقالى عاوز مرهم مضاد حيوي ضروري، وحقالى كل اللي حصل، بيقولوا إنهم أخذوا الطريجة التمام من المخبرين.

ظهرت على وجهها علامات الوجم والحزن واعتراها الصمت للحظات.. فاستطرد :

- حضرتك عاوزة حاجة يا دكتورة ؟

- شكراً... روح انت ولما أعوز حاجة هبعثلك.

كانت الساعة قاربت الرابعة عصراً، موعد إنصراف طاقم المستشفى، فكرت أن تحاول الوصول إليه، لكن بيدوا أن هذا أمر مستحيل؛ لأن معظم عنابر السجن تسلم مفاتيح التمام الآن! وعليها الانصراف فوراً.

جلست خلف مقود سيارتها شاردة الذهن، استرسل أمام عينيها شريط الأحداث الماضية، مشاعر متضاربة تجولت سارحة بداخلها، حاولت جاهدة أن تتفحص هذه الأحاسيس عنها، ما الذي يجعلها تتشغل به لهذا الحد؟ أليس الأولى بها الآن ترك هذا الأمر برمته لتعود لحياتها

كما السابق بدون اضطرابات أو مخاطر؟ ولكن... الحلم... أضغاث
أحلام لا قيمة لها، جاءها لأنها انشغلت بأمره، فمن الطبيعي أن يرى
الإنسان ما يجول بخاطره في أحلامه... لكن أليس ما نجى مصر كلها
كان تأويل يوسف لأضغاث أحلام أيضاً؟ لكنها ليست يوسف! وليس في
حلمها ما ينجي مصر! ولو اعتقدت ذلك أو فسر لها ذلك لكان هذا من
قبيل الهراء...! من صغرها لم تبحث وراء شئ وتتركه دون أن تسبر
أغوارها بكل تفاصيله...

... عنيدة لا تعرف التراجع... أتراجع الآن؟ لا بد أنها الآن أقنعت
نفسها بالاستكمال... وما الضير في ذلك، ووالدها يساندها ويريد هو
الآخر معرفة الحقيقة...

ستعود غداً للعمل، وستحاول الوصول إليه، ستخوض المعركة بهمة
عالية حتى تحقق انتصاراً كعادتها دائماً.

في الوقت التي وصلت فيه إلى البيت وارتمت على سريرها حاملاً،
كان حسن يرمى به في مقبرة الأحياء، زنزانة التأديب الانفرادي!

الفصل الخامس والعشرون

(إضراب)

التاسعة مساءً

زنزانة (٧)

«يا جماعة لو سمحتم محدش ينام علشان في موضوع مهم لازم نتكلم فيه»...!!

نادى أستاذ عادل مسئول الزنزانة والتي أحد نزلائها حسن، كان هذا في مساء الأربعاء، وصلت الأخبار العنبر من الزيارة بما حدث، بطبيعة الحال يوجد في العنبر مسير سياسي ينقل أخبار الخارج لمسؤولي الزنازين، حلقة وصل بين داخل العنبر وخارجه، كما أنه يعمل في معظم الأوقات ساعي بريد يرسل الرسائل المكتوبة من وإلى النزلاء. وبالتالي أي توصية بأي أمر تصل في أقل من دقيقتين للجميع ويتم تنفيذها في الحال.

كان إبراهيم وقت أن نودي عليهم وجم الوجه، حزين لما وصله من أخبار عن صديقه حسن فكم تمنى أن يأتي بعد الزيارة سالماً غانماً... لكن قدر الله وما شاء فعل.

الجميع في انتظار الأوامر الجديدة التي أقرها مجلس إدارة العنبر الداخلي عصر هذا اليوم ومن المفروض أن يبلغوا بها الآن عن طريق عادل. جلس الأخير وسط الزنزانة مرتكزاً على ركبتيه، ثم دعا كافة

الأفراد للانتباه ببدء كل واحد باسمه.. ثم قال :

- طبعاً كلكم عرفتموا اللي حصل النهارده في الزيارة، وأحب أسمع رأيكم في الموضوع دا ؟!

رفع إبراهيم يده يستأذن في الكلام فأشار له :

- لازم طبعاً نقف مع حسن، مش هنسيبه لوحده.. لازم كل واحد فينا يتخيل إنه في مكانه أكيد كلنا هنقف معاه..!!

شرح بعض النزلاء للرد عليه ولكن منعه عادل بقوله :

- ياريت كل واحد يقول رأيه من غير ما نرد على بعض، علشان نطلع بنتيجة واحدة في الآخر.

قال خالد في حماسة بعد أن خلع ثياب السخرية والاستهزاء :

- أكيد طبعاً لازم نقف جنبه... دا علشان هو واحد مننا.. ثانياً لو سبناه النهارده بكرة هايجي الدور على وعليك... ولا يأكل الذئب من الغنم إلا الشاردة..!! هو دا مش كلامكوا ولا إيه يا مشايخ... أنا بقول إننا نصعد بالداخل وبالخارج!! نصعد بالداخل تدريجياً، نعمل إضراب عن التعين وبعدين إضراب عن الطعام، وبالخارج ننشر الموضوع إعلامياً في كل الدنيا، وأكيد هنلاقي صحفيين محترمين هيساعدونا، ونبعت جوابات لحقوق الإنسان علشان يزوروا السجن...!!

خالد شاب في نهاية عقده الثالث... يتسم بروح ثورية وكرامة قلما تجدها في نزلاء الليمان، له صولات وجولات لزيارة تأديب السجن.. ينتمي فكرياً لحركة ٦ إبريل.. يناصرها في كل أن مدافعا

عنها بأفكارها ومبادئها.. يدخل دائماً في نقاشات حادة مع على وتنتهي معظمها بخناقة!! على الرغم من أنه ليس على قدر عالى من الالتزام إلا أن بداخله شخصية طيبة.. جدع.. تغلب عليه خفة الدم والسخرية من كل شئ.. صا في الصدر.. مبتسم في معظم الأوقات... ولا يترك أحدا يغضب منه إلا وسامحه في نفس الليلة.. حتى وإن كان صاحبه مخطأ..!!

لم يروق كلام خالد لهشام الذي وجه كلامه له بالرغم من وجود تحذير مسبق.

- ياعم صحفيين إيه؟! كانوا فين دول واحنا بنترمي في السجون، وحقوق إنسان إيه دول؟ غير رجالة الحكومة وسكان مبنى الحكومة وأبواق النظام الناعمة!! محدش هايسمع لينا؟!
رد عليه خالد :

- مفيش مشكلة إننا نحاول.. إحنا بنقرأ الجرائد كل يوم وعارفين الصحفيين المهتمين بقضية المعتقلين وممكن نراسلهم وأكد هيساعدونا... وبرده مش هانخسر حاجة!!
تأفف هشام وأدار وجهه للناحية الأخرى، فتدخل عادل في الحال حتى لا تحدث مشكلة

- خيلنا نشوف النقط اللي احنا متفقين فيها دلوقتي ونسيب الخلافات بعدين.. أنا كدة فهمت من كلام خالد وإبراهيم وهشام إنهم موافقين إننا لازم نقف مع حسن بأي طريقة كانت، بس أحب أسمع رأى الشيخ على؟!

دائماً ما يوجه كلامه لرئيس كل مجموعة لأن بالموافقة على العمل
يسير الكلام لازم على الجميع..

بدأ على كلامه بالحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله فزاد
حنق خالد وهمس بخفوت :
- خلص انت هاتخطب !!

لم يسمعه على وربما سمعه لكنه لم يعره انتباها فاستطرد :
- أولاً الإضراب حرام ومينفعش نمتنع عن الأكل والشرب لأن في
نهي عن كدة، وأنا شايف إننا نتجنب الشر لأننا ملناش قدرة بهؤلاء،
وحسن يومين وهايجي!! مش عاوزين نكبر الموضوع أهم حاجة!!
وقف خالد فجأة ووجه كلامه له مباشرة في نرفزة شديدة :
- أحب أقولك يا شيخ علي.. أح..!!!

قام على من مكانه ليتصادم معه وتبعه في ذلك أتباعه، فوقف
هشام وإبراهيم حائلين بينهم حتى لا يحدث شجار وينسى الموضوع
الأساسي !!!

هدأ علي !! وأشار لأتباعه بالرجوع للخلف موجهها كلامه لعادل
مسئول الزنزانة :

- أنا منسحب من الاجتماع دا.. وماليش دعوة بحاجة.. واللي عاوزين
تعملوه إعملوه، بس أنا من بكرة هاستلم التعيين ومش هعمل إضراب..
وهاكتب ورقة أتبرأ فيها من أي عمل خارج وهبعتها لرئيس المباحث!!
رمقه عادل بغضب ثم وثب متجها إلى فرشته بجوار الحائط

(المصلب) وأخذ يفكر فيما سيفعله بعد ذلك، فتوجه إليه هشام وخالد
واتفقا لأول مرة منذ زمن بعيد!!!
تحدث خالد أولاً :

- يا أستاذ عادل حضرتكم اتفقتم على إيه في الاجتماع النهارده؟
تنفس الصعداء ثم أردف - اتفقنا على إن الزنازين هتعمل إضراب
عن التعيين من أول بكرة..!! كل الزنازين مش هتستلم التعيين وهتكفي
نفسها بالأكل اللي عندها..!! وهنقدم طلباتنا للمباحث ولو ما وافقوش
على كلامنا هنبتدي نصعد بشكل جماعي..!! وبرده مع إضراب التعيين
هيكون في إضرابات عن الطعام للي عاوز يشارك بشكل فردي هيمضي
على الورقة دي..!!

أخرج ورقة من جيبه قدمها لهما....

السيد مأمور سجن وادي النطرون.. تحية طيبة وبعد -
أحيط علم سيادتكم أنا النزيل/..... مضرب عن
الطعام من اليوم
الموافق..... بتاريخ...../...../..... بسبب تعدي أحد المخبرين
على والدة النزيل/
عمر شوقي السيد، أثناء الزيارة وتفتيشها في حين أن هذا مخالف
لللائحة الخاصة
بالسجون، كما قاموا بالتعدي بالضرب عليه وعلى النزيل/ حسن
محمد الحداد وتم إيداعهما في التأديب.

لذلك أحمل سيادتكم المسؤولية الكاملة عن حياتي.. ولن أراجع عن
إضرابي إلا بعد تنفيذ الآتي -

١- عودة النزيل / عمر شوقي السيد، والنزيل / حسن محمد الحداد
إلى عنبرهما وإلغاء التأديب.

٢- الإعتذار الرسمي من الضابط المسئول عن الزيارة لوالدة النزيل
عمر.

٣- التعهد المكتوب بعدم تكرار مثل هذه الحادثة مرة أخرى.

توقيع النزيل/..... عنبر (ج) سياسي...

استطرد عادل قبل أن ينهي خالد قراءة الورقة ويعطيها لهشام
ليقرأها :

- المفروض اللي هيشارك في الإضراب عن الطعام فردي هيمضي
على الورقة دي، ويملاً البيانات وهيسلمها بكرة لمسير السياسي وهو
هيوصلها للمأمور، وبكده نكون بدأنا في خطوتين في وقت واحد..!!
لأن الإضراب عن التعين لوحده ممكن يأخر خروج حسن وعمر!!
تحدث هشام مستفسراً :

- بس هاتعمل إيه مع إخوانا البعده دول... بيتقولك هايكتبوا ورقة
بكرة ويسلموها لرئيس المباحث.. وهيستلموا التعين!!
تبسم عادل في ثقة :

- متقلقش الأغلبية هتشارك وهما غدبن عنهم لما يلاقوا نفسهم
منبوذين أكيد هيشاركوا.. اصبر بس!!

قال خالد متحمساً :

- طيب أنا هشارك في الإضراب وعاوز أمضي على الورقة دلوقتي..

لازم حسن وعمر يكونوا معنا في أسرع وقت!!

- ما ينفعنا ناخذ موقف فردي، سيبوني أما أخذ رأى الزنزانة كلها
دلوقتي وأشوف مين هيشارك في إضراب التعيين ومين هيشارك في
إضراب الطعام!!

صاح في الزنزانة من جديد فشرح لهم ما شرحه منذ قليل لخالد
قائلاً في النهاية -

- يا جماعة دلوقتي اللي مشارك معنا في الإضراب عن التعيين يرفع
إيده ؟!

رفع جميع الأفراد أيديهم موافقين بالإضراب عن التعيين في الغد
ماعدنا على ورفاقه!!

ثم أكمل :

- طيب مين هيشارك في الإضراب عن الطعام ؟!

سكت الجميع ولم يرفع أحد يده كأن على رؤوسهم الطير.. ماعدنا
خالد وهشام وإبراهيم..!!

حقيقة النفس تكمن أنه عند تعذيبها وذلها وإهانتها تصرخ..!!
وعند حرمانها من الطعام والشراب ترضى بالذل والإهانة مقابل
الحصول على لقمة عيش أو شربة ماء!!

ولا يمنع هذا وجود نفوس أبية تأبى الذل حتى وإن ماتت من شدة
الجوع والعطش!!

رفع الموافقين أيديهم وطلبوا ورقة للتوقيع عليها من عادل، فأوصاهم
بعدها بشد الأحزمة.. غدا معركة البطون الخاوية ؟!

الفصل السادس والعشرون

(مقابر الأحياء)

الخميس ٢٠١٦/٩/٨ م

السادسة صباحاً

مبنى الإدارة- التأديب

ساكن التأديب لا يستطيع التحدث إلا في محيط حجزه- والثلاث زنازين المتجاوره معه..(مقابر الأحياء).. استغاثات لا يسمعا أحد، وظلام لا تقربه شمس سوى ضوء زهيد بيثه مصباح معلق في الردهة الخارجية الرابطة الحجوز الأربعة. فتح أحد الثلاثة باب التأديب الرئيسي، ووقف عنده لا يتحرك للداخل؛ لاعتقادهم أنه ربما يصاب أحد النزلاء باكتئاب حاد مما قد يؤدي إلى حالة من الفوضى والتعدي، عندها يهرع هذا الواقف لأعلى مستجداً ويغلق كل الأبواب!!! تقدم الاثنتين الأخريين إلى زنزانه (١) .. كان حسن منذ لحظات واقفا يسترق السمع خلف باب زنزانه، أفزعه صوت مزلاق الباب وهو يُفتح، فهب واقفاً مترقباً..

-ارجع ورا يا لالا! ووشك للحيطه.. ومش عاوز كلام!-

استجاب حسن للأمر في الحال فدفع المخبر باب الزنزانه فجأة لأخره، وركض للداخل ثم ثبت عصاه في الحائط، حائلاً ليمنع حسن

من التحرك للأمام.

رفع الآخر البريطانية الملقاة على الأرض وفحصها جيداً، تفتيش دوري يحدث يومياً.. الهدف منه التأكد أن السجين مازال حياً!! وتفحص البريطانية والملابس ما إذا كان قتلها حبل ليشنق نفسه!! وكأنهم يخافون عليه من الموت؟!

انتهى المخبرين من التفتيش وخرجا من الزنزانة بعد أن صفح أحدهم حسن بيده على ظهره فألصقت رأسه بالحائط. اتجها بعدها إلى زنزانة (٢)، كررت نفس الكلمات برتابة معتادة..

فتح الباب لآخره ولكن هذه المرة لم يكن النزيل واقفا مترقب ظهره للحائط كما العادة.

كان مسجى على الأرض.. ضاماً رجليه إلى صدره كمن يعاني من وجع شديد في بطنه!!

-انت يالا.. اصحي يا روح أمك.

ظل عمر كما هو وكأنه لا يسمع الصوت أو ذهب لعالم البرزخ؟!
قلبه المخبر على ظهره ورفع يده لأعلى ثم تركها.. نزلت حرة الحركة؟!

- شكله مات ولا إيه -

- لسه نبضه شغال.. لازم ننقله المستشفى فوراً.. قبل ما المأمور يمر ويشوفه كده مفيش وقت.

حملة أحدهم وتولى الثاني غلق الأبواب وراءه... خرج به من الباب

الخلفي واتجه إلى المستشفى؟!

شعر حسن بأن شيئاً مريباً يحدث لصاحبه.. اقترب من الباب ونادى بأعلى صوته «عمر».. لم يجبه أحد.. مرات ومرات والوضع كما هو لا تسمع إلا همسا.. طرق الحائط الفاصل بينه وبين زنزانه (٢) بقوة.. لا جديد؟!.. طرق على الباب الحديدي للزنزانه بكلتا يديه... لا أحد... هدأت ثورته عندما سبر أغوار نفسه أن عمر ربما دخل زنزانه بعيدة وربما حجراً آخر، فهو على دراية مسبقة بتقسيم المبنى وسبق له زيارة التأديب لمدة أربعة وعشرون ساعة في السابق عندما تمم في زنزانه غير زنزانه في العنبر.

عاد وأسند ظهره على الحائط بعد أن طوى بطانيته وجلس عليها.. وهنا دار بمكنون نفسه أمران، الأول التأمل في هذا المكان الموحش وكيف للمرء أن يحيا هنا؟! كيف يستغيث؟! وكيف... وكيف...؟! والثاني شريط ذكريات الماضي استرسل في عجالة أمام عينه، حتى وصل إلى مريم.. ما الذي حدث لها الآن؟! هل اطمانت عليه وعلمت بما هو فيه الآن؟! لم ينس توسلاتها بين أقدام المخبرين حين كان يضع حذاءه على رقبته... دموعها... صراخها...

اشتعلت بداخله ثورة جديدة.. لئن أحياني الله لانتقم من هذا الوغد.. سأوريها الانتقام بأمر عينها.. ستروي ظمأها من دمه وستتهش كبده بيديها.. لم ترحمه.. ولن تسمع لتوسلاته.. لكن متى؟! وأنّ له ولها ذلك؟! رفع عينه إلى السماء فلم يجد أمامه إلا سقفا باهتا كساه السواد..!!

الفصل السابع والعشرون

(الأداة الساحرة)

السابعة والنصف صباحاً -

بدد شعاع الشمس المتسلل عبق الشق بين الحائط والسقف، الظلام راسماً ثلاثة خطوط أحدثوا زاويتين حادثتين في سواد السقف. جلس حسن وحزم ركبتيه بذراعيه وأحرق في هذا الضوء المتسلل للداخل، أي ضوء هذا الذي يتسم بالغباء لدخول مثل هذه الأماكن؟! أما كان الأولى به التسلل بين بتلات وردة تفتحت في الصباح؟! متأملاً هذا القبر الموحش!! لم يببالغوا حين نعتوه بالقبر.. زنزانة طولها متر ونصف وعرضها لا يزيد عن خمسين سنتيمتر، ارتفاع السقف يبدو للجالس شاهقاً على بعد ستة أمتار من الأرض!!

أرضية مديبة من بلاط أسمنتي مكسر، الباب مصمت لا توجد به أي فتحات!! لا يختلف ارتفاعه عن ارتفاع باب القبر، اللهم إلا أنه يزيد بعض السنتيمترات، ويوجد بجواره من الداخل وعاء دائري من البلاستيك به بقايا فضلات البشر نتنة الرائحة، مما دفع حسن لقلبه حتى تكتم الرائحة!! ولكن أن لرائحة مثل هذه أن تختفي أو تزول..؟! بجوار الوعاء توجد زجاجة بلاستيكية ممتلئة للنصف تستخدم لأغراض الشرب والاستنجاء معاً!!

أثارت رؤية الماء بداخل حسن الجوع والعطش.. شعر بجوع شديد.. منذ حادثة الأمس ولم تنزل بطنه لقمة عيش.. أيتركونه حتى يموت جوعاً؟!.. يعرف جيداً النظام هنا.. الباب لا يفتح على الميت إلا مرتين يومياً.. المرة الواحدة لا تستغرق دقائق معدودة.

المرور الأول مرور إطمئنان أن النزيل مازال حياً!! ويكون بواسطة ثلاثة مخبرين، بدا عليه الارتياح فقد مر هذا الأول بدون حدوث أي مشاكل. أما المرور الثاني فيكون أخف حدة من الأول، فيدخل إلى التأديب مأمور السجن بنفسه وبصحبته رئيس المباحث وطبيب من المستشفى ، واثنين من المسيرين، أولهما مسئول عن ملئ الزجاجة البلاستيكية بالماء وإعطاء السجنين رغيف خبز بايت ملطخ بالجبن ومطوي نصفين، وثانيهما مسئول عن رش أرضية الحجز بالكامل بمادة مطهرة حتى لا تثير الرائحة الكريهة أنف الداخلين من الخارج بغرض التفتيش!!

انتظر بترقب المرور الثاني! ولا يعرف سبب الانتظار!! ربما لأنهم سيأتون بالطعام والماء الزهيدين، وربما لأنه توقع أن تقذف الرحمة في نفس أحدهم فيسمح له بالخروج.

الرحمة؟! أيعقل أن تقذف الرحمة في نفوس هؤلاء؟! أم أن الرحمة نفسها تستحي من الاقتراب منهم؟!

لكن ربما قَدِمَ معهم زائر جديد ليس منهم؟! سينتظر!! بأمل لا يبدهه يأس، وحسن ظن فيمن جلبت أنفسهم على سوء الظن!!

أسند رأسه على ركبتيه محاولاً إراحتها عليها تهدأ من فوران عقله
واضطراباتة.

لماذا تأخر المرور الثاني لهذا الحد؟! كان في السابق يفصله عن
الأول قرابة ساعة!! بعدها سينام مطمئناً،
فلم يفتح عليه ثانية إلا في اليوم التالي.
حاول ترديد بعض آيات القرآن..!! أليس بذكر الله تطمئن
القلوب؟! هبت في عقله فجأة أن يكتب على حائط الزنزانة، لكن بماذا
يكتب؟! ليس هنا أي أداة حادة تصلح للنحت على الحائط! ولا حتى
طبشورة للكتابة أو الرسم!! حاول النزول بمبتغاه لأبسط ما يكون فبحث
عن قطعة خشب صغيرة.. ثقب كبريتاً..!!

لا شئ في هذه الزنزانة الحقيبة سوى التراب وهذا الوعاء
البلاستيكي النتن!! الوعاء؟!.. له حرف من البلاستيك المقوي..
كسره.. وصنع منه سن مديب وبدأ ينحت به داخل الطلاء الأسود،
ليظهر تجويف الكلمات المنحوتة باللون الأبيض..!!

كتب «عارفة سواد العسل.. أهو ده اللي حالك ليه وصل.. إزاي
قوليلي مكملًا.. وكل ده فيكي حصل..»

ثم راجع نفسه.. ما ذنبها؟! ألم يكن هم من يدنسون الأرض ويقهرون
الشعوب؟! دائماً ما ردد أمام الناقلين على البلد قول الشاعر :

« بلدي وإن جارت على عزيزة ... أهلي وإن ضنوا عليّ كرام...»

حزن لحالها.. خاطب نفسه.. إن قسيت أنا الآخر عليها فمن لها

الآن؟! أمسك بأداته الساحرة مرة أخرى ورسم..

«رجل طمست ملامحه، على رأسه كاب وفي يمينه سوط وبيسراه فتاه يضغط على رأسها لتركع!! وفي خط المواجهة فارس على حصان صوب رمحه باتجاهه وكتب فوق الرمح «لن تركع أمُّ لها أولاد».

رسمة عبر بها عما بداخله، ثم رسم حولها إطار وزينه بخطوط صغيرة مائلة.. ولم ينس أن يزيلها بتوقيعه المميز (حسن الحداد)..!! وبعد أن وجد ما سيؤنسه داخل هذا القبر، أحس بقيمة هذه الأداة الصغيرة التي في يده، فردمها في التراب وحفظ المكان، حتى مرور التفتيش الثاني، سيكون لها برنامج تنفيذي مهم سيبدد الوحشة والظلمة معاً.

ركض نحو الباب مرة أخرى حين سمع صوت مزلاق الباب يُفتح للمرة الثانية!!.

الفصل الثامن والعشرون

(المروور الثاني)

الثامنة صباحاً

«إيه اللي انت كاتبه على الحيطه ده... انت مش عاوز تحرم...»

كان هذا صوت المخبر الذي أخرج حسن من زنزانه لمحيط الحجز، أعاد تفتيشها مرة أخرى! لم يلاحظ كسر الوعاء البلاستيكي وإلا رفعه من المكان نهائياً!

وقف أمام الزنزانه ووجهه للحائط ومن خلفه وقف مأمور السجن - رجلٌ في عقده السادس، حازم، ويتسم بالحكمة في نفس الوقت وهذا هو المتبع في السجن! الحكمة واللين ينتهجها المأمور والشدة والتعصب يرتديها رئيس المباحث...!

نظر المأمور لحسن وتفحصه من أعلى لأسفل، فتأكد أنه ما زال بكامل صحته،... لم يمته... ثم وجه كلامه إلى رئيس المباحث الواقف بجواره:

- الواد ده هيقعد كام يوم في التأديب؟!

تلعلم الأخير لأنه لم يكن يتوقع هذا السؤال :

- التذكرة وإذن التأديب تكون على مكتب حضرتك انهاردة... وانت

اللي تحدد المدة...!

تذهب التذكرة بالفعل لمكتب المأمور ليزيلها بتوقيعه فقط، أما المدة فيحددها رئيس المباحث...! وهذا إجراء إحترازي من الأخير بحيث لو مات السجين يتحمل المأمور المسؤولية الكاملة وحده، وبالتالي يكون المأمور أكثر حرصاً على حياة السجين من غيره.

- مليت له الإزاة يا بني؟

أجابه المسير دون أن يرفع رأسه :

- أيوه يا باشا... مليتها... وحطيت له الرغيف على الأرض...!

- ناديلي الواد بتاع المطهر خليه يرش المنطقة دي كلها (وأشار بيده

على محيط الحجز بالكامل) ثم أدار وجهه لرئيس المباحث مرة أخرى :

- الواد اللي في زنزانة (٢) موجود؟

رمقه باشمئزاز وكأنه يقول ليس أمام السجين أيها الأحمق...

فأجاب :

- الصبح المخبرين وهما بيفتشوا لقوه تعبان شوية ونقلوه المستشفى!

إزدرد حسن غصته والتي حشرت الصرخات في حلقه حين علم بأن

عمر من كان بجواره ولم يشعر، كما أنه مرض ونقل إلى المستشفى،

فأدماه الحزن عليه؛ لأنه يعلم جيداً ماذا تعني كلمة المرض عند هؤلاء

وأنهم لا ينقلوا أحداً إلى المستشفى إلا إذا قارب الموت.

أسكت ثورته التي كادت أن تندلع صوت المأمور... صائحاً :

- هو الدكتور ماجاش ليه لحد دلوقتي... عاوزه يشوف الواد دا

ويكتب لي تقرير ويمضي عليه النهارده، إن حالته تسمح بالتأديب... أنا

عندي واحد ميت من يومين! وواحد النهارده بييموت في المستشفى وكمان سياسي؟!... فين الدكتور؟

على غير عادته وبنبرة هادئة أجابه رئيس الباحث :

- أنا هابتعت المخبر يجيبه دلوقتي حالاً... ممكن حضرتك تطلع

والتقرير هيكون على مكتبك!...

خرج المأمور غاضباً وتبعه الباقيين، وأغلق آخرهم الباب ثم ركض

إلى المستشفى.

الفصل التاسع والعشرون

(حورية تنزل القبر)

العاشرة صباحاً

تقدم المخبر الدكتورة هبة في طريقها إلى التأديب.....

قبل ذلك بساعتين، كانت قد وصلت إلى المستشفى، وقبعت في

مكتبها تنتظر ما سيحدث، ففوجئت بالمخبر يطرق الباب عليها :

- صباح الخير يا دكتورة.

- صباح النور.... أفندم؟

- رئيس المباحث بعثني للدكتور ياسر علشان يجي معايا التأديب،

ويفحص حالة هناك، وهو دلوقتي مش موجود، والمأمور متعصب جداً

وعاوز تقرير الحالات النهارده، فرئيس المباحث بعثني لحضرتك.

عقدت حاجبيها مندهشة :

- أنا دكتورة أسنان! ومينفعش أكتب تقارير عن أي مسجون ولازم

دكتور ياسر هو اللي يروح.

- رئيس المباحث قالي إن حضرتك لازم تروحي دلوقتي.

أمسكت بالقلم لتشعره بعدم الاهتمام ثم قالت وهي مطرقة الرأس :

- يعني تأدية واجب وخلص؟! علشان المأمور يسكت! آسفة مش

هقدر أروح غير لما مديري يجي.

انصرف المخبر بغضب مُتقد... وابتسمت هي لأنها كانت تعلم جيداً أنه سيرسل لها مرة أخرى، ولم ينتظر! لأنه على ما يبدو المأمور لن يهدأ حتى يصله التقرير، خصوصاً أنها علمت أن هناك سجين بين الحياة والموت! مرمي في غرفة العزل داخل المستشفى... تمنى من داخلها أن يحدث ذلك.

ربما سنحت لها الفرصة لمساعدة حسن..! أو أن هذا حقيقة الحلم؟ كتبت كلمات في ورقة أمامها وانتظرت عودة المخبر من جديد. فوجئت برئيس المباحث يقف أمامها بعد أن طرقت الباب ودخل مباشرة! بدون أن تسمح له بالإذن... قامت من مكانها وتقدمت نحوه، خلع نظارته الشمسية التي يبدو أنه يخفي ورائها نظراته الماكرة، لا بقصد الحماية من الشمس، ثم صاح :

- ليه مش عاوزه تروحي التأديب تكتبي التقرير؟

قالت بحزم أطرته الثقة :

- يا محمد بيه أنا ميكتبش تقارير، لأنني ببساطة دي مش شغلتي،

ممكن حضرتك تستني الدكتور ياسر لما يجي.

قال وهو يحدق فيها بحده :

- انتي عارفة كويس جداً إن محدش هنا بيقولي لأ....

قاطعته بغضب :

- وياريت حضرتك برده تراعي إني دكتورة هنا مش سجينة....

أطلق زفرة قوية ليخبرها أنه لن يصبر أكثر من ذلك ثم قال في

حزم - المخبر هيعدي عليكي دلوقتي وهايخدك تروحي تشوي في النزيل وترجعي تكتبي التقرير وياريت الكلام ده قبل الساعة أربعة؛ لأن المأمور مش هيبات النهارده، وبرده هتدخلي وتخرجي من الباب الخلفي علشان محدش يلاحظ حاجة....!

رفعت حاجبيها فبرقت عينها في عدسات نظارتها وقبل أن تنطق ترك الغرفة ورحل بعدما أغلق الباب وراءه بشدة كادت أن تسقط الحائط.

وقضت قلقة خلف المخبر الذي بدأ في فتح الأبواب المؤدية للتأديب. ضربات قلبها لم تتوقف بعد عن الركض من شدة التوتر والاضطراب أنزلت على فيها كمامة أحضرتها معها، تمنع وصول الرائحة الكريهة لأنفها! رائحة تعلمها جيدا من زيارة سابقة.

وقبل أن يفتح المخبر باب الحجز طلبت منه في حزم :

- السجين هيخرج هنا... لأنني مش هدخل جوه.

تلعلم المخبر

- المتهم ده خطير لو خرج هنا ممكن يسبب مشكلة... ومحدش ضامن الظروف.

أصرت على موقفها وربما كان لها في ذلك مآرب آخر.

انتظرت في المحيط الخارجي للحجز، فدخل المخبر وأحضر حسن وهو قابض على يديه... ما إن وصل إليها ورأها حتى اطمئن قلبه وهدأت نفسه ونسي كل ما حدث... فكما توقعها في السابق حورية هبطت من

الجنة لأجله هو فقط، مرة في المستشفى من يومين واليوم بين يديه في
التأديب! من كان يظن أن الحوريات تنزل القبور؟!

اغرورقت عيناها بالدموع وارتهما عدسات نظارتها الملونة... ما
الذي حدث لك ؟ كادت أن تسأله لكنها تذكرت المخبر... لحظات من
الصمت سرح في عينيها وسرحت في عينيه، حقاً إن العين لا ترى وإنما
الأشياء هي التي تعكس فيها، فعينيه قبل اليوم وقبل هذه اللحظة كانت
لا ترى أحداً أما الآن فهي في مجال رؤية الملائكة...!

قطع هذه اللحظات التي لا تكرر، صوت المخبر الذي صاح :

- وشك للحيطرة يالا... وتجاوب على أد السؤال وبس!

أشارت للمخبر بيدها ثم نهرته :

- ممكن تسبني أشوف شغلي... وبعدين مين قالك إني عاوزاه يودي

وشه للحيطرة... لو سمحت، أنا دلوقتي اللي بقول...

طأطأ رأسه :

- آسف يا دكتورة... اتفضلتي حضرتك

اقتربت من حسن ثم سألته -

- بتشتكي من أي حاجة قبل كدة؟... مرض مزمن... ضغط؟...

سكر؟... فيروسC...

بكلمات متقطعة نتيجة عطل اللسان عن الكلام منذ ٢٤ ساعة...

تلجلج :

- لأ... الحمدلله.

تسارعت جفونها صعوداً وهبوطاً فاستطردت -

- الحمدلله... طيب في أي جروح في جسمك؟... أو في أي حاجة
تعباك... صداع مثلاً أو مغص أو وجع في العظم أو سعال.

نظر للمخبر الذي رمقه بحدة، فأدار جسده متجاهلاً نظراته، ثم
رفع سترته لأعلى فبان ظهره بالكامل.

- مافيش بس غير الجروح دي..!

حركت نظراتها بين المخبر وظهر حسن المشرخ بخطوط حمراء
من شدة التعذيب أطرتها أصابع المخبرين مطبوعة نتيجة الصفعات
المتتالية، فرمقته بنظرة حانية وتحسست ظهره لمعرفة ما إذا كانت هذه
الجروح نافذة أم لا...

سرى بجسده قشعريرة من ملمس يدها لظهره أنسته حدة الأرض
المديبة التي ينام عليها في الزنزانة، طلبت منه أن يدير جسده وينزل
سترته، ثم وجهت كلامها للمخبر الذي مازال يرقبها بدون كلل أو ملل.
- هو جاله تعيين النهارده.

أجاب:

- جاله الرغيف المقرر وإزازه الميه.

- طيب ممكن أشوفهم بعد إذنك؟

طلب المخبر منه أن يدخل الزنزانة ويحضر الرغيف والإزازة في عجلة، التزم حسن بالأمر وأحضرهما ثم أعطاهما للدكتورة التي رفعت الإزازة لأعلى في مرمي عينيها وتفحصتها!!

إجراء يتبعه الطبيب الزائر للتأديب ليكتب في تقريره انتظام الأكل والشرب من عدمه، لأن أحد السجناء ربما قام بعمل إضراب غير معلن!! وفي هذه الحالة تبقى إزازة الماء كما هي، وكذلك الرغيف!! لكن زجاجة حسن كانت ناقصة قدر ربعها بما يعني أنه شرب منها في الصباح، أما رغيفه كان كما هو، لم يأكل منه شيئ!! أراد توجيه رسالة.. أنه من اليوم مضرب عن الطعام فقط، وهذا النوع من الإضراب يسمى (إضراب جزئي)، أما الإضراب الكلي فيكون بالامتناع عن الطعام والشراب معاً!! وهذا الأخير لا يقوى النزول على تحمله أكثر من ثلاثة أيام بعكس الجزئي الذي يستمر مدة طويلة!!!

أعطت هبة الإزازة لحسن وطلبت من المخبر إدخاله زنزانتة، واحتفظت بالرغيف معها؟! قبض المخبر على يده، فمشى ومازال نظره معلقاً بها حتى توارت..!! فتحت هبة الرغيف وتأكدت من أن أحدهم لم يراها؛ ودفنت بداخله ورقة صغيرة ومطوية بعناية وأعدت هيئته كما كان!!

عاد المخبر فقالت متلجلجة :

- أنا من رأيي ترجعه الرغيف تاني يمكن لما يشوف الأكل يرجع عن فكرة الإضراب.. إنما لو خدنا منه الرغيف هنساعده إنه يزيد في عناده..!!

أوماً المخبر موافقاً إياها، وخصوصاً بعد أن أظهرت حرصها على النظام ومنع السجين من الإضراب؛ مما قد يؤدي ذلك إلى تعريض حياته للخطر ووقع الضرر على إدارة السجن!!

أعاد الرغيف لحسن مرة أخرى فقال وهو ينصرف :
- كل... الإضراب مش هاينفعك، انت اللي هتخسر في الآخر.. وهنا
اللي بيموت بيترمي في الزبالة..!!

رمقه حسن بنظرة غلفها بابتسامة ساخرة.. أليس ما نحن فيه الآن الموت؟!

انصرف المخبر وهداً حسن حين سمع صوت مزاليق الأبواب وهي تغلق!!

بدأ رحلة جديدة من التأمل... وعادت هبة إلى مكتبها وصورته عالقة في ذهنها..

تسأل في نفسها، ما الذي يمكن أن تكتبه في التقرير الآن؟! جاء دورها لتفتح القفص الحديدي الموجود في الصحراء وتتجيه من الحبس الانفرادي!!

الفصل الثالثون

(ولا يوم من أيامك يا أبوعلاء)

الثانية عشر ظهراً

زنزانة (٧) -

امتلاً المر بواجبات التعيين الخاصة بالنزلاء، وُجد أمام كل باب زنزانة أرغفة الخبز ملقاة على الأرض بعشوائية ويجوارها فارغة الفول مقلوبة وقطرات الزيت تلمع في ضوء المصباح العلوي، كما بعثرت حبات الطماطم حتى تدحرجت لمنتصف الممر!! على أبواب الزنازين وتحت الرقم مباشرة علقت ورقة مكتوبة بخط عريض وملصقة بالبواب بواسطة بواقي الصابون الميري «إضراب».

الوضع داخل زنزانة (٧) كما هو المعتاد، الكل مشغول بحاله، من يستعد للصلاة، ومن ينام، ومن يجلس...!! كان خالد يقرأ في كتاب «حادثة دنشواي» هذا الذي ذهب حسن دون أن يكمله.

وضم هشام ورقة الإضراب الخاصة به لورقة إبراهيم وخالد ثم وثب من مكانه باتجاه عادل، كان الأخير مسنداً رأسه للحائط ويفكر في أمر ما، ربما كان قلقاً لأنه سيكون أول من يقع عليه الضرر من الاضراب.

- اتفضل يا أستاذ عادل دول ٣ ورقات، موقعين مني وإبراهيم وخالد

وأنا ترختهم بداية من صباح اليوم.. وبالفعل امتنعنا عن الأكل..!!

مد عادل يده على امتدادها واستلم الورقة :

- ماشي.. أهم حاجة تشربوا ميه بالتدرج.. وممكن تشربوا

عصاير.. واحتمال كبير بيعتوا الأول للناس اللي عاملة إضراب عن

الطعام علشان يتفاوضوا معاهم..!!

جلس هشام بجواره فسأله متلعثما :

- والمفروض إننا هنرد نقول إيه؟!

- المفروض تتمسكوا بالطلبات وإنكم مش هتفكوا الإضراب غير لما

ينفذوها، وكمان لازم تعرفوا إن ليهم طريقة ممكن يشقوا بيها صفكم

علشان يفسلوا الإضراب..؟!

- إيه؟!

- في الحالات اللي شكل دي بيسألوك عن أي طلبات فردية ليك..

وبما إن كل واحد فينا له عشرات الطلبات الشخصية ففي ناس أول ما

بيقولولها كده بتتنازل مقابل طلباتها وبكده يكون نجح إنه يصرفنا عن

الطلبات الأساسية..

- كويس إنك عرفتني كده ولازم برده تعرف خالد وإبراهيم، بس

رأيك إنهم هيسبوننا وقت أد إيه؟!

- على حسب، ممكن يوم أو يومين أو أكثر من كدة أو أقل، وده بيرجع

للضغط الخارجي... المفروض رئيس المباحث بيبيلج المصلحة إنني عنده

إضراب وساعتها المصلحة بتقولوا حل أو ماتحلش على حسب الإعلام

الخارجي والجو العام، علشان كدة لازم الورق دا يخرج منه نسخة للإعلام بنفس أسماء الأشخاص، لأنني لازم يعرفوا إن فلان وفلان عاملين إضراب علشان يخافوا ويمسبهمشي يموتوا.

- وده حصل فعلا وهيتم التصعيد الإعلامي ولا إيه؟!

- أنا اتكلمت إمبراح مع مسئولى الزنازين واتفقنا على صيغة والمفروض إنها هتخرج تهريب في الزيارة.. وخالد قال إنه له علاقة بصحفية ناشطة في هذا المجال، واحتمال تقلب الدنيا كلها عليهم وبكده أظن إنهم بكرة هيبعتوا يتفاوضوا معنا.

- طيب مش ممكن يشقوا الصف فعلا إنهم بيعتوا للناس اللي مش مشاركة في الإضراب ويواجهوا بيهم الإعلام؟!

لوى عادل شفتيه كمن أشغله أمر الإجابة من قبل فاستطرد :

- دا اللي أنا كنت بفكر فيه واحتمال كبير يعملوا كده.. ويجندوهم لصالحهم كمان، يعني يخليهم يخطبوا في الناس.. الإضراب حرام!! ومينفعش تمنع نفسك عن الأكل والشرب!! طبعا بعد ما يزيلوا كلامهم بآية وحديث.

- يعني أفهم من كدة إن الأسباب اللي ممكن تبوظ الإضراب مننا إحنا؟!

- أكيد عاوزك تعرف إن إدارة السجن هنا مش أول مرة تتعامل مع السياسيين وليهم باع طويل في الكلام دا..!!ومش ببالغ لو قولتلك إنهم عارفين الحوارات اللي بتدور دلوقتي في الزنازين!! مش علشان

بيرقبونا.. لأطبعنا.. لأن المواضيع دي معتادة بالنسبة ليهم ومش جديدة عليهم، ولو جت الزيارة وسألت اللي زاروا إيه اللي حصل هيقولوا إنهم ضايقوهم ورحموا على الأهالي ومنعوا كل الحاجات اللي كانت بتدخل قبل كده ووقت الزيارة ماعداش عشرة دقائق!!

- يعني سياسة هتقرفني هقرفك، وأنا مش بيتلوي دراعي..!؟

- بالضبط كده.. المشكلة بقى إنه يقدر يواجه الإعلام بره بحجج

واهية ويقوض الهجمة الإعلامية بكلمتين وساعتها ربنا يستر؟!

- إيه اللي هيعملوه فينا؟!

- لا ولا حاجة خالص!. هيفتشوا الزنازين كلها ويجردونا من كل

حاجة حتى الهدوم والبطاطين والسخانات، دا غير إنه هيتعمل معانا

الصح لأنه هيخدنا كبش فداء!! وهيرجع يتفاوض معانا من جديد

بمزاجه وفي الوقت إلى يحبه علشان يدخلنا بطانية أو سخان وساعتها

تموت كل مطالب الإضراب..!!

- انت عرفت كل الحاجات دي منين؟!

- أنا يا هشام مآديها كعب داير على السجون من عهد مبارك، ولما

الثورة قامت قلت بقى خلاص الدنيا هتبقى تمام ونبني، بس الظلم

موقفش، عارف هقولك حاجة هتستغرب ليها جداً؟!

عارف المكان اللي أنا قاعد فيه دا؟ كنت قاعد فيه سنة ٢٠٠٥، بس

أبو علاء كان حنين شوية.. ههههههههه.

بضحكة عالية بددت نبرة الحزن المتبادلة أردف هشام :

- ولا يوم من أيامك يا أبو علاء يا غالي.. ربنا يفك أسرك يارب..!!
قام هشام عائداً إلى مكانه بعد هذه المحاضرة الدسمة عن

(الإضراب في السجون)

وطوي عادل الأوراق الثلاثة حتى يجد طريقة لإيصالها للمأمور،
ليبدأ في الإجراءات المتبعة في الإضراب.. لكن على ما يبدو أن الرئيس
الجديد للمباحث ستكون له طرق جديدة في التعامل لم يجرب عادل
مثلها من قبل.

الفصل الحادي والثلاثون

(ورقة مطوية)

الواحدة ظهراً

مبني التأديب- ز (١)

ارتشف حسن من زجاجة الماء رشفتين، وألقى نظرة بائسة على رغيف الخبز الملقى على الأرض..

تدفعه نفسه دفعا لالتقاطه ونهشه حتى تهدأ ثورته بداخله..!!
في الصباح وضعه في التراب حتى تأنف نفسه منه ولا تأمره بالاقتراب مرة أخرى!! ما المانع في الجوع الشديد أن يرفعه وينظفه؟! أليس قد قرأ في الأقوام الغابرة من كان يلتقط كسيرات الخبز من القمامة وينظفها ويأكلها؟! تحاول إقناعه بالسقوط في بحر الهاوية!! تصور له الرغيف كأنه ديك رومي لمع احمراره وسط حبات الأرز الصفراء..!!

هو مازال صامد ولم يرضخ لمراوغتها وشهواتها.. وهنا تدخل صوت العقل، فنادها بصوت محتد، لو أكل من هذا الرغيف الآن وجاء الطبيب في الغد ورآه فسيكتب في تقريره عنه أن حالته مستقرة!! وبالتالي تطول مدته في التأديب، أما لو حدث العكس ورأى الرغيف كما هو ربما أخرجوه ظناً منهم أنه سيهلك!!

هدأت نفسه راغمة فلئن تتحمل الجوع لمدة قليلة أفضل لها من أن تمكث في هذا القبر مدة طويلة..

أخرج نفسه من هذا الحوار الشرس، وتذكر أدواته المعجزة التي ترقد في سلام، نبش عليها القبر ودبت فيها الروح، فبعثت .. أمسك بها وبدأ ينظف جزء كبير من الحائط ويكتب ويرسم عليه خواطره.. أرى أحد ما سيكتبه هنا حتى يهتم به لهذا الحد؟! نعم سيراه مسجون آخر سياسي بالتأكيد، ستكون هذه الكلمات زاد له حين يتملكه إليأس أو الاكتئاب، سيكتب اليوم: (قال يا مريم أن لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب)

مريم البتول اختصها الله بحمل الرسالة، ورزقها، ولكن عند الرزق فالله يرزق من يشاء.. أي أحد.. فلما إذن القلق على مريم أخته؛ ألم تحمل نفس الاسم الذي حملته السيدة البتول من قبل؟! وهل ما هي فيه الآن يقل شأنًا عن الرسالة السماوية التي جاءت بها مريم؟! كما أنها ممن يشاء الله رزقهم.. إذن لا قلق عليها فالله سيتولى مريم كما تولى السيدة العذراء من قبل.. ستبكي.. وستحزن.. ستتمنى أن لا تولد أو أنها ماتت قبل هذا.. ولكن لأن الله أجل لها خيراً كثيراً سيأتيها حتماً، خاطرة جالت بعقله ذكرته بأخته وحالها فكتب الآية الكريمة.. متأكداً أن الله لن يتركها في هذا الحال وحدها..!!!

لم يستطع كتابة شئ بعد أن كتب الآية الأخيرة!! حملت في عقله الخواطر فدفن أدواته مرة أخرى، وجلس مستربحاً.. فهاجت عليه نفسه مرة أخرى.. يبدو أن هذه النفس لا تأمر بالسوء إلا في وقت الفراغ.. النفس داء البطالين.. لكنه المرة لم يترك مجالاً.. هذا الرغبة الذي

يشغل ثورتها سيتخلص منه إلى الأبد.. مال بجذعه إلى الأمام وأسند
يميناه على الأرض وتناول الرغيف بيسراه.. قربه من أنفه واشتم رائحة
الجبن العفن وكأنها طازجة!! لا استسلام هذه المرة، بدأ بتقطيع
الرغيف إربا صغيرة يرمي بها في الوعاء البلاستيكي، لا مفر أمامها
الآن بعد أن قطع الطريق الوحيد، أحس بشخشة في يده وهو يقطعه،
فتلمسه جيداً، فوجد ورقة مطوية بعناية!!

هو قد تعود أن يجد في خبز السجن فلة سجائر أو طوية أو حتى
صرصار، أما أن يجد ورقة مطوية فهذا له العجب.. من جاء بك أيتها
الورقة إلى هذا الجبن العفن؟! نحى الرغيف جانبا وفض الورقة برفق
«امتنع عن الأكل والشرب معاً وستنتقل بعدها للمستشفى»

كرر قراءة الكلمات الثمانية أكثر من مرة، وفي كل مرة يتساءل

بداخله بسؤال واحد؟!

من ترك هذه الورقة له؟!

الفصل الثاني والثلاثون

(تقرير السجن)

الثانية ظهراً -

ركض باتجاه الغرفة والشر يتطاير من عينيه، أدار أوكرة الباب بعنف ودخل بدون استئذان -

- إيه التقرير اللي انت كاتباه ده؟! انت فاكرة نفسك في مستوظف حكومي، إحنا هنا في سجن يا هانم..!!

لم تخف ملامحها وحركة جفنيها الخوف من طريقته الفظة وأسلوبه المتعجرف. قالت بعد أن وثبت واقفة وهي تشير بيدها تجاهه :
- أولاً أنا مش هانم وحضرتك يا محمد بيه رئيس المباحث على عيني وراسي، بس لازم تفهم إنني هنا دكتورة وانت اللي طلبت مني تقرير وأنا كتبت اللي أملاه على ضميري..!!

سحب شهقة كادت أن تحدث صوت، أراد أن يقبض على رقبتها بعد أن استفزته بكلامها وتقريرها.. فاستطرد :

- على العموم كلامي مش معاكي انتي.. أنا هتصرف مع ياسر لما يجي، ولازم يشوف حل معاكي.. وكمان لازم تفهمي إنني صابر عليك عشان جوزك الله يرحمه كان من أعز أصدقائي وكان ضابط كفؤ وياما قدم خدمات للداخلية..!!

ضرب لون بشرتها للإصفرار بعد أن تركها وخرج، لقد ذكرها بزوجها- الله يرحمه- لكن ما كتبه في التقرير هو الصحيح وليس زيفا أو خداعا..

«السجين حسن محمد الحداد حالته الصحية لا تسمح بإبقاءه في التأديب أكثر من ذلك، نظراً لأنه أخبر بالإضراب عن الطعام حين فحصه.. كما أنه يوجد شروخ واضحة المعالم في ظهره ولا بد من علاجها فوراً لأنه في حالة عرضه على أي لجنة زائرة سيلاحظ أنه قد عذب مما قد يؤدي إلى التحقيق في الواقعة وتعريض القائمين على الأمر للتحقيق، لذلك ينصح الطبيب بخروجه فوراً من التأديب والاكتفاء بمدة مكوثه مقابل المخالفة.
إمضاء... طبيب المستشفى...»

لكنها تأكدت الآن أن التقرير لم يصل إلى الأمور ووصل لرئيس المباحث مما دفعه للمجئ إليها وتهديدها!.. ما الذي دفعها لفعل ذلك؟! وخصوصاً أنهم يرون في مثل هذه الشكليات أمراً روتينياً لا أكثر؛ وباستطاعتهم كتابة ما يريدون أو حتى الضرب بأي تقرير عرض الحائط، وحتى لو أرادوا الالتزام بالشكليات فعندهم الدكتور ياسر سيكتب لهم ما يرون ويزيل التقرير بإمضاء معتمد في كل الهيئات والمصالح..!! أرادت أن تنس الأمر برمته فأخذت حقيبتها وانصرفت إلى البيت.

الفصل الثالث والثلاثون

(مصر أصلاً هي الحب)

الجمعة ٢٠١٦/٩/٩ م

المنزل الذي تقيم فيه مريم.

جلست أمام حاسبها الآلي تبحث عن أي معلومة ممكن تطمئننا على أخيها، هناك صفحة على موقع التواصل الاجتماعي- فيس بوك- عبارة عن مجموعة مغلقة باسم (معتقلي وادي النطرون)، يتواصل من خلالها أهالي السجناء ويتناقلون الأخبار التي تأتي يومياً من الزيارات، فور أن يرجع أحدهم من زيارته حتى يكتب ما حدث بالتفصيل؟! سواء فيما يتعلق بالتفتيش أو غيره من أي أخبار جديدة حصل عليها من السجناء. تحركت بمؤشر الماوس من أعلى الصفحة لأسفلها أكثر من مرة.. لا جديد.. قامت بعمل تحديث للصفحة... لا شئ...!! كتبت على الصفحة :

- «أنا مريم أخت حسن وقلقانه عليه جداً، لو أي حد عارف أي معلومة عنه ياريت يكلمني ضروري»

حتى إن كان منشأ الصفحة من الداخلية كما يدعون، فلا ضير أن يخبرني بما حدث لأخي؟! انتظرت دقائق معلقة بصرها في الشاشة أمامها... تدعوا الله في سرها أن يجيبها أحد ويخبرها بما حدث.. أين

من زاروا بالأمس ليكلموها؟! ألم تكن في السابق تكتب لهم في نفس يوم زيارتها ما يطمئن قلوبهم؟! أين انتم الآن أيها الزائرون؟ لا أحد هنا يجيب؟!

حتى جاءها تعليق جديد على المنشور:

-«وأنا أم عمر.. صاحبة المشكلة التي حدثت في الزيارة.. وقلقانة جدا على ابني... ومش عارفة أعمل إيه علشان أطمئن عليه.. ياريت لو حد يعرف أي معلومة يبلغني...»

تذكرتها مريم أول ما قرأت التعليق، تذكرت صراخها... تذكرت حالتها الصعبة التي كانت أشبه بهستريا، عندما كانت تخرج من باب الزيارة... لكنها لم تفكر أن تكلمها يومها لصعوبة الموقف، كما أنها كانت منشغلة بأمر أخيها وما يحدث له...؟!

راسلتها على الخاص :

- السلام عليكم.

لحظات وجاءها الرد - وعليكم السلام.

- أنا مريم أخت حسن الحداد.. كنت في الزيارة وقت المشكلة.. أخويا هو اللي جري وحاول يدفع المخبرين عن ابن حضرتك، بس للأسف اتكثروا عليه ووقعوه..

- أيوه افكرتك.. أنا مش عارفة أتأسفلك إزاي لأنني أنا السبب.. واللي عملوا أخوكي موقف شهم مش ممكن أنساه طول عمري.. ربنا يخليكي ليه يارب ويحفظهولك من كل سوء..

- حضرتك مش ليكي ذنب.. المخبرين هما اللي واقحين.. بس مفيش أخبار عندك؟! أصل أنا قلقانه جدا عليهم..

- للأسف معنديش أي معلومات، أنا قلقانة على عمر أوي لأنه مريض بالسكر وحالته الصحية مش هتستحمل أي ضغط أو تعذيب.

- ربنا يشفيه يارب، إن شاء الله خير، ويكونوا كويسين، بس ياريت لو حضرتك عرفتي أي حاجة تعرفيني على طول.. دا حسابي ورقم هاتفي ٠١×××××××××× ممكن تكلميني عليه...

- إن شاء الله يا مريم... في حفظ الله يا بنتي..

أغلقت مريم الحاسب، وقامت وهي تتجه إلى دولاها.. أخرجت صندوق تحتفظ بداخله بأشياءها الثمينة، التي تسبح فيه حين تشعر أنها وحيدة... فضت محتوياته وبدأت تنظر صورتها وهي صغيرة وحسن يقف بجوارها واضعاً يده على كتفها.. دائماً ما كانت ترى فيه كل شئ، الأب والأخ والصديق.. تساقطت دموعها على خديها فتسللت واحدة حتى لامست وجه حسن، كأنها تريد أن تخبره بأمر ما؛ إنها ما سقطت من قبل لأحد غيره.. جاءت لتمسح عنه الهم والحزن.. وتخبره أن مصدرها عين لا تريد أحداً غيره.. تحمل له رسالة منها- أنه نورها وبسمتها وماضيها وحاضرها ومستقبلها، تريد أن تفديه بنفسها إن أراد، فأرسلت دمعته ليشعر بدفئتها في مكانه، ولتحمل في طياتها قلقها عليه.. أترى هذه الدمعة تعيده إليها مرة أخرى؟!!

طبعت قبلة حانية على صورته.. دندن لسانها بعدها داعية الله أن

يرده سالماً وأن يدفع عنه كيد الظالمين.. ليس لها غيره الآن، إن فقدته
فقد فقدت كل شيء!! وإن كان لا بد أن يفرق بينهما القدر فلا مانع
عندها أن تموت هي ويبقى هو معافاً يملأ الكون حب ورحمة وسعادة..
لطالما رأت في أخيها أن بداخله أطنان من الرحمة والطيبة لوزعت
على العالم كله لكفته... رغم حبه للثورة والثوار ودفاعه المستميت عن
الحق، إلا أنها لم ترَ أحن ولا أطيب منه...! وبرغم ما حدث له في هذا
البلد إلا أنه مازال يعشقها، ودائماً ما كانت تعانده بقولها
- يعني البلد عملت لك إيه علشان تحبها أوي كده؟!....

فكان يجيبها بعينين حالمتين :

مصر أصلاً هي الحب...!!

اقتحم عليها حينها صوت رنين هاتفها الذي حمل لها ما كانت
تنتظره..

الفصل الرابع والثلاثون

(حتى وإن كان إرهابي..)

- إزيك يا مريم..

- الله يسلمك.. مين؟!

- مش هتعرفيني؟! أنا دخلت على الصفحة وقرأت تعليقك، وبعثتك

كذا رسالة على حسابك، بس تقريبا انتي قفلتي الجهاز!! كلمت الأخت
اللي كانت معلقة بعدك وأخذت منها رقم تليفونك..

- أوأمريني.. أقدر أخدم حضرتك في إيه؟!

- لا مش أمر ولا حاجة.. بس كنت عاوزه أطمئنك على حسن أخوكي..

هو الحمدلله كويس..

- حسن؟! حضرتك كنتي في الزيارة امبارح؟! وحسن هو اللي بعث

رسالة معاكي؟! طيب هو عامل إيه دلوقتي؟! طمنيني عليه.

- لا أنا مكنتش في الزيارة ولا حاجة؟! التفاصيل مالهاش لزمة

دلوقتي.. أنا بس بطمئنك عليه وبقولك لو عاوزه توصلي ليه أي رسالة،

أنا ممكن أوصلها له!!

- إيه اللي يضمني إنك مش تضري أخويا بالرسالة دي وخصوصاً

وأنا معرفشي انتي مين؟!

- أولاً إيه مصلحتي في كدة.. وبعدين إيه الرسالة اللي ممكن

تبعتهاله تضره؟! يا مريم أنا قرأت التعليق، وحسيت انتي أد إيه قلقانة على أخوكي علشان كده كلمتك...

- مش عارفة؟! بس مش هكذب عليكى أنا حاسة إني مطمئة ليكي وحاسة من نبرة صوتك إنك فعلا عاوزه تساعديني.. بس حسن كويس بالله عليكى..

- والله كويس... وكمان ممكن أقولك أمارة تأكدك كلامي.. حسن بقاله فترة بيشتكي من ضرسه! ومحتار يخلعه في السجن ولا يصبر شوية...

كانت مريم على علم مما يشتكي منه أخوها؛ لأنه دائما ما كان يطلب منها مسكنات للألم وفي آخر زيارة طلب منها أن تذهب لطبيب أسنان صديقه وتستشيريه في حالته..

- فعلا كلامك صح؟! وحسن من فتره تعبان من ضرسه..

- طيب يلا بقى عاوزه تقويله إيه؟! علشان تطمنيه؛ لأنه قلقان عليكى جداً...

قالت في حماسة :

- قوليله إني الحمد لله بخير، وبقيت أحسن لما اطمنت عليه.. وهو واحشني جدا جدا..

وميقلمش عليّ.. يا جبل ما يهزك ريح.. وأنا بفتخر بيه في كل مكان لأنه أحسن وأطيب وأحن أخ في الدنيا كلها.. واني هجيله الزيارة في أقرب وقت مسموح...

عقدت حاجبيها ثم قالت باسمه :

- كل ده؟! على العموم ماشي ياستى هوصل له الكلام ده كله...

- حضرتك مش هتقوليلي بقى انتي مين؟!؟

- أكيد هاقولك.. بس بلاش دلوقتي.. وأكيد برده هانبقى

أصحاب...وعاوزه أقولك لو حسن فخر ليكي قدام الناس كلها فانتي

بصبرك وثباتك فخر لأي بنت في سنك.

- الله يخليكي.. هتردي على الرسالة وصلت وتطمئني عليه تاني؟!؟

- هاحاول... بس ياريت تستني لما أكلمك أنا...!!

- ماشي إن شاء الله.

- سلام.

غزت الراحة القلوب، ارتاح قلب مريم لأنها اطمانت على أخيها

بعدما كانت فاقدة للأمل في الحصول على أي معلومة عنه.. وارتاح

أيضا قلب هبة لأنها بدأت طريقها في مساعدة حسن بدافع داخلي لا

تعرف سببه إلى الآن؟!.. فمنذ ليلة أمس وهي تفكر في حاله، تحوم

حولها صورته وهو يحدق بها في التأديب.. عيناه تقول ساعديني..!!

وكان الحلم بدأت معالمة تتضح بداية من هذه الزيارة..

قادها عقلها في صباح الجمعة، وقبل خروجها لتناول الإفطار مع

والدها أن تفتح حاسبها وتدخل على صفحة حسن.. كان أول ما شد

انتباهها ذاك المنشور الجديد الذي تصدر الصفحة..دخلت عليه

فقلها مباشرة إلى صفحة « معتقلي وادي النطرون» قرأت المنشور

فوقعت عينيها على تعليق مريم وكلماتها.. فشعرت بقلب يحترق كمدأ
على أخ بين قضبان الحديد، وليتها تعلم عنه شئ.. لا تعلم سوى أنه الآن
بين أنياب ذئاب مسعورة لا تعرف الرحمة ولا تتقن غير النهش!!
فأشفقت لحالها وتخيلت نفسها مكانها، ماذا لو كان حسن هذا
أخيها هي؟!!

حتى لو كان إرهابي كما يزعمون، وحتى لو أخطأ كما يتشددون، فما
ذنب أخته أن تعاني قسوة البعد وقسوة القلق؟!.. أرسلت لها رسالة فلم
تجيبها.. قررت أن تستمر للنهاية في الوصول إليها.. حتى وصلت..

الفصل الخامس والثلاثون

(ارحل يا مشير)

حدثت مريم، ودار بينهما حوار أشعرها براحة كانت تفتقدتها منذ أيام... يجد الإنسان دائماً الراحة في خدمة غيره ونفعه لهم، لك أن تجرب ذلك. مازالت كلمات مريم تتردد في عقلها، حفظتها عن ظهر قلب. تنتظر رؤية أخيها بفارغ صبر كي تري في عينه بريق الفرح حين يعرف أن أخته بخير وأنها كالجبل ما يهزه الريح. هكذا قالت..!!
في أيامها الأخيرة وبعد وفاة زوجها، كانت لا تري إلا وجوها كساها الزيف والخداع وقلوب غلفها الجمود.

واليوم تري أن الدنيا مازال بها أناس لم تنزع من قلوبهم الرحمة ولا تعرف وجوههم الزيف ولا الخداع.

مرآه شفافة لكل من يريد أن يعرف معني الحب والصفاء، صراع داخلي أدواته الوحيدة هي الخلاط الذي يقلب بداخلها القناعات الآن.. صراع ستكون له عواقبه الحسنة فيما بعد!! بالطبع ستصل للحقيقة من خلال هذه البدايات من الصراع المتقد بين قناعاتها...

صفحة حسن مازالت تتصدر شاشة حاسبها، قادهها فضولها مرة أخرى لخوض تجربة جديدة

البحث داخل صورهِ.. ألبوماتهِ؟! تريد أن تراه في الحرية... كيف كان؟!!

انتقلت إلى ألبوم باسم (زواجي) صور لحفل زواج، تجمع حسن بعائلته، وأخرى تجمعهم بزوجته، فتاه جميلة نظراتها جريئة تتم عن امرأة ثورية مثله، لكن أين هي الآن؟! ولما لا تكتب مثل مريم على الصفحة لتطمئن عليه؟! تتراجع فجأة « ما الذي يعنيني أصلاً في هذا الأمر؟! » عندها فضول قاتل تريد أن تعرف كل شئ في أقل وقت عن معظم الناس...!! هكذا جيلت النساء.

انتقلت لمجموعة أخرى من الصور فكانت له ولخطيبته- التي أصبحت زوجته فيما بعد- وهما مشاركان في أحداث محمد محمود، صورة يضع لها الكمامة، وصورة يرش لها وجهها بالسائل العجيب الذي يقي من الغاز المسيل للدموع، وصورة وهما يمساكن بطرف لوحة مكتوب عليها « الأغلبية الصامتة بتقولك ارحل يا مشير»، وأخرى وهو يقبلها وسط تصاعد أبخرة الغاز في السماء.. وقفت هبة عند هذه الأخيرة برهة من الزمن.. قبلة وسط الدخان!! شعور جميل وإن كان يحمل في طياته الاستهتار والركض في طرق الهلكة.. لكن زالت دهشتها لما رأت أسفل الصورة تعليق :

«في كل عيد حب هجيبك كمامة وإازة خل وننزل نتظاهر ضد العسكر».

رسمت هذه الكلمات على قسماات وجهها إبتسامة زادتها رونقا وجمالا...

وقفت مليا عند صورة كبرتها بملأ الشاشة، بعد أن لاحظت أن زوجته تحمل بطنها أمامها!!..حامل..

قرأت تاريخ الصورة؟! كانت من ثلاث سنوات مضت.لحسن

مولود؟! تركت دهشتها من هذا الذي يأخذ زوجته وينزل يعتصم في مكان خطر وهي حامل بطفله الأول؟! إنه جنان على الأقل من وجهة نظرها هي.. أما كان الأولي به التواجد بجوارها في بيتها ليحافظ عليها من أعراض الحمل؟! لكن أمر الدهشة هذا لم يشغلها كثيرا أكثر مما شغلها أن لحسن طفل..! لهذا علاقة بالحلم؟! أيكون قد أنجب بنتا هي من رأتها تستغيث داخل البئر في الصحراء الجرداء؟! وما المراد من الحبل المقطوع؟! ولما كان يناديها ويقول :

«أنقذها يا هبة أنقذها»

ضربت جبهتها برفق «وما علاقتي بكل هذا؟!»

كانت هذه آخر الصور الثورية التي احتفظ بها على صفحته قبل القبض عليه، لتكون مشاعا لمن يريد أن يراها في أي وقت .. حملت الصورة الأخيرة واحتفظت بها على هاتفها..!! ربما تتاح لها الفرصة فيما بعد وتستطيع سؤاله عن ما يشغلها.. لتعرف تفسيراً لحقيقة هذا الحلم الذي أخرجها من حياتها الهادئة إلى رحلة البحث عن حقيقة مجهولة لا تعرف في نهايتها إن كانت ستنفعها أم لا..!.

لا مانع عندها من الإستمرار مهما كلفها ذلك.. ستخوض كل يوم معركة جديدة..حتى تصل إلى ما تريد، وإن لم يجدي ما وصلت إليه فلن يضرها ذلك في النهاية!!

لكن القدر يخبأ لها عقبات كئود ستعثرها وتأخرها.. ضريبة

الوصول للحقيقة..!!

الفصل السادس والثلاثون

(الولاعة)

التأديب ز (١)

أحس حسن بوخز شديد في ظهره وهو يتقلب على الحصوات الخشنة أسفلهُ. استيقظ فاعتدل جالساً. تحت بطانيته العفنة جانباً. نعتها في أيامه الأولى بـ (البطانية الحية)؛ قبل أن ينام يضع نصفها أسفلهُ ويحتمي بنصفها الآخر من الحائط النجس! وعندما يستيقظ يجدها انسلت منكمشة تأن بجوار الباب! تكي حالها وحاله... ناهيك عن رائحتها النتنة المشابهة لرائحة الخليط الذي يملأ وعاء البلاستيكي، أسند ظهره على الحائط مطمئناً؛ كان يعلم أن اليوم الجمعة، من ينتظرها لم تأتي؟! اكتفوا بإرسال ممرض من المستشفى بصحبة أحد المخبرين، وانتهى الأمر بسلام... أعطوه زجاجة الماء ورغيف الخبز، وهذه المرة قرر التخلص منهم مسرعاً فرمى بالرغيف من الفتحة الضيقة أسفل الباب وأفرغ محتويات الزجاجة فوقه في الخارج.

اليوم لم يكلفوا أنفسهم تخليص الفارغة البلاستيكية من محتواها.. ستظل هذه الرائحة ليوم جديد..! كيف يتخلص من هذا النتن؟! وقف متأففاً وقطع الزنزانة ذهاباً وإياباً وكأنه في طابور رياضي.. حالته المزاجية لا تسمح له اليوم بالرسم ولا الكتابة.. فكر في حفر حفرة بجوار الباب وردمها! لا ضير طالما ستضيع الوقت.. أزاح التراب بيده..

فوجد شيئاً عجيباً؟! أطلق ضحكة ساخرة.. ولاعة.. وجد ولاعة..!!
ربما كان هنا أحد المدخنين فتركها صدقة جارية لمن يأتي بعده كي
يستخدمها في إشعال سجائره..!
تأملها حسن من أعلى ومن أسفل، وها هي في راحة يده نائمة..
جربها فوجدها تعمل، ماذا سيصنع بها وهو لا يدخن، حتى وإن كان
سيدخن فأين السجائر؟! تجربة غير مكتملة العناصر ولا الأدوات..!
لكن لا بأس من المؤكد أنه سيكون لها دور محوري في الفترة القادمة.
مكان مغلق وشخص منقطع عن الطعام والشراب والكلام منذ
أربعة وعشرون ساعة، ماذا تمثل له هذه الولاة الصغيرة؟! أمسك
بطرف بطانيته وأشعلها ثم ردمها بسرعة في التراب.. تصاعد
الدخان.. وبدا الأمر مثير جداً ورائحته بدت ذكية جداً بالنسبة لرائحة
البول العفن! راقته الفكرة فقطع خرقة من البطانية وأشعلها في ركن
الزنزانة.. ظهر اللهب وامتلاً المكان بالدخان.. بداخله شئ غريب
يدفعه للاستزادة كطفل يقطع أفراسه ويرمي بها في النار، قطع
خرقة جديدة ووضعها على الأولى!! زاد اللهب وكثر تصاعد الدخان..
لا يشعر ماذا يصنع؟! البطانية قربت على النصف، وهو مازال يقطع
منها ويغذي النيران.. حتى وسوس إليه شيطانه فأمسك ما تبقى من
البطانية ورمى به كله في مرمى النيران.. أصبحت الزنزانة سحابة
دخانية في وسطها ثقب للهب يزداد كلما تمكن من جوانب البطانية..
فجأة شعر بالخطر مع تزايد اللهب.. شعر بضيق في النفس بعد أن

تمكن الدخان من جيوبه الأنفية وكأنه في مرحلته الأخيرة كي تجتذب النار تجاهها.. ارتخت أعصابه وعضلاته فأسند ظهره على الحائط، ثم خارت قواه وارتكز على ركبتيه.. لحظات ويفارق الحياة وإن لم تطله النيران.. طاف حوله وأمام عينيه.. مريم .. هبة.. سارة زوجته.. حرية ابنته.. سجنه.. تعذيبه في الأمن الوطني.. إضرابه.. زملاؤه.. مستقبله.. الموت يحمله ملك يطرق الباب بقوة..!! لما يتذكر الإنسان كل شئ وهو يفارق الحياة؟! وما فائدة التذكر وقتئذ؟! أو لأن الإنسان يرى في لحظاته الأخيرة مصيره في الآخرة فيريد الله أن يذكره بما صنع في الدنيا كي يرى الشواهد التي ستقوده لمصيره المحتوم؟! عقله مازال يعمل.. العضو الذي ميز هذا المخلوق العجيب، طالما العقل يعمل يستطيع أن ينقذ كل أعضاء الجسد، وتتعدم فائدتهم جميعا إن عجز العقل عن التفكير في اللحظات الحرجة.. مد يده على امتدادها وتحسس الوعاء البلاستيكي حتى وجده.. رفعه فأفرغ محتوياته على مصدر النيران.. فارتوت النيران من هذا الخليط العجيب فخبأت في الحال.. دقائق وتبدد الدخان وبقيت رائحته.. استلق حسن على ظهره.. مسلما نفسه لروح أبت إلا البقاء معه في قبره..!!

الفصل السابع والثلاثون (طفلة الجنة)

حدقت عينيه في سقف الزنزانة دون أن يرمش لهما جفن، أمر غريب أن تأتيك لحظاتك الأخيرة في هذه الدنيا ثم تتوسل إليها أن تتركك، فتتركك؟!«

«ماذا لو كنت فارقت الحياة فعلا؟! كنت سأكتب عند الله ممن قتلوا أنفسهم؟!«

تجمعت الدموع في عينيه وسالت كالفيضان على خديه لترطبهما، الماء يطفئ النار والغضب حتى وإن كان مصدره عينين ذابلتان أحاطهما السواد، يحملهما جسد واهن من قلة الطعام والشراب!!
دندن لسانه بكلمات الاستغفار والتوبة والإنابة إلى الله..

ابتسمت له ببراءة، كانت واقفة عند الباب بفستانها الأبيض القصير وضميرتها اللامعتين على جانبي شعرها الأسود الناعم..
عيناها حدقت فيه.. نادته بخفوت «بابا.. بابا.. قوم يا بابا»

ارتكز على ذراعيه وقام وهو يفرك عينيه ليتأكد مما يرى.. مازال مستيقظا ولم ينم.. لم يكن يحلم..

طفلة ما أجملها تقف في منتصف الباب وتناديه.. وكأنها جاءت من الجنة لتواسيه في زنزانته.. أمال رأسه يمينا ويسارا يتأملها.. أصابه

الجنون أم أنها هلاوس ما بعد الموت؟!

في السابق أخبروه أن في مثل هذه الزنازين توجد بها العفاريت
والشياطين لأناس ماتوا فيها من التعذيب أو منتحرين.. لكنها ليست

من العفاريت ولا الشياطين ولا ماتت هنا من قبل!!

إنها طفلة من الجنة.. أمالت رأسها في حركة متشابهة لحركته،
كطفلة تداعب أبيها ويداعبها..

رسمت على وجهه ابتسامة حانية.. لم يرد أن يرفع نظره عن
تأملها.. تحدث بهدوء

«حرية.. بنتي.. أعدتي من الجنة وتركت ماما هناك.. وحشتيني
يا حرية.. وماما وحشتني.. شايفة يا حبيبتي اللي عملوه فينا.. سرقوا
ثورتنا.. الثورة اللي ماما فضلت لحد آخر يوم تدافع عنها.. قررت إنك
لازم تيجي للعالم وسط ميدان.. اختلط صراخها بهتافات الحرية..
سميتك حرية.. ومبخلتش بحياتها في سبيل رجوعها.. ماتت.. ماتت
ماما يا حرية في نفس المكان اللي ولدتك فيه.. عاوزة تقولك كمي
المشوار اللي هي بدأت.. بس انت ليه إتأخرتي علي.. أنا كنت مستنيكي
من زمان..»

أسند بيده على الحائط.. اقترب منها فلم يجدها.. مشت..
إختفت.. ربما تعود.. وربما ماتت.. تحسس الباب مازالت حرارة
النيران عالقة به.. كل ما علق في ذهنه بعد رحيلها صورتها وبراءتها..
وأنه لم يكن نائما ولم يكن يحلم...!!!

الفصل الثامن والثلاثون

(سارة)

لو جلس إنسان في حجرة مغلقة، وحيدا لا يتحدث لأحد ولا يكلمه أحد.. لا يجد أمامه سوى نفسه يخاطبها.. فيستدعي ما كان وما هو كائن وما سيكون.. كي لا يتوقف عقله عن الحركة فيصاب بتلف ويصبح كالمجذوب.. والمتحكم أولا وأخيرا في ذلك؛ مدة الإقامة بين الجدران الأربعة.. فما بالك بمن يجلس في زنزانة ضيقة جدا ولا يأكل ولا يشرب ولا يحدث ولا يتحدث؟!.. يعلم أن المدة ربما تطول أو تقصر بنهاية حياته؛ مسجي على الأرض وقد سلم نفسه لبارئها.. حياة صعبة.. مصائب لا تتحملها الجبال.. سيحاول أن يجد هنا من يحفظ عقله ويسلي وقته، ليس أقرب إليه من تشغيل أشرطة الماضي لتسترسل أمام عينيه بحلوها ومرها، ولكنه لا يريد من الماضي الآن سوى زوجته وابنته..!!

زوجته سارة، تعرف عليها بعد مظاهرة كانت في محيط جامعة الأزهر تضامنا مع غزة، كان عام ٢٠٠٨ ومشاهد القصف والتدمير تتصدر شاشات التلفاز في جميع أنحاء العالم، استغاثات الأطفال تدمي القلوب.. صرخات الأرامل.. لون الدم.. الصمت الرهيب الذي أطبق على أفواه زعماء العرب، خزي وعار لحق يومها كل من تخاذل وباع

وخان.. لم يبقى للأحرار سوى التظاهر ليصل صراخهم للعالم أجمع
(غزة رمز العزة)

كان حسن وقتها في عامه الثالث في الجامعة، وفكر مع زملائه في
تنظيم مظاهرة تعلم الجميع أن طوفان الطلاب قادم لا محالة.. وغدا
طلاب مصر على أعتاب القدس..

إن لم تتعدوا عن غزة الآن أيها الخنازير، أعدوا أنفسكم لمواجهة
جيل لكم في قلبه رصيد من الكره لا ينفد.. بينكم وبينه شلال دم لا
ينقطع.. والدم أبدا لا ينسى..

كان هو المسئول عن توزيع منشورات لمقاطعة المنتجات اليهودية أثناء
المظاهرة، التي كانت مشتركة بين الطلاب والطالبات.. وكانت سارة في
أول الصفوف.. هاتفة صارخة، كأنها في ميدان المعركة..!

تجمعت قوات الأمن المركزي، والتفت متشابكة الأيدي حول
المشاركين في المظاهرة.. عدد لا يحصى من الأفراد، يرتدون خوذ
سوداء والبذلات المصفحة، يمسكون بأيديهم عصايات يقولون أن
الضربة من واحدة منها بمثابة إنذار أول من الموت للمضروب..!!

تعالت صيحات أفراد الأمن وهم يضيقون الحلقة من صيحة
لأخرى، يريدون إرهاب المتظاهرين.. أسد على وفي الحروب نعامة..
أما كان الأولي بهؤلاء الذهاب لحماية الحدود أو الذود عن أطفال
غزة؟! وسط صرخات المتظاهرين تم إحراق العلم الإسرائيلي في قلب
الدائرة، فأشار لقواته باقتحام الدائرة وفض التظاهرة في الحال..!!

كأنه علم أمة ورأيها؟! فرّ الطلاب والطالبات كلٌّ في إتجاه مختلف...
وتم فض التظاهرة بنجاح، يأتي بعد ذلك دور رجال أمن الدولة في
اصطياد العناصر النشطة أو من وضع تحتهم خط أحمر أثناء المراقبة.
ركض حسن حاملا أوراقه باتجاه أتوبيس النقل العام الذي كان
مزدحم.. تزاخم حتى رسى في ممره الطويل المكتظ بالركاب.. اطمأن
قلبه.. لن يستطيعوا إلقاء القبض عليه، إلا في حالة واحدة؛ وهي أنهم
يفتشوه ويجدوا معه المنشورات..!! تحرك الأتوبيس في مساره الطبيعي
من الحي السادس بمدينة نصر إلى رمسيس، وفي منتصف الطريق
عند ميدان العباسية تقريبا، توقف السائق فجأة وصعد من الباب
الأمامي رجلان، يرتدي أحدهم نظارة سوداء، أخذ يتفحص وجوه
الناس وسط الزحام.. ونظراً لأن مهمته في هذا اليوم كانت توزيع
المنشورات على المنظمين فهو لم يكن ظاهراً أثناء التظاهرة للجميع
إلا القليل ممن رأوه.. وبالتالي من الصعب تحديد وجوده من عدمه..
مشكلته الآن أن يتخطى التفتيش بنجاح حتى لا يصلوا للأوراق، تقدم
الرجلان وهما يراقبان وجوه الجالسين والواقفين، وقبل أن يصلوا
إليه، إذا بيد تعبر الزحام وتلتقط منه الشنطة التي في يده.. لم يقاوم..
إلتفت حوله فوجدها تبتسم له وهي تعود لتجلس في مكانها مرة أخرى
محتضنة الشنطة..!!

إلى أن وصل الرجلان إليه، توقفا قليلا عند رؤيته فقال أحدهم

للآخر «فتشه»

قام بتفتيشه فلم يجد معه شئ، فتخطوه وأكملوا طريقهم إلى نهاية الأتوبيس ثم نزلوا من الباب الخلفي، بعدها أذنوا للسائق باستكمال السير.

نزل حسن بسلام في رمسيس وانتظر قليلا حتى نزلت منقذته.. تقدمت نحوه بخطوات ثابتة وإبتسامة خجولة ثم مدت يدها :

- اتفضل شنطتك.. الحمدلله ماخدوش بالهم.. ابقى خلي بالك المرة اللي جايه...

مد يده والتقط الشنطة وهو يقول :

- مش عارف أشكر حضرتك إزاي.. بس انتي عرفتي منين إن الشنطة فيها....

قاطعته بثقة - إحساسي!! هههههههه

- إحساسك؟!!

- عرفت لأنني أصلا كنت من منظمين المظاهرة وشفتك وانت بتوزع الورق على المسؤولين علشان يوزعوه...

- اه.. تمام.. على العموم ده مش جديد على بنات الأزهر الجدعان.. اسمي حسن الحداد.. وانتي؟!!

- أنا سارة محمود.. كلية دراسات إنسانية قسم رياض أطفال...

- معقول الجرأة دي كلها تبقى قسم رياض أطفال.. قولي رياض الثورة... هههههههههه

ابتسمت :

- رياض أطفال.. رياض الثورة.. مش مهم ده كله المهم في النهاية إن بأي طريقة من دول نوصل لرياض الجنة؟! كلمات كان لها صداها بداخله، بدأ ينظر إليها غير النظرة الأولى في أول لقاءهما.. حاول ربط جسور الصلة بينهما.. بعدها نتناقش أي رياض؟!.. تعرف عليها أكثر.. أحبها.. بل عشقتها.. وعشقتة.. تقابلا على وقع أصوات الرصاص وفي قلب أبخرة الغاز المسيل للدموع.. ثم تقدم لخطبتها بعد تخرجه مباشرة.. واستمرت فترة الخطوبة عامين، عاشا فيها أجمل قصة حب مزجت بأفضل الثورات في التاريخ الحديث، ثورة ٢٥ يناير وبدأت قصة حب جديدة من النضال المختلط بالرومانسية.. تزوجا بعد أن سلم العسكر السلطة وتم انتخاب أول رئيس مدني.. ظن أن المشوار انتهى وحان وقت البناء.. لكن يبدو أن الثورة تتجدد في النفوس والقلوب ويتجدد معها الحب.. وتختلف كل مرحلة باختلاف الزمان والمكان.. لكن القدر هذه المرة قد خبأ أمر لم يكن في الحسبان؟!

الفصل التاسع والثلاثون

(القوة الضاربة)

السبت ١٠/٩/٢٠١٦م

الساعة السابعة صباحاً

عنبر (ج)

استيقظ السجناء مفزوعين على صياح كصياح كتيبة جيش تتأهب للحرب. ركض عادل باتجاه نظارة الباب، حاول تحديد مصدر الدبيب لم يري شيئاً، خمن ما يحدث في الخارج.. إنهم رجال مصلحة السجون.. يأتي تفتيش من المصلحة على سجون مصر عامة بالتناوب كل ٣ شهور... ونظراً لأن عنبر السياسي هو من يسبب أرق للنظام فيكون المنطلق من عنده، يأخذ حظاً وافراً من التفتيش، قد تقول أن أفراد اللجنة يمكنون نصف الوقت الذي يقضونه في السجن كله في العنبر السياسي..

صاح عادل في جميع أفراد الزنزانة :

- ياريت كل الناس تصحي، وتجهز حاجاتها علشان المصلحة بره..
وثب الجميع من أماكنهم مترقبين ما سيحدث.

حالة من الهلع داخل الزنازين، وما زالت الصيحات تتعالى في

الخارج، وكأنهم يستعدون لمعركة ما.

سأل خالد مستفسراً :

- يا أستاذ عادل تفكر ده تفتيش مصلحة فعلاً ولا قوة ضاربة
علشان الإضراب.

- القوة الضاربة مصلحة برده.. يعني بتبقى من خارج السجن..
بس الفرق بينها وبين تفتيش المصلحة العادي إنها مش جاية تفتيش،
جاية تكسر وتجرد وتضرب ودا من باب تكدير السجناء.. وبتيجي بعد
ما يستدعيها رئيس المباحث لما يحصل هروب جماعي أو إضراب أو أي
نوع من العجز على السيطرة.

رمقه خالد وقد ضاقت عيناه :

- يعني وارد جدا تكون دي القوة الضاربة، وجاية علشان تكدرونا
بسبب الإضراب.

أوماً عادل برأسه فاستطرد :

- دا الإحتمال الأكبر لأن المصلحة مبتعملش الأصوات دي.. وبيكون
تفتيش عادي جدا.. أفضل كمان من تفتيش السجن، يعني أنا بقول إن
دي قوة ضاربة..

قاطعه :

- طيب انت شايف نعمل إيه!

- محدش يُستفز نهائي مهما حصل.. يشتموا، يسبوا، يحاولوا
يجرونا للصدام.. محدش يتحرك من مكانه، ولا يتكلم كلمة.. لأن ده
هو غرضهم وجايين علشان ينفذوه..

صاح أحد السجناء موجهها كلامه للمسئول :

- بس لو هما قوة ضاربة يبقى مش لازم ننزل حاجاتنا، لأنهم هيجردونا، ومعنى كدة إنهم هيلموا كل حاجة ويرموها بره، ويولعوا فيها قبل ما يمشوا...!!

كان عادل يعرف أن كلامه صحيح ولكنه أراد أن يشغلهم بشئ بدل الهلع الذي سيطر على المكان..

صاح إبراهيم في الجميع :

- أنا شايف إننا دلوقتي نلزم الاستغفار علشان ربنا ينجينا من أيدي الظالمين بسلام...

دندن الجميع بالاستغفار في خفوت، فسيطر الصمت على المكان، فلا تسمع إلا همسا، حتى دوى صراخ شديد:

«كل واحد يسحب اللي في إيده وينزل على ركبته ووشه للحيطه».

الفصل الأربعون

(لا فرق عندنا!)

الثامنة صباحاً

زنزانة (٧)

جثى كل منهم على ركبتيه، موجها وجهه للحائط، واضعاً يده على رأسه، فُتِح باب الزنزانة ودخل رجل طويل القامة، عريض المنكبين، يرتدي بذلة عسكرية سوداء ويواري وجهه خلف قناع أسود.. يُحزم حول جانبيه بندقية خرطوش، ثبتها حول وسطه بحزام من الطلقات ذات الغلاف البلاستيكي والرأس النحاسية.. مع العلم أنه ممنوع منعاً باتاً في لوائح السجون الدخول لعنابر السجن بالسلاح أياً كان نوعه، قاعدة عامة للجميع بلا إستثناء.. أمام الزنزانة ارتص عساكر مقنعين بأقنعة سوداء في صفين متواجهين، نظر الرجل في ورقة بيده ثم صاح «عادل وجيه السيد»، قام عادل من مكانه مترقباً، ترتعد فرائصه، يضع يديه متشابكتين على رأسه، حين إقترب من الرجل جذبه بشدة من ذراعه وهو يصيح «أخرج يا ابن (...)» وقبل أن يرفع عينيه ليرى ما يحدث، التقطه أحد العساكر ودفع به ليمر بين الصفين، فتساقطت عليه أياديهم وعصاياتهم كالطرر، وكلما حاول أن يمر بسرعة ويجتاز الصف دفعه أحدهم ليظل في المنتصف، لم يجد بداً إلا أن يضع يده

على رأسه ليحمي وجهه من ضرباتهم. حتى ارتكز على ركبتيه صارخاً مستغيثاً... صوت الضربات الشديدة والصراخ جعل الرعب يملأ قلوب الجاثيين على أرض الزنزانة.. الكل ينتظر دوره.. كادت القلوب هي الأخرى أن تؤازرهم الصراخ لتواسي مسئولهم في دوره..

دقائق من الضرب المتتابع والركل الشديد مرت كالساعات.. جعلت عادل يفقد وعيه ويسقط أرضاً بثقل جسده، ركله أحدهم في جانبه فاهتزت رأسه مع آه شديدة صدرت من فمه، ثم جره آخر ورمى به في نهاية الممر قبل باب العنبر ببضع مترات.

لما تأكد الرجل الواقف على باب الزنزانة أنه أخذ جزاءه، نادى على الاسم الثاني «خالد محمد غريب» فحدث معه ما حدث مع سابقه، ثم «إبراهيم محمود وهبة».. «هشام يحيى رضا».. متزعمي الإضراب.. من قدموا الاستمارة الموقعة لرئيس المباحث، هم أكباش الفداء اليوم...كومت مجموعة الفداء عند باب العنبر.. دخل بعدها الرجل المقنع إلى الزنزانة، تبعه العساكر، دار حول باقي الجاثيين على الأرض، فركل كل منهم بحدائه في منتصف رأسه فصدمها بالحائط؛ في رسالة واضحة، ليس عندنا فرق بين من شارك ومن لم يشارك..!! إذا كان الأمر كذلك فلما اتخذنا عن نصرة سجين تعرض للظلم؟! أما كان الأولى بهم المشاركة في الإضراب؟! ربما رأوا منهم كثرة وغلبة فتركوهم؟!

صاح الرجل في الجميع :

- يا ليا يا ابن (...) انت وهو على بره!! ومش عاوز أسمع صوت لحد ما نخلص تفتيش..

يا إما هطلع دين أبوكوا النهارده..!!

خرج السجناء مطأطئي الرؤوس التي أثقلتها الأيدي من فوقها وأدماها الألم من تحتها،! اتجهوا حيث أشار لهم أحد العساكر في اتجاه عكس الذي سار فيه المضربين..!! مكثت القوة الضاربة داخل الزنزانة قرابة الساعة، تفتيش في كل شبر منها، يحمل العساكر كل ما فيها من أغراض إلى ساحة كبيرة خارج العنبر.. لم يتركوا شيئاً على حاله.. قطعوا الأحبال ولوها.. كسروا اللمبات المعلقة في سقف الزنزانة.. كسروا جرادل حفظ الماء.. تركوها في حالة يرثي لها، أصبحت كالبيت الخرب الذي أكلته النيران حتى حوائطه.. تسلل الجميع للخارج بعد انتهاء التفتيش وأشار الرجل للسجناء بالدخول، ماعدا المضربين، ولم ينس أن يتبعهم ببعض السباب والشتائم الماجنة وتحذير مهم «مش عاوز أسمع صوت بعد ما الباب يتقفل..!!»

وجدوها أثراً بعد عين.. سيفترشون التراب وسيلتحفون الفراغ، سيرمى لهم الطعام بعد ذلك على الأرض... ما عاد هنا أي أغراض!!.. لم يجدوا ما يحفظوا به الماء..!! سيطبق الزنزانة ظلام دامس بالليل بعد كسر اللمبات..أخذ كل منهم مكانه وجلس فيه وهو يحمد الله أنها مرت بسلام ولم يؤخذ معهم.

الفصل الحادي والأربعون (الله أكبر)

في الخارج تكوّم المضربين من كل الزنازين بعد ما حدث معهم نفس ما حدث مع عادل ورفاقه..

انتهت القوة من تفتيش زنازين السياسي التسع واتجه قادتهم إلى الخارج حيث أكوام الأغراض..

أصدر فرمان عسكري بحرق كافة الأغراض الموجودة..!! أشعلت النيران فيها في الحال وامتألت السماء بالدخان الأسود حزنا على ما حدث.. ثم أصدر فرمان آخر بتجريد كافة المضربين من ملابسهم وحرقتها قبل أن تخدم النيران، وإعطاء كل واحد منهم سترة زرقاء يلبسها على لحمه بدون أي ملابس داخلية..!!

قال خالد في نفسه، ما الفرق بين هؤلاء ومن كان يقرأ عنهم ليلة أمس في دنشواي؟! من يحكمنا نسي أننا مثله ننتمي لهذا الوطن، فأصبح كالمحتل الذي يقتل ويحرق ويسجن ويعذب، رجال ثاروا لامرأة قريتهم فضربوا القاتل الإنجليزي المحتل، ففعل بهم الأفاعيل.. إعدامات.. سجن.. جلد.. صلب.. لكننا لم نضرب ولم نقتل أحدا، وكانت السلمية هي الشعار الوحيد لثورتنا ومع ذلك فعل بنا الأفاعيل.. إعدامات.. سجن.. جلد.. صلب.. حرق.. أيهما أفضل إذن المحتل الذي

وجد السبب ليُعمل في الناس سوطه، أم من لم يجدوا أسباب فأعملوا
في الناس سياطهم؟!

دوى صوت الأذان.. أذان الظهر.. ردد الجميع في خفوت «اللَّهُ
أكبر.. الله أكبر» خالد كان أشجعهم، وثب فجأة وأدار ظهره مباشرة
ووضع يده على خده الأيمن وصدع بالأذان «اللَّهُ أكبر.. الله أكبر..
أشهد أن لا إله إلا الله.. أشهد أن محمد رسول الله.. حي على الصلاة..
حي على الفلاح.. الله أكبر.. لا إله إلا الله..»

رمقه القائد وجنوده ولم ينبسوا ببنت شفه! الله أكبر أسكتتهم..
لم يعلق أحدهم بكلمة إلا أحد الضباط همس بسخرية «فكرني بفيلم
فجر الإسلام» فأطلقت الضحكات قاطعة الصمت الذي تلا الأذان
مباشرة.. بعدها صاح القائد في جنوده «وديهم على التأديب.. فضيلي
كل زنازين التأديب من الجنائي.. عاوز أماكن لكل دول»

تقدم العساكر وأمسك كل واحد منهم بذراع أحد المكومين وساقه
إلى التأديب..!! إلا أن العسكري الذي كان يجرح خالد من ذراعه همس
في أذنه:

«سامحني.. أنا مليش ذنب.. وكنت بردد وراك الأذان والله.. انت
أحسن من مليون واحد منهم..»

الفصل الثاني والأربعون

(لا تسمعُ إلا همساً)

الساعة الواحدة ظهراً

مر على إضراب حسن عن الطعام والشراب ثمانية وأربعون ساعة، بدأت تظهر عليه علامات الهزل والضعف، كلما قام من مكانه يشعر بدوران شديد يسقطه أرضاً، لم يأتيه اليوم أحدٌ للتفتيش! ما الذي حدث؟ أيقونوا تركوا السجن وهربوا كما فعلوا في يناير؟! أياي زملاؤه ليحطموا الحوائط ويخرجونه، أم أنهم نسوه هم الآخرين؟! أين الدكتورة؟ إذا كانت اهتمت بأمره ورمت له بورقة، فلما لم تأت لتطمئن عليه؟!

فجأة.. إل تقطت أذناه ضجيجاً في الخارج.. صوت أقدام تتحرك بخفوت، تبعها صوت مزلاق الباب.. فسمع أحدهم يقول :

- هات الثلاثة دول هنا.. في ثلاث زنازين فاضية، ووزع الباقي على

حجز (ب) ، (ج) و (د).

بيدوا أن هناك وارد جديد.. من الجنائين أم من السياسيين؟! فُتحت الأبواب الثلاثة ودُفع بالوافدين للداخل.. لم يسمع صوت باب الحجز وهو يغلق! ربما تركوه مفتوح ليعودوا مرة أخرى.. دقائق وعاد المخبرين بعد أن وضعوا كل سجين في قبره، دونوا عنوان الزنزانة

ورقمها على تذكرة كل سجين. صاح المخبر :

- زنزانة (٢) .. اسمك إيه يالا؟

- رد.. «خالد محمد غريب» :

- زنزانة (٣) .. «إبراهيم محمود وهبة»

- زنزانة (٤) .. «عادل وجيه السيد»

تحدث المخبر في ظفر :

- تمام يا باشا الثلاثة هنا وأسماءهم دونت في الدفتر وأرقام

الزننازين على التذاكر..

- إقفل هنا.. وتعالى تمم لي على حجز (ب) و (ج) و (د) وبسرعة

خلينا نخلص.

سمع حسن المخبر وهو ينادي على أسماء الواردين الجدد، فتمتم

بخفوت بعد كل اسم.. خالد.. إبراهيم.. عادل.. لما أتوا إلى هنا؟

المخبر يقول أنه ملأ جميع الزننازين! أياكون وضعوا السياسيين كلهم في

الحبس الإنفرادي؟! عدد الزننازين لا يسمح إلا لـ ١٦ سجين فقط..!

فمن جاء هنا ومن وضع هناك؟

قرر أن يقضي على فضوله وينادي على جيرانه الجدد.. خالد..

لكنه تراجع خوفاً من أن يكون أحدهم مازال بالخارج فيسمعه الشتائم

والسباب، يُسب أمه وأبيه بأفطع الألفاظ وهما لا حول لهم ولا قوة غير

أن لهما ابناً جلب لهم المصائب.

جلس دقائق.. عقله لم يريحه حتى يعرف..! وثب مرة أخرى وصاح

بأعلى صوته:

خالد.. خالد.. خاااالد.

لم يجبه أحد

إبراهيم.. إبراهيم.

لم يردوا..

أ/ عادل.. أ/ عاااادل.

لا تسمع إلا همسا.. أكونوا أخذوهم مرة أخرى بعد أن تركوهم؟
أم أنهم خائفين من أن يسمعهم أحد ويسبهم؟ من المؤكد أنهم -
طالما أتوا إلى هنا- عذبوهم وأهانوهم كما حدث معه من قبل؛ يدخل
بعدها السجن التأديب لا يريد أن يكلم أحداً، لأنه في حالة يرثي لها
أمام نفسه بعد أن جردوه من ملابسه كاملة أمام زملائه وبعثوه بأقبح
الاسماء لنساء عاهرات.

بالتأكيد لم يردوا الآن، أمات فضوله نهائياً النوم على أرضية
الزنزانة المدببة بعد أن أحرق البطانية بالكامل.. النوم.. لا يملك غيره.

- هحكيلك.. قولي بس انت عامل إيه؟ ولاد الكلب دول مش ناويين
يخرجوك بقي؟

- شكلهم مش ناويين يا صاحبي.. أنا عامل إضراب عن الأكل
والشرب بقالي يومين..

- الأكل والشرب؟ بس ده خطر على صحتك يا حسن.. ليه ما عملتش
إضراب عن الأكل الأول، على الأقل متضرش نفسك.

- مش فارقة بقي يا خالد! يعني هيحصل لنا إيه أكثر من كدا...

سيبك بقي مني دلوقتي واحكيلي إيه اللي حصل؟

- عادل وإبراهيم جنبنا على فكرة، بس شكلهم نايمين ولا إيه؟

«ياليل طول شوية.. على الحبسة الحلوة ديه.. والغالى علينا غالى..»

وايدو معلما»

كان هذا إبراهيم وهو يطبل على باب الزنزانة :

- والله دي حبسه زي الفل يا جدعان، كنا هنشوف الوجوه الحلوة

دي فين؟

صاح حسن:

- إزيك يا إبراهيم.. وحشتني يا هيماء.. ووحشتني الكلام معاك.

- أنا جتلك بنفسي يا حبيبي ومتقلقش خالص هنتكلم براحتنا

وهنقول كل اللي إحنا عاوزينه.. بس تصدق يا حسن أحسن حاجة في

التأديب دا إيه؟

- إيه؟!

- إن مافيش خدمة ولا غسيل صحون ولا تقطيع بصل ولا حد يتريق الرز بتاعك، وكمان مفيش مسئول كل شوية» خمس دقائق ونظفي النور»، ولا يمسكك الساعة لما تدخل الحمام..

- ومين قال لك إن هنا مفيش مسئول؟

- أ/ عادل... عامل إيه يا أستاذنا.. والله وحشتني جدا.

- وانت كمان يا حسن.. الحمد لله إنك بخير كنت قلقان عليك جداً، وكان نفسنا نخرجك! بس حصل خير..

ثم وجه كلامه لإبراهيم :

- اطمئن بقى يا د/ إبراهيم هنا مفيش حد هيمسكك ساعة للحمام، لأن هنا مفيش حمام أصلاً.. اعمل اللي انت عاوزه براحتك خالص في البانيو اللي جنب الباب.

ضحك الجميع بصوت عالى ملاً القبر الموحش بالأمل من جديد، شعورٌ أحسه حسن بعد ما قد كان شيطانه قرب أن يملك منه منفرداً، فأرسل الله من يعينه ويقوي ظهره ويثبته.

كعادته بدأ خالد بإلقاء النكات :

- عارف يا حسن حصل موقف يموت من الضحك.. المخير وهو بيفتشني بعد ما لبست السترة، بيحط إيده في جيبى.. ضحكت وقلت له دا جيب السترة.. كشر وقلب وشه.. نزل يفتش البنطلون، حط إيده على جيوب البنطلون، ضحكت وقلت له دي جيوب البنطلون على فكرة.. إترفز جداً، المهم في الآخر حط إيده بين رجليه.. قمت ضحكت وقلت

كانت صعبة جداً بعد الضرب المبرح في موقعة الزيارة.

قال خالد:

- أكيد إحنا عارفين ياخويه ما احنا مجربين! بس فيه مخبر ابن

كلب بيضرب بزمة أوي.. زي ما أكون مرات أبوه.. ابن (...).

- سيبك بقى من الشتايم وغني لينا أغاني ثورية بصوتك الجميل

دا.. خلينا ننسى اللي حصل..!

ماشى :

من كدنا وعمل إدينا	شيد قصورك عالمزارع
والسجن مطرح الجنينه	والخمارات جنب المصانع
واقفل زنازينك علينا	وأقلت كلابك في الشوارع
أدي إحنا نمنا واشتهينا	وقل نومنا في المضاجع
إحنا إتوجعنا واكتفينا	واتقل علينا بالمواجع
وعرفنا روحنا والتقينا	وعرفنا مين سبب جراحنا
دقت ساعتنا وابتدينا	عمال وفلاحين وطلبة
والنصر قرب من عينا	نزلوا بطريق مالهوش راجع
النصر قرب من	النصر قرب من
إيدينا	إيدينا

الفصل الرابع والأربعون

(واحد ويموت!!)

الأحد ١١/٩/٢٠١٦م

الثامنة صباحاً

كان الوهن بلغ من حسن مبلغاً كبيراً.. أسند ظهره للحائط، وزاغت عيناه فبهتت الرؤية أمامهما تماماً، لم يشعر بنفسه فوجد جسده يسقط على الأرض كمن أصيب برصاصة في قلبه حرمته الحياة.. لم يشعر به أحد.. نصف ساعة حتى تأكد جيرانه أن لا أحد بالخارج فتنادى عليه خالد :

- حسن.. حسن. فلم يجيبه!! طرق عدة طرقات على الحائط الفاصل بينهما.. لم يجيب..!! نادى على إبراهيم وعادل وأخبرهم بأنه لا يرد، جرب الأخير ونادى عليه.. لا أحد فقال إبراهيم بصوت قلق :
- ممكن يكون أغمي عليه بسبب الإضراب.. لازم يجوا حالاً ويسعفوه؛ يا إما حالته هتتدهور وممكن لا قدر الله تحصله مضاعفات .. ويموت!!

قاطعه خالد :

- احنا لازم نخبط على الأبواب، لحد ما الظلمة دول يجوا، ماهو مش معقول نسيبه ويموت!! معايا ولا إيه؟!

تلجلج عادل :

- بس يا خالد التخبيط هنا ممنوع، وليه متقولش إنهم نقلوه زنزانة

تانية لما جم يفتشوا؟!

- لو كانوا خدوه كنا هانسمع، أنا متأكد إن حسن جوه في الزنزانة!!

ومش قادر يرد علينا.. ولو مش هتخبطوا معايا أنا هخبط لوحدي..

إيه؟!

طرق خالد على باب زنزانتة بكلتا يديه بقوة تبعه عادل وإبراهيم،

ثم دوت الطرقات في زنازين التأديب جميعها..!! ساعدهم نزلوا حجز

(ب) ، (ج) ، (د) ، لأنهم شعروا أن أحدهم في خطر.. ريع ساعة من

الطرق الشديد حتى صرخ خالد بأعلى صوته :

- يا شاويش في واحد تعبان.. في واحد بيموت.. يا شااااويش..

ركض عدد من المخبرين باتجاه التأديب، حددوا مصدر الصراخ..

حجز (أ) .. فتح الباب وصاح أحدهم -

- خلاص يا ابن (...) انت وهو.. بتخبطوا ليه يا ولاد (...)..؟!

أجابه خالد بتوجس من خلف الباب :

- في واحد تعبان جداً في زنزانة (١) ..!!

كان الأخير يدعوا الله أن يكون حسن في مكانه ولم ينقل، وإلا هتك

المخبرين عرضه في ميدان عام!!

فتحوا زنزانة (١) ، وجدوه مسجي على الأرض كالقتيل، حركه

أحدهم.. فلم يتحرك معه!! حمله على ظهره وركض به باتجاه السلم الخلفي، إلى المستشفى مباشرة.. ثم أغلق الباب.. وهدأ خالد؛ لأنه اطمأن أنهم طالما لم يفتحوا عليه بابه ليغتصبوه؛ إذن فقد وجدوا حسن في حالة يرثى لها.. كما أنه اطمأن أنهم نقلوه بالتأكيد إلى مستشفى السجن.

الفصل الخامس والأربعون (صاروخ باليستي عابر للقارات)

الواحدة ظهراً

مستشفى السجن

ضخ المحلول المغذي والمعلق على عمود حديدي بجوار السرير في دم حسن بواسطة السن المدبب المغروز في وريده.. فأمسكت الروح عند الخروج!! وابتلت الشفاه مرة أخرى بعد تشققها بسبب جذب الماء عن أراضيتها..، أعادت الكلى لتمارس عملها الطبيعي بعدما قاربت على الفشل في أداء وظائفها المنوط بها أداؤها. تورد الوجه وبدأ الدم يسرح في قسماته من جديد.. وجعلنا من الماء كل شئ حي..

أصعب اللحظات هي التي تمر بها النفس وهي تتجرع كأس المنية بسبب الجوع والعطش! لذلك قدرة صمودها أمام هذا الأمر أقل بكثير من صمودها أمام العديد مما تتعرض له في محياها ومماتها.

لا تصمد أمام الامتناع عن الطعام والشراب معاً سوى ساعات معدودات، بعدها تسلم الروح إلى بارئها وهي ساخطة على من لا يعيرها اهتماماً لتشتكي إلى الله ربها؛ من حتما سينتقم لها من الظالمين..

على مقربة من غرفة العزل الطبي التي يرقد فيها حسن، كانت غرفة مدير المستشفى.. بابها مفتوح! جلس دكتور ياسر الجمل على

مكتبه وهو يتحدث للجالس أمامه بكل ثقة -

- متقلقش يا محمد بيه، الواد كان عامل إضراب عن الأكل والشرب،
خلاص لحقناه، والمحاليل اللي متعلقة دي هنتهي الأمر وهيرجع زي ما
كان...

نفث دخان سيجارته وهو يشتعل معها غيظا :

- انت عارف مبتفرقش معايا الحاجات دي.. المشكلة في المأمور
اللي بيخاف من خياله!مصدعني.. وكل شوية يقول سياسي لأ!! سياسي
لأ!!.. أح هو مش مجرم، وبيقضي حكم عليه، يبقى لازم يتربى..!!
ابتسامة ماكرة رُسمت على وجهه فأردف :

- طبعا لازم يتربي، بس كل حاجة بالعقل!! علشان محدش يمسك
علينا غلطة، وانت شايف كل شوية يحولوا ضابط للتحقيق بسبب
مسجون مات في قسم أو في سجن.

- عارف.. احنا اللي بنلبس في الآخر.. بتيجي الأوامر من فوق
افشخوا السياسي!! ولما يجري ليهم حاجة نشيل الليلة لوحدنا.. الحيلة
المائلة.

قام من مكانه وجلس أمامه مباشرة وبنبرة هادئة :

- كل حاجة في وقتها يا محمد بيه!! وبعدين الورق ورقنا، والتقارير
تقاريرنا.. وطول ما أنا معاك افشخ براحتك بس بالعقل..!!
قاطعاه :

- فكرتي بالتقارير.. الدكتورة اللي فاكرة نفسها جميلة أبوحريت

الفصل السادس والأربعون

(من قتلوه؟!)

الإثنين ١٢/٩/٢٠١٦م

الثامنة مساءً

جلست في سريرها ملتحفة فراشها الناعم، أرخت رأسها على وسادتها العالية وثار شعرها الناعم على جانبيها، أحست بإرهاق شديد في عينيها بعد طول مدة النظر لها تفحص اللوحى التي تحتضنه بكفها منذ قرابة الساعتين..! دوما ما تشعر بالإرهاق في عينيها وهي تمسك بها تفحص دون أن ترتدي نظارتها الطبية. في بيتها وسريها تريد التحرر من كل شئ، تريد أن تطلق العنان لعينيها الخضروين لتسبحا بقدرتهما المتواضعة المدى في بحر الأفكار.. لا تريد قيوداً.. تجعل الثورة أسلوب حياة لشعرها وعينيها وعقلها، حتى جسدها! لا تعرف الثورة إلا في هذا المكان! أما في العمل أو في ملابس الخروج أو في حديثها مع الناس تضع الحواجز وتبني الجدران المزدوجة.. منذ أن ماتت أمها وتركتها بدون أخ أو أخت وهي تشعر بالوحدة.. قلما تخالط الناس.. ليس لها سوى والدها الذي يقضي معظم وقته بين القراءة والكتابة، ليس لها أصدقاء أو صديقات غير بعض زميلات الدراسة اللواتي تخطفهن الحياة ومتاعبها، فلم تعد تتواصل معهن إلا في أضييق الحدود.. حتى فترة

دراستها في كلية طب الأسنان كانت تهتم بالدراسة والتفوق فقط. على الرغم من جمالها الصارخ وتهافت العرسان على بابها إلا أنها كانت دائماً ترفض بحجة استكمال الدراسة وتحقيق أعلى المراتب. توفت والدتها وهي في أول سنواتها الجامعية، فعاد والدها من الكويت ليعيش معها. أثر فراق والدتها في بداية الأمر عليها؛ لكنها سرعان ما تلاشت الأحزان واندمجت مع دراستها، وكان لوالدها الدور الكبير في ذلك.

دائماً كان يحفزها على التفوق، وأن ما يدعونه أن البنث في نهاية الأمر ليس لها سوى بيت زوجها هو من قبيل المهارات التي بلينا بها في مجتمعنا.. وكان يستدل بعائشة - أم المؤمنين رضي الله عنها - فعلى الرغم من حداثة سنها وأنها زوجة خير البرية محمد صلى الله عليه وسلم إلا أن هذا لم يشغلها عن العلم والتعلم؛ فكانت أكثر من روت من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، كانت عالمة بأنساب العرب، ورثت ذلك عن أبيها الصديق، حتى أنها تعلمت الطب العربي ولما سألت عن ذلك قالت « كان رسول الله كثير الشكوى؛ فكان إذا مرض لا أحب أن يقصد أحداً غيري فتعلمت الطب من أجله صلى الله عليه وسلم..»

أخذت هبة كلمات والدها بمحمل الجد، شمرت عن ساعديها ونسيت أحزانها. فتفوقت وحصلت على تقدير إمتياز مع مرتبة الشرف في سنواتها الجامعية. وانتظرت بعد أن أنهت دراستها أن يأتيها التكليف الجامعي لتدخل مرحلة جديدة وتصعد أولى درجات العمل الأكاديمي، فتكون معيدة.. ودكتورة بعد أن تحصل على الماجستير والدكتوراه،

وبالطبع الأستاذية.. هكذا خططت ورسمت.. وكان والدها خير عون لها في ذلك.

لكن يختار الإنسان طريق ويقدر الله له طريقا آخر، من المؤكد خير له مما اختاره..

رأها أشرف الذي كان يسكن في نفس الشارع الذي تسكن فيه.. أعجبهت.. ومن لا يعجبه القمر؟!.. أشرف كان يعمل ضابط شرطة، يتسم بحسن الخلق وطيب النفس، لذلك قرر أن يبتعد عن الأماكن الشرطية التي تسمى معاملة المواطنين!! في بداية عمله أراد العمل في الخدمات المدنية، لكن لم يستجاب طلبه فعمل في قسم الترحيلات- سيارات تنقل المساجين من أماكن الاحتجاز إلى المحكمة للمثول أمام القضاء أو تنقلهم من سجن لآخر، لا يتعامل فيها مع السجناء إلا في مدة التوصيل فقط.. تسليم واستلام..

تقدم وطلب يد هبة من والدها.. لم يكن يعرفها قبل ذلك ولا هي أيضا تعرفه.. طلب منه والدها أن يتركه فترة حتى يسأل عليه.. سأل عنه فوصله أنه من عائلة كريمة محترمة، طيبة الحسب والنسب، وأنه يمتاز بالصفات الطيبة التي يتمناها أي والد لابنته.. فأعجب به وعرض الأمر على ابنته، التي رفضت في أول الأمر حتى أقنعها والدها بالجلوس معه وبعدها تقرر.

وحدثت المقابلة الأولى بينهما وكانت نتائجها مرضية للطرفين؛ هو شعر بالراحة تجاهها وهي شعرت فيه بالطيبة وحسن الخلق وأنه

سيراع حقوقها ولا يبخسها أيا منها..

وجاء وقت الاتفاق.. اتفق الجميع على متطلبات الزواج، وكأن السهولة واليسر لازمت الموضوع من أول لحظة.. إلا في نقطة واحدة حدث فيها الخلاف.. هو لا يريد لها تعمل!! وهي تريد أن تعمل معللة ذلك، كيف تدرس كل هذه المدة وتتفوق وتحصد أعلى الدرجات ثم تجلس في البيت كالمرأة الجاهلة التي لا تقرأ ولا تكتب؟! رأت أن هذا إجحاف لحقها وساندها في ذلك والدها.. وكاد الأمر أن يفشل بعد مفاوضات استمرت قرابة الشهر! حتى عرض عليها أشرف حلاً قد يكون مناسباً له ولها- وهو أن يتوسط لها لتعمل طبيبة في نفس الوزارة التي ينتمي إليها.. وزارة الداخلية، هيئة مصلحة السجون.. وفي هذه الحالة ستخفف أيام وساعات العمل كما أنه سيطمئن عليها وسط الملائكة؟!!!!

لأنها ستكون في مكان ظنه هو بعقلية الضابط الشرطي أنه أمن من غيره.. رفضت هبة الاقتراح، لكن رأى والدها فيه حلاً مناسباً خصوصاً أنه سيوفر لها العمر.. عدم اتفاق والدها معها في الرأي لأول مرة هز ثقتها أمام نفسها، وبكثير من الضغط عليها وافقت في النهاية. استمرت خطوبتها عام كامل، شعرت فيها بحبه لها وبصدق مشاعره تجاهها، ولست صفاته الداخلية فوجدها لا تختلف عن الخارجية في الطيبة والهدوء وصفاء النفس وروح الالتزام.. وخلال هذا العام تقدم أشرف بأوراقها للعمل في وزارة الداخلية كطبيبة مدنية.. وتوسط لها

في ذلك حتى جاءه قبول الطلب وتم تعيينها طبيبة في مصلحة السجون..
وتسلمت عملها في سجن أبو زعبل لمدة شهر ثم توسط لها مرة أخرى
فانتقلت إلى سجن وادي النطرون بالقرب من محل إقامتها.

تزوجا بعد ذلك وعاشا حياة سعيدة هادئة مطمئنة، عمادها الرحمة
والمودة والحب.. تعمل هي يومين في الأسبوع، عدد ساعات قليلة، وكذا
هو يعمل بدون ضغوط أو مشاكل من التعامل المباشر مع السجناء.

وكانا قد اتفقا في بداية عامهما الأول أن يمر بدون أن يعكر صفوهما
شئ فطلب منها أن تلتزم بتعليمات الطبيبة حتى لا يحدث حمل في هذا
العام!! وافقته لأنها كانت هي الأخرى تريد أن تشاركه وحدها الحياة
السعيدة المليئة بكل ألوان الحب والسعادة.

وفي نهاية نفس العام حدثت إضطرابات شهدتها الساحة السياسية
في مصر. منتصف ٢٠١٢ سقط حاكم وصعد آخر..!! وامتلات السجون
مرة أخرى لأول مرة بعد ثورة ٢٥ يناير!! امتلات بالآلاف السياسيين..
فانغمس أشرف في العمل ينقل العشرات يومياً من السجون للمحاكم
ومن سجون لأخرى.. ناقما على هذا الوضع؛ فكيف يحبس الأطباء
والمهندسين والشيوخ في السجون التي أعدت خصيصاً للمجرمين؟!
كل ما استطاعه أن يحسن معاملتهم أثناء نقلهم في سيارة الترحيلات
وأن يسمح لزويهم برؤيتهم والسلام عليهم، وأن يدخل لهم الطعام
والشراب.. حتى جاء اليوم الذي نال فيه جزاء عمله..؟!!

قتلوه..!! من هؤلاء القتلة؟! الأمر الذي مازال ملتبسا عند زوجته

وقد قرب الوقت لمعرفة الحقيقة.

الفصل السابع والأربعون

(نظرية المؤامرة)

دخل والدها حاملا صينية الشاي كصبي قهوة متمرس، بعد أن طرق الباب طرقات أحدثت إيقاع موسيقي مطرب، قابلته بإبتسامة رقيقة وفي عينيها علامات الشفقة عليه، فوالدها لم يدخر جهداً في تعويضها عن موت والدتها.. ربما لأنه شعر في ذلك بالذنب ؛ لأنها تقدمت في مراحلها العمرية المختلفة ولم تجده أمامها؛ دائماً كان مسافراً ولم تره إلا أيام معدودات في السنة.. كانت والدتها لها الأب والأم والأخ والصديق، ثم عاد بعد وفاتها ليعوضها ما مضى من سنوات الغربة ويعوضها أيضا فقدان أمها.

- لقيتك كدة مش عاوزه تخرجي من الأوضة، قلت آجي أنا وأجيب كوبيتين الشاي دول معايا..

قال والدها هذه الكلمات وهم يهيم بالجلوس بجوارها على طرف السرير، فارتكزت على ركبتيها وطبعت قبلة على خده ثم قالت :

- تعباك معايا دايم يا بابا.. ربنا يخليك ليا يارب.. وعلى فكرة الشاي جه في وقته، لأنني حاسه بصداع شديد مش عارفة ليه ؟!

- أكيد طبعا من التفكير الكثير.. دا غير طبعا السبب الرئيسي للصداع إنك ماسكة الموبايل ومدققه عنيك في من غير النظارة..

عادة غريبة؟!

ابتسمت ابتسامة رقيقة :

- مش عارفة مابحبش ألبسها في البيت.. عارف كمان وأنا بره بحس إنها رمز الوقار ومن غيرها بحس إن عيوني فضحاني..!!
علشان كدة مش عاوزة أعمل ليزك لأنني بقيت أشوف نظارتني جزء من شخصيتي..!!

- كل حاجة ليها عندك رد منطقي مقنع.. عارفة يا هوبا لو كنتي درستي منطق وفلسفة كنتي هتبقى عبقرية..!! بس مش عارف إيه اللي عاجبك في طب الأسنان؟!
رفعت حاجبها لأعلى :

- قدرنا اللي بيختارنا يا بشمهندس مش إحنا اللي بنختاره مش ده كلامك بردو؟!

- أكيد طبعا.. وكمان عاوز أقول إنني ربنا دايمًا بيقدّر لنا الخير، وممكن اللي مبنقاش شايفينه خير في الأول نكتشف بعد كدة إنه أفضل بكثير من اللي كنا عاوزينه..!!
قالت وقد ارتعش جفناها :

- حاسة من ورا الكلام ده بحاجة ؟! صح ولا أنا غلطانة ؟!
بابتسامة أب يرى النضج على طفله الصغير لأول مرة أجاب :
- أنا بس لما رجعت من السفر بعد وفاه كوثر، كنت حاسس بحزن شديد لفقدانها، شفت بعد كدة الخير؛ وربنا عوضني بيك علشان

أفضل جنبك وأعوضك عن كل اللي فات من سنوات الغربة..

قاطعته بنبرة حنونة :

- ماما وحشتك يا بابا ؟!

- أكيد طبعا وحشتني جدا وصورتها مش بتفارق خيالي أبدا.. بس

خلاص هانت وأروحها إن شاء الله؟!

اغرورقت عيناها بالدموع من كلماته الأخيرة فربت على يديه،

ورأت في عينه حزن عميق، ..

لم تشعر بنفسها إلا وهي ترتمي في حضنه وتبكي :

- ربنا يخليك ليا يا بابا.. أنا مليش غيرك في الدنيا كلها!! وبعدين

مش عاوزة أسمع الكلام ده تاني.. بابا أنا بحبك أوي يا أحلى وأطيب

أب في الدنيا كلها..

باعد رأسها عن كتفه ومسح دموعها بأصابعه ثم قال بابتسامة

مشفقة -

- خلاص يا دكتورة أنا معاكي ومش هسيبك لوحدك.. بس في

موضوع عاوز نتكلم فيه ضروري دلوقتي.. ممكن بقى تسمعيني ؟!

قالت بعينين رطبتهما الدموع :

- اتفضل..

وضع كفها بين راحتيه ثم استطرد :

- مفيش حد بيختار ميعاد موته.. وأنا الموضوع ده شاغلني جدا

بقاله فترة.. ومفيش مانع إنني أطمئن عليكي.. خصوصا أن جوزك الله

يرحمه ميت بقاله دلوقتي تلت سنين.. عاوزك يا هوبا تفكري في موضوع الجواز ده تاني.. ومش ترفضي زي كل مرة.. ماشي.

لوت رأسها في دلال وهي تقول :

- إيه يا بابا هو انت زهقت مني ولا إيه؟!

- لأ طبعا.. هو في حد يزهد من بنته حبيبتة برده؟ بس عاوز أطمئن

عليكي.. لأنك ملكيش حد غيري زي ما قولتي..!! وكمان أنا شايف إنك

معندكيش مانع يخليكي ترفضي الجواز من جديد..ولو أشرف الله

يرحمه سامعنا كان هو اللي طلب منك كدة؟!

ضغطت على شفيتها السفلى وأردفت بنبرة هادئة :

- الله يرحمه...

وقبل أن تكمل قاطعها

- خلاص هتوعديني إنك تفكري في الموضوع ده؟!

أومأت برأسها وهي تنظر إليه بعينين حانيتين :

- أوعدك.

غير نبرة صوته للعلو وكأنه كان في انتظار هذه الكلمة منذ عقود !!

- أيوه كدة أنا اطمنت.. قوليلي بقى عمليتي إيه في موضوع السجين

السياسي اللي في السجن بتاعك.. اسمه؟!

عقدت حاجبيها :

- السجين بتاعي؟! اسمه حسن يا بابا.

حكى له ما حدث في الأيام الماضية دون أن يخبره بالمخاطرة التي فعلتها حين وضعت الورقة داخل رغيف الخبز وحرصته على الإضراب، كما لم يخبره أنها حدثت أخته مريم وأخذت منها رسالة لتوصلها لأخيها في محبسه.

الفصل الثامن والأربعون

(٥٠٪)

الثلاثاء ١٢/٩/٢٠١٦م

التاسعة صباحاً

وصلت هبة للمستشفى في موعدها المعتاد، في حيوية ونشاط تتعمد إظهارها للجميع حتى ترسخ في أذانهم أنها جديرة بهذه الوظيفة، وإن كانت في سجن، لا فرق في أي مكان بين رجل وامرأة، تعلقو بسقف طموحها في الكثير من الأحيان؛ لتقول أن هناك أماكن لا يصلح لها إلا النساء، ووظائف لا يصلح أن تتقلدها غيرهن. لذلك فهي تري أنها في الوظائف أصل وما عداها فروع.. لأنها الأعم..

غير أن هبة ليست جديرة بذلك فحسب ولكنها أيضاً تتميز بحب إثبات الذات وخوض التجارب التي حتما ستجرح، لديها سبب آخر جاءت من أجله متحمسة وهو أن تشبع فضولها بما حدث لحسن! هل قرأ الورقة؟! وهل التزم بما فيها أم لا؟! إن كان التزم بما فيها، فمر على الورقة ما يزيد على الثلاثة أيام، يعني من المحتمل أنه لو امتنع عن الطعام والشراب هذه الفترة فقد نقلوه للمستشفى؟!!

أسئلة كثيرة تدور في عقلها وهي تسير بخطوات ثابتة باتجاه

مكتبها..!!

جاء صوت من خلفها قبل أن تدير يدها على مزلاق الباب لتفتحه :

- صباح الخير يا دكتورة.. مستني حضرتك من بدري..!!

لم تدير رأسها باتجاهه؛ فاستطرد :

- المسجون السياسي اللي حضرتك سألتني عليه قبل كده موجود في

غرفة العزل الطبي.. نقلوه من التأديب يوم الأحد الصبح.. كان ميت؟!

قالت متظاهرة بالثبات بعد أن ضغطت بطرف أصابعها على

نظارتها لتعيدها للخلف

- انت مش كنت قولتلي إنهم ودوه التأديب بعد ما عمل مشكلة؟!

- أيوه.. بس الظاهر إنه عمل إضراب في التأديب، وحصل له إغماء،

فنقلوه المستشفى، وهو موجود دلوقتي في غرفة العزل.

- طيب ليه ماودهوش عنبر المستشفى مع المرضي؟!

- حالته كانت صعبة جدا لدرجة إنهم افتكروه مات.. والدكتور

ياسر قال انه لازم يفضل شوية في العزل لوحده..!!

قالت بنبرة متزنة أخضت وراءها إشفاقها عليه :

- حالته دلوقتي عاملة إيه؟!

- حالته بقت أحسن بعد المحاليل.. تقريبا بقت متزنة.. بياخد

العلاج بانتظام بقاله يومين.. ولسه مستنين كلام د/ياسر.. علشان

نشوف هننقله عنبر المستشفى مع المرضي أم لا..!!

- والدكتور ياسر موجود النهاردة؟!

- لسه مجاش وطالما مجاش لحد دلوقتي يبقى مش هايجي النهاردة..

- ماشي يا حاتم هاتلي التذكرة بتاعته، وابتعلي فنجان قهوة سكر
زيادة..

قال وهو ينصرف :

- تحت أمرك يا دكتورة..

لم تستطع أن تخف حالة التوتر التي بدت عليها بعد سماعها كلام
حاتم، حسن على بعد خطوات منها، وحالته أصبحت مستقرة الآن،
من المؤكد أنه هو الآخر ينتظرها!. كيف ستكون المواجهة الأولى بينهما
بعدها علم أنها صاحبة الورقة، سيسألها عند الدافع وراء ذلك، هي
من أمرها في حيرة! أتحكي له مقابلتهما السابقة؟! أتحكي له الحلم؟!
حملت التذكرة واتجهت إلى غرفة العزل، صممت الذهاب إليه
مهما كانت نتائج المواجهة، فهذا أهون بكثير من فضولها الذي أوشك
أن يقبض بكلتا يديه على رقبتها فيقتلها.. طرقت طرقات خفيفة على
باب الغرفة؛ على غير العادة داخل أي مكان في السجن! فكل الأماكن
كلاً مباح.. كان حسن مستلقي على ظهره مثبتاً عينيه في سقف الغرفة،
لم يجب الطارق حين سمع الصوت؛ لأنه لم يعتاد ذلك. فتحت الباب
ودخلت بخطوات خجولة، اصطدمت بنظرته الجريئة التي وجهها للتو
نحو الباب حين سمع صريره، بادئته بالكلام لقطع الطريق أمام دهشته
وحتى تخفي لهفتها للقايه

- صباح الخير.

ارتكز على ذراعيه وجلس مستنداً على حافة السرير.. رد بجمود :-

- صباح الخير..!!

اقتربت منه حتى أصبحت على بعد سنتيمترات من السرير تظاهرت
أنها تقرأ شئ في التذكرة الخاصة به -

- عامل إيه انهاردة؟! عرفت من المسير إن صحتك بقت أحسن.

- الحمدلله على كل حال.. وياريت تكلميمهم علشان عاوز أرجع

العنبر بسرعة..!!

ظهرت عليها علامات الاستغراب لما تسمع، فقالت باسمه :

- في حد يسيب المستشفى-الجو الكويس دا- ويبقى عاوز يروح

العنبر؟!!

قال بلهجة ساخرة :

- قصدك يعني إن في المستشفى نايم على سرير، وليا غرفة لوحدي،

وباكل كويس، بشرب كويس..!! إنما هناك التربة اللي مرصوص فيها

بالعافية ٢٨ فرد! نايمين على التراب، وبيدوهم الرحمة كل يوم الصبح

رغيف عيش وعلبة جبنه.

قاطعته بصوت محتد :

أنا مش قصدي كدة خالص على فكرة.. أنا قصدي إنك لسة تعبان

ومينفعش تنتقل دلوقتي..

أدار وجهه عنها في تجاهل متعمد :

- أنا مش عاوز علاج من حد أنا عاوز أروح تربتي بعد إذنكم..!!

- انت بتتكلم معايا كده ليه؟! زي ما أكون أنا السبب في اللي انت فيه؟!!

ابتسم بسخرية أكثر :

لأ.. لا سمح الله!.. أمي هي السبب! بقالي أكثر من شهرين بشتكي من ورم في ضرسى، ومحدش معبرني.. وعلشان أوصل للمستشفى مرة واحدة طلع روحي.. وفي الآخر « انت عامل الوش دا كله علشان ضرسك.. ما تموت يا أخي ولا غور في داهية..»

أرادت أن تتكلم ولكنه قاطعها :

- يودوني التأديب من غير سبب، علشان قلت مينفعش مخبر يمد إيدته على واحدة ست!!

ولما يحسوا إني ممكن أموت من الإضراب وأسبب ليهم مشاكل يجيبوني المستشفى ويعالجوني.. وبيعتوا واحدة تمثل الرحمة وتشيل الأفكار الهدامة من دماغي، وأرجع عن الإضراب! ويرجعوني زي الكلب من غير أي مطالب تتحقق..!!

تحركت خطوات حتى أصبحت في مواجهته مباشرة :

- دا على أساس إني مش أنا اللي طلبت منك تعمل إضراب؟! وخاطرت بمستقبلي وسيتلك ورقة بخطي في رغيف العيش؟! وكتبت تقرير بحالتك كان ممكن أتفصل بسببه؟! وكل دا وحضرتك بتقولي بمثل..!!

مازالت السخرية طاغية على نبرته.. وعيناه تتحاشا النظر إليها مباشرة :

- أكيد كل ده تمثيل.. يعني هو جديد عليكم؟! ما انتوا ليل نهار

بتمثلوا على الشعب وبتوهموه إنكم في خدمته..!! وفي الآخر بتفشخوهم
في السجون والأقسام!!

- بتفشخوهم؟! على العموم أنا مش هارد عليك دلوقتي! لأنني عاملة
حساب للحالة اللي انت فيها.. بس بردو مفيش رجوع العنبر غير لما
تخف..!! والتمثيل إحنا اتعلمناه منكم،.. وصلتوا للحكم بالتمثيل..
وعملتوا نفسكوا أبطال لفيلم النهضة!! بس لسوء حظكم الفيلم سقط
في أول عرض..!

لوى شفتيه ثم ضغط بأسنانه على السفلي بقوة وعقله يقول- « إيه
الغباء اللي هي بتقوله دا..؟! هي فاكراني إيه؟! ونهضة إيه؟! خمسين
في المية واللله كثير عليها دي آخرها عشرين في المية»

أخرجه من شروده صوت خطواتها وهي تتحرك باتجاه الباب، ثم
وقفت فجأة وأمسكت بالباب وهي تنظر إليه قائلة :

- على فكرة مريم بتسلم عليك.. وبتقولك هي كويسة ومتقلقش
عليها.. وبتقولك يا جبل ما يهزك ريح..

وقبل أن يتكلم كانت قد خرجت متعجلة وأغلقت الباب أمام عينيه
وتركته حائراً بين جدران أربع..!!

الفصل التاسع والأربعون

(الجنة مش بلاش)

الحادية عشر ليلاً

تساءلت في نفسها - « هذا جزائي لأنني ساعدته وكان من الممكن أن أخسر كل شئ بسببه لو أكتشف أمري؟ يحدثني وكأني السبب في كل ما حدث له..!! يتهمني أنني ممثلة!! على العموم هذا خطأ من البداية لأنني فكرت في الوقوف بجواره!! مسجون سياسي أو حتى جنائي..لا فرق! في النهاية هو مسجون، لا علاقة لي به من اليوم..الا بد أن أنسى الأمر تماماً.. لن أزوره مرة ثانية.. لم أحمل له رسالة من أخته مريم..!! مريم»

توقفت قليلا عندما نطقت اسم مريم.. تساءلت بصوت عالي.. ما ذنبها هذه المسكينة في كل ما يحدث؟ لما نحاسبها على ذنب لم ترتكبه؟! كيف حالها الآن؟! من المؤكد أنها تنتظر رد الرسالة على أحر من الجمر..هداها عقلها، حتى وإن أخذت قرار بعدم مساعدة أخيها إلا أنها لا بد أن تطمئننها برد الرسالة.. «كان من الممكن أن أكون مكانها!» قفزت من على السرير باتجاه الهاتف وأمسكت به وطلبتها..

كانت مريم على الجانب الآخر تتصفح الصفحات الإلكترونية التي تتداول أخبار الإضراب داخل سجن وادي النطرون.. لم يصلها أي خبر

عن أخيها منذ الكلام الذي تم بينها وبين هبة.. حتى من كانت تتواصل معهم من الأهالي لا يعرفون شئ عن ذويهم داخل السجن!!
كادت مريم أن تدخل داخل الهاتف حين سمعت صوت رنينه ورأت الرقم الذي طمئننها على أخيها من قبل، لم تعطه فرصة استكمال الرنين بأرياحية..

قاطعته بعجالة وهي تقول : سلام عليكم...

- إزيك... يارب تكوني بخير.

بلهفة شديدة :

- الحمدلله أنا بخير... طمئني على حسن.. وصلتني الرسالة؟! ..

وقالك إيه؟! وهو كويس ولا لأ؟!.. والزيارة إمتي؟!!

- كل دا..! شكلك كنتي مستتية الاتصال دا من زمان؟!!

- من يوم ما قفلت معاكي وأنا كل شوية أبص في الموبايل علشان

أشوفك اتصلتي ولا لأ.. كنت خائفة أوي لا ماتتصليش..

- يا ااه.. أد كده بتحبيه؟!!

- مش بحبه وبس، حسن روحي قبل ما يكون أخويا على فكرة.

- ماشي يا ستي.. على العموم هو كويس وبيسلم عليك ووصلت

الرسالة زي ما قولتي بالضبط.. اطمئني كدا؟!!

- طيب مقالتيش الزيارة هتكون إمتي؟!!

- لا للأسف.. بس اللي أعرفه تقريبا اللي بيدخل التأديب بيتحرم

من الزيارة شهر..!!

ابتلعت غصتها واغرورقت عيناها بالدموع استعدادا للبكاء ثم
أردفت بنبرة حزينة :

- طيب أنا ممكن أعمل إذن نيابة وأجي أزوره لأنني مش هقدر
أستنى شهر كامل؟

- مش عارفة الصراحة إذن النيابة بيرفع المنع ولا لأ؟! .. بس هسألك
وأكيد لو في جديد وسمحوا بالزيارة هاعرفك.

- أنا بشكر حضرتك جداً.. بس ياريت تكلميني بسرعة لأنني ببقى
قلقانة جداً.

- إن شاء الله هحاول.. بس أهم حاجة انتي إطميني.. وخلي بالك
من نفسك ولو عوزتي أي حاجة ممكن تكلميني على فكرة أنا اسمي
هبة!.

- شكراً جداً يا أستاذة هبة.. بس نفسي أعرف حاجة لو مش عندك
مانع؟

قاطعتها هبة :

- أولاً أنا مش أستاذة، وممكن تقولي لي هبة بس، والحاجة اللي
عاوزه تعرفيها، أنا بوصل لحسن ازاي؟! شايفه إن ملوش لزمة على
الأقل دلوقتي! وبعدين أكيد أنا هاكون سعيدة لو بقينا أصحاب، وكل
حاجة هتعرفيها في وقتها..

- دا شرف ليا بجد.. خلاص هبعث لحضرتك أد عل الفيس وياريت
تقبلي طلب الصداقة..!!

أجابت متلعثمة :

- بلاش الفيس! خلينا نتواصل كده أحسن.. لو مش يضايقك؟!
- طبعا مش يضايقني المهم في الآخر راحتك.. وكده أو كده هنتواصل
باستمرار.

- تمام.. طيب انتي مش عاوزه مني أي حاجة دلوقتي؟! أعملها لك؟!
- الله يكرمك يارب.. أنا بس كنت عاوزاكي تسلميلي على حسن
جداً وتطمنيه على..

قاطعتها هبة وهي تبتمس :

- وأقوله يا جبل ما يهزك ريح..

ابتسمت مريم وأردفت :

- ماشي وقوليله كدة.. واني هاحاول أزوره في أقرب وقت.. وقوليله
مريم بتبوسك، وبتقولك خلي بالك من نفسك يا حبيبي.. والجنة مش
ببلاش يا حسن.

- بتبوسك؟! والجنة مش ببلاش؟! ماشي حاضر هاقوله يا ستي
عاوزه أي حاجة تاني؟!
- الله يخليكي.. هانتظر ردك في أسرع وقت.. ماشي؟!
- ماشي.. في حفظ الله
- سلام عليكم
- سلام.

أغلقت هبة الهاتف ومازالت علامات الاندهاش تلاحقها، وهي

تردد كلماتها الأخيرة «بتبوسك! إن شاء الله هقولها له إزاي دي بقى؟! دي أكيد بتهزر»

ارتفعت وجنتاها احمرارا وهي تتبسم من تلك الحروف الغريبة على أذنيها..

ثم تمتمت «وإيه موضوع الجنة مش ببلاش دا؟! يعني عاوزه بوسه! وأنا اللي أوصلها له!! وبعد كده تقوله الجنة؟!»

أتحمل رسائل السجناء جميعها مثل هذه المعاني وهذه الكلمات؟! أم أن هذا فقط بينها وبين أخيها؟! ومتى كانت الجنة بفلوس؟! حتى وإن كان كذلك فلماذا يعتقدون أن الشاري الوحيد لها هم هؤلاء السجناء؟! أتري كلمات والدها لها علاقة بهذا الكلام حين قال أن منهم من يضحي بكل شئ، مستقبله، ماضيه، وحاضره من أجل غاية كبرى هي الجنة؟! ولكن هذه غاية عامة لكل الخلائق، يطمع في الجنة الثوار وغيرهم بالتأكيد..!! بصرف النظر عن دين أو مذهب أو جماعة أو حركة.. الكل بالتأكيد يريد الجنة.. إذن ليس لرسالة مريم دلالة واضحة أن أخيها ينتمي لأي صنف من الأصناف الثلاثة التي شرحها والدها!

لكن ما الذي يهمها في هذا الأمر؟! أياً كان انتماؤه.. من أهل الجنة.. أو حتى من أهل النار! ليس لها علاقة من قريب أو بعيد، ثم تعود من جديد وتبرر لنفسها ما فعلت وما ستفعل.. حالته سيئة.. فقد كل شئ.. تحول من مهندس ناجح لسجين.. حُرّم كل شئ حتى أخته.. أهين وأخذ بذنب لم يرتكبه.. اليس كل هذا شفيع له حتى تستكمل

مساعدته وتلتمس له الأعذار؟! ماذا تعني كلمة (كرامتي لا تسمح لي بذلك)؟! وإنسان بين الحياه والموت يحتاج وقوفها بجواره في وقت تخلى عنه الجميع...!! اليس من ضحى بمستقبله وحرّم حريته بجدير أن يجد من يضحى من أجله ويساعده بكل ما يملك؟!..

أمسكت رأسها بيديها لتتوقف عن التفكير ثم صاحت:

«سأساعده وإن لم يكن من أجله فمن أجل أخته الطيبة مريم».

الفصل الخمسون

(العضو الصحي)

- صباح الخير يا محمود باشا.

- صباح الخير.. إيه يا ياسر بيه هو أنا ماشوفكش غير لما أبعثك..

يعني نفسنا نشوفك بس ونظمن على سيادتك.

- أنا تحت الأمر يا باشا، حضرتك عارف الوزارة مبتسبنيش في

حالي وكل يومين إستدعاء في مكان شكل! إحنا في خدمة البلد يا باشا.

- ماشي يا ياسر مش هسلك معاك! أقعد علشان عاوزك في موضوع

مهم؟

- خير يا باشا؟

- انت عارف إن فاضل ليا أقل من سنتين وأطلع على المعاش،

والصراحة مش عاوز مشاكل لحد ما أطلع على خير..

قاطعه :

- سجلك سابقك يا باشا انت كنت من أكفأ الناس في الوزارة

وسجل خدماتك مليون بالإنجازات.. وبيتهيا لي مفيش واحد في

مصلحة السجون كلها ميعرفش مين محمود النقراشي مأمور سجن

وادي النطرون.

- انت شايف الفترة الأخيرة كلها مشاكل والسجون مليانه

بالسياسيين! والإعلام مش مبطل كلام، وكل يوم مصيبة جديدة يتحول فيها ضابط برتبة عالية للتحقيق ومش بعيد يدخل السجن كمان!
- بس حضرتك إيه علاقتك بكده؟ إحنا زي الفل.. والسجن هنا الأمور مستقرة ومعندناش مشاكل!
قاطعه باهتمام :

- الظاهر إنك مابتابعشي مواقع التواصل الاجتماعي ولا إيه يا ياسر؟

- الصراحة لأ.. مش فاضي حضرتك عارف.
- الدنيا كلها بتتكلم عن تدني الوضع داخل السجن هنا وخصوصاً الحالة الصحية، ويقولوا إن الأمراض والأوبئة منتشرة في السجن نتيجة الإهمال الطبي المتعمد! دا غير موضوع الإضراب الأخير اللي منتشر في كل الدنيا! وأهالي المساجين مش مبطلين شكاوي في كل حته.. حقوق الإنسان.. الوزارة.. والنائب العام.

- كل مرة بيحصل كده وآخرتها إيه يعني؟ لجنة من خمس أفراد تيجي تزور السجن ونظبط ليها الأوراق والتقارير ويخلص الموضوع!
- الموضوع المرة دي صعب.. المساجين مش هتسكت ولا أهاليهم هتسكت، وزى ما انت شايف رئيس المباحث حاطط إيداه في المية الساعقة ومش فارق معاه! أنا اللي هشيل الليلة في الآخر..!

- طيب تأمر بيايه يا باشا؟
- انت عرفت موضوع التقرير اللي عملته الدكتور اللي شغالة معاك؟

- آه.. عرفت.. دا محمد بيه مخنوق منها جدا بس هي جديدة ومش فاهمة.

- لأ.. التعليمات اللي عندي إن الوزارة بقيادتها الجديدة ناوية تغير المنهج خالص والظاهر الرئاسة هي كمان عاوزة كدا! بيفكروا يعملوا عفو صحي عن مجموعة المساجين السياسيين؛ عاوزين يسكتوا الناس شوية! فرصة علشان نقول إن الداخلية حريصة على إعلاء حقوق الإنسان داخل السجون والكلام اللي انت عارفه دا..

- فكرة بردويا باشا.. عاوز مني تقارير صحية بنفس صيغة التقرير بتاع هبة؟

- بالضبط كده.. بس انت عارف مش شرط تكون التقارير دي صح! يعني مش شرط يكون المفرج عنهم بصحة سيئة زي ما التقارير هتقول.

- !!!!!!

- الأمن الوطني هو اللي هيختار المجموعة اللي هنفرج عنها، معايير معينة هما حاطينها!. ميكنش خطر على الأمن العام، وماهوش قيادة بارزة.. يعني هما اللي هيحددوا!..
- وبعدين؟

- هيبعثوا كشف فيه ١٠ أسماء، وانت هاتعمل لها التقارير.. وهيبقى في ٥ أسماء زيادة من صلاحياتي أفهم.. بس بشرط يكونوا في حالة صحية سيئة ويستحب يكونوا خلاص بيموتوا!.. علشان يخرجوا من الدنيا خالص!

- فهمت.. يعني الوزارة هتعمل عفو صحي عن ١٥ واحد، الأمن الوطني هيحدد ١٠ وإحنا هنختار ٥ تعبانين بجد! علشان الموضوع ميكنش باين أوي.. وعاوزني أجهز التقارير الطبية ليهم.
- تمام.. وأنا في انتظار التعليمات الجديدة وهبلغك بالتنفيذ.
- ورئيس المباحث؟!
- عيب يا ياسر وأنا بقول عليك بتفهمها وهي طيارة..
- تمام.. حضرتك بلغني بالاسماء واعتبر التقارير جاهزة.. والخمسة اللي باقيين هعمل فحص بكل الحالات اللي موجودة وهختار ناس بتموت فعلاً!
- بس خلي بالك يا ياسر، السجين اللي عامل قلق في الخارج بسبب مرضه وصوت أهله عالى في وسائل الإعلام يكون ليه الأولوية! علشان يبقى ضربنا عصفورين بحجر واحد..سكتناهم وشلنا مسئولية موته من على أكتافنا!
- مفهوم.. مفهوم.. يا باشا.
- وياريت بردو تستعين بالدكتورة اللي عندك، بتكتب تقارير حلوة.
- هبة؟!
- اسمها هبة؟ تمام.. كتبت تقرير قبل كدا عن مسجون خلاني أنا نفسي المأمور عاوز أديله عفو فوري!
- بس ما باليد حيلة.
- ماشي يا باشا.. أي أوامر تاني.

- لأ.. شكرا يا ياسر، بس ياريت مفيش أجازات اليومين دول..
إفضلنا شوية علشان نخلص الموضوع دا.. ونرتاح بقى من الصداغ اللي
بره.

- تحت أمر سعادتك.. بس كنت عاوز أعرف هو تقرير المسجون
السياسي وصل ليك إزاي؟ وأنا عرفت إن....
قاطعته :

- عرفت إن رئيس المباحث خده من المخبر وبعث ليا واحد تاني
خالص.. صح؟ مش عاوز تقول كدا؟
طأطأ رأسه :

- صح يا باشا!

أردف المأمور في ثقة :

- متساش يا ياسر إنني في السجنون بقالي أكثر من ٣٠ سنة وعارف
كويس جدا الأعيب المباحث!
رفع ياسر يده بالتحية العسكرية.. تمام يا فندم.. وانصرف.

الفصل الحادي والخمسون

(الطلب الصعب)

الثانية عشر ظهراً

كان حسن يقرأ في الجريدة الصادرة بتاريخ سابق، يتصفح العناوين العريضة بسرعة حتى نهاية الجريدة ثم يعود مرة أخرى لقراءة التفاصيل.. بدا من علامات الإستغراب والدهشة والاشمئزاز التي تعلق وجهه أنه سئم أمر ما؟ ربما سئم تكرار القراءة مرات ومرات؟! وربما سئم الزيف والخداع المسيطر على الحروف والكلمات..

طرقت هبة الباب ودخلت بخطوات متثاقلة.. اقتربت منه وهي تحمل في يدها جهاز قياس الضغط.. ثم قالت بحزم وهي تثبت سماعات الكشف الطبي على أذنيها :

- اتفضل إكشفي ذراعك علشان أقيس الضغط!!

لاحظ حسن بذكائه ملامح الحزم المصطنعة!! فابتسم ساخراً وهو

يقول :

- هو مش حضرتك دكتورة أسنان؟!.. علاقتك إيه بموضوع قياس

الضغط؟!

نمت شفيتها عن إبتسامة ساحرة كادت أن تفجر الدم في وجنتيها

الحمروين :

- لا والله.. انت بتهزري؟!

رفع رأسه واضعا عينيه في مرمى عينها مباشرة.. توقف عن الكلام للحظات ثم أردف :

- وإيه المشكلة يعني أما أهزري؟! حد تجيله دكتورة زي القمر في السجن وتقوله هات إيدك ومايهرش من فرحته؟!

رمت السماعة بقوة ثم قالت بحزم وهي تتحرك باتجاه الباب :

- لا!!!.. انت زودتها أوي؟!

هم أن ينزل من على سريره ويتبعها، لكنه اكتفي بندائها بتوسل :

- خلاص.. خلاص.. أنا آسف.. والله بجد آسف!!..

توقفت فجأة ثم رمقته باستغراب قبل أن تتراجع خطوات للخلف.. فاستطرد :

- بس أنا مش آسف على الهزار.. أنا آسف على الكلام اللي قولته لحضرتك المرة اللي فاتت.. أنا كنت في حالة نفسية سيئة وأتمنى إنك تسامحيني.

قالت كمن يقول وجهه شئ ويقول لسانه شئ آخر :

- خلاص مافيش حاجة.. حالتك النفسية سيئة أو مش سيئة موضوع مايهمنيش..!! أنا وظيفتي هنا أتابع حالتك وخلاص أكثر من كدا مايهمنيش...

بصوت هادئ :

- بس الكلام دا مش باين على وشك.. قصدي أنا حاسس إنني

شفتك قبل كده؟!

عقدت حاجبيها مندهشة :

هتشوفني فين يعني؟! وبعدين أنا شايفة الكلام ده ملهوش لزمة..!!
وكمان الناس اللي بتمثل بتبقى وشوشهم مألوفة لكل الناس .. مش
جديد يعني!!

- طيب ممكن أعرف انتي عرفتي أختي مريم منين؟!

- كانت زميلتي في معهد التمثيل!!

- معهد التمثيل؟! شكلك لسه زعلانة؟! على العموم أنا آسف

وبعتذرلك لأنني فعلا مكنتش عارف أنا بقول إيه!!!

حملت الجهاز واتجهت نحو الباب ثم التفتت وقالت بصوت محتد :

- دا موضوع وانتهى.. وانت هنا في مستشفى مش في عنبر، يعني

حقك علينا الرعاية الصحية والاهتمام، بصرف النظر عن تهمتك أو

انتماؤك!.

- تهمتي؟! تمام عندك حق.. أنا هنا متهم وسيادتك دكتورة.. ولازم

أراعي الحدود والمسافات اللي بينا.. ومش معنى انك جبتي لي رسالة من

أختي يبقى خلاص بقينا واحد.. ومينفعش أصلا متهم زي إرهابي إنه

يتكلم مع دكتورة بالطريقة دي!! أنا آسف..

استطاعت كلماته الأخيرة أن تلمس نقاط ضعفها وتحرك بداخلها

رحمة مكنونة وضعها الله في قلوب النساء... أدارت جسدها بالكامل في

اتجاهه مباشرة ثم أردفت بعد أن علت شفيتها إبتسامة مشفقة.

- أنا مش زعلانة!!.. وزي ما أنا دكتورة انت مهندس.. يمكن الفرق الوحيد بينا دلوقتي؛ إني أقدر أشوف مريم وأتواصل معاها.. إنما انت ممنوع من الزيارة شهر!!

ابتسم بعد أن شعر قبولها إعتذاره وإعطاءه فرصة أكبر للتواصل مع مريم عن طريقها؛ لأنها عبرت له بقدرتها على التواصل معها بطريقة غير مباشرة..

تشجع وشعر ناحيتها بالأمان فقال في حماسة :

- ممكن أطلب منك طلبين؟!

قطبت جبينها لأعلى في إستغراب.. فقالت :

- طلبين مرة واحدة؟! ماشي.. بس يارب أقدر أنفذهملك..!!

- الطلب الأول.. كنت عاوز كشكول وقلم !!

أومأت برأسها إيماءة خفيفة :

- سهلة.. والطلب الثاني ؟!

همس بصوت خافت حتى لا يسمعه أحد، مدللا بذلك أنه إطمئن لها.

- عاوز أكتب جواب لمريم وعاوزك توصليه ليها؟!

ظهرت علامات الحيرة على قسمات وجهها.. ما بين القبول

والرفض.. فأردف :

- أنا عارف إن دا خطر جدا.. لأن الجوابات ممنوعة، وخصوصا

لو كان مسجون سياسي.. بس ممكن تقرأ الجواب وهتلاقي كلام

عادي مش فيه أي ضرر..

تلعثمت لعدم جاهزية الرد عندها فيما يتعلق بطلبه الثاني....
-الصراحة مش عارفة أقولك إيه؟! بجد الموضوع صعب.. بس
هاحاول.. أنا هجيبك الورق والقلم دلوقتي ولو نفع الموضوع هاعدي
عليك وأنا ماشية أخذ منك الجواب! ولو منفعش يبقى غصب عني..
وياريت تقدر ظروف في..!!

- ماشي.. جميل لحضرتك مش هنسأه أبداً.. مش عاوز أقولك إني
إستحالة كنت أطلب الطلب دا من حد غيرك لأنني بجد استريحتك
جداً، وحسيت إنك مننا مش منهم!!

- بلاش الكلام الكبير دا يا بشمهندس .. مننا.. ومنهم.. أهم
حاجة بس دلوقتي تهتم بصحتك ومتقلقش على مريم هي تمام وبتسلم
عليك.

ثم أشارت له بيدها.. وبعدها غادرت الغرفة إلى مكتبها مباشرة..

الفصل الثاني والخمسون

(التواصل مع إرهابي الخارج)

الساعة الواحدة ظهراً

أمسك حسن بالدفتري الصغير والقلم بين يديه فرحاً كطفل احتضن ملابسه الجديدة الذي اشتراها له والده ليلة العيد.. قبل ذلك بدقائق تسللت إلى غرفته خفية وهي توارى في جيب سترتها الدفتري والقلم.. أعطته إياها وتوجهت مسرعة من حيث أتت دون أن تسمح له إبداء أي شكر.. ولم تنس أن تتصحه بإخفاءهما عن عيون الداخلين للغرفة حتى لا يعرف أحد بالأمر ويعرض نفسه للخطر!!

دائماً ما كان يقول أن الورقة والقلم حياة! وأنه على استعداد أن يقضي باقي فترة حبسه في التأديب طالما أنهم سيسمحون له بأوراق وأقلام..!! لذلك هو يشعر الآن بفرح شديد ، جعله لدقائق يتفحصها وبالأخص حين سولت له نفسه أن هذا القلم هو قلمها الخاص الذي ينعم بملمسها الدافئ..!! هذا جعله دون أن يشعر يكتب على غلاف الدفتري (حورية السجن). فتح الدفتري مسرعاً بعد أن تذكر أن عليه أن يكتب الجواب لمريم؛ عليها تعود وتأخذه في أي وقت.

وقعت عينيه على كلمات مكتوبة في أعلى الصفحة الأولى...؟!!

« إزيك يا حسن، عامل إيه، يارب تكون بخير وبأحسن حال...»

طمني عليك.. أنا كويسة الحمدلله.. وثابتة.. يا جبل ما يهزك ريح..
خلي بالك من نفسك يا حبيبي.. والجنة مش بيبلاش..»
(الرسالة دي من مريم على فكرة.. طلبت مني أوصلها لك.. وبعثالك
بوسة بس معرفتش الصراحة أكتبها إزاي دي.. ياريت تقطع الورقة بعد
ما تقرأ الرسالة..!)»

قرأ الرسالة أكثر من مرة، وفي كل مرة تتفرج أساريره بعد أن
اطمئن على أخته.. ولم يجد عجبا من كلماتها الأخيرة أو أنها تريد أن
تبوسه، هذه عادتها دائما ما كانت تُزيل خطاباتنا ورسائلها بمثل هذه
الكلمات وترسم الأشكال الدالة عليها! إلا أنه وقف مليا عند تعليق هبة
عليها «مش عارفة أكتبها إزاي»

تخيل خجلها واحمرار وجنتيها وهي تنطقها.. ليتها بلغتني الرسالة
شفويا؟! لكن لا بد أن يشكرها حين تأتي على أمانتها في نقل الرسالة
على الرغم من احتوائها على كلمات أخجلتها..!!
قلب الصفحة وبدأ يخط بحروف رقيقة لأخته :

أختي الحبيبة الحنون...مريم.

وحشتيني جدا جدا، يعلم الله مدى اشتياقي لرؤيتك وبسمتك التي
تبث الأمل وتقهر السجان. انتي يا حبيبتي شهادة في عيون الأحرار تقول
- «إنك امرأة صبرت فما جزعت، وتحملت فما لانت، فكانت خير عون
لخير طريق»، وشهادة في عيون السجان وإن لم ينطقها لسانه» ليت
أختي مثل أختك»، وشهادة في عيون وقحة «لما الضيق من السجن

طالما أن أخته الحرية»، وشهادة في عيون أقرانك وأبناء جيلك» هذه
مثاليتنا.. معصوبة بالأمل.. ومتوشحة بالثبات.. راسمة على شفيتها
إبتسامة الصمود، رغم أنهم إقتلعوا قلبها عنوة»

وشهادة في عيني وبين نبضات قلبي يرددتها لساني» مريم رمز
الصمود والعفة والثبات والأمل وكل ما هو رمز.. فلا أقول هذا أبي ولا
ها أنا ذا ولكن أقول هذه أختي.. فمن عنده أخت مثل أختي؟!!

وصلتني رسالتك واطمأنت عليكي.. وأنا بفضل الله بخير ولا
ينقصني غير وجودك ورؤياك.. سأعرف موعد الزيارة وأبلغك،
ولعل اللقاء القريب يكون في الحرية، أرسلني الرد مع الدكتورة.. حتى
اطمأن أن خطابي وصلك، لا تقلقي من أمرها فمن حملت لك رسالة
اطمئنان لجديرة أن تطمئني لها، ومن حرصت أن تكون شمعة وسط
الظلام الدامس لجديرة أن نلقبها ب (حورية السجن).. لا تسييني
من دعائك.. ولتعلمي أنه إن كان في الآخرة جنة قيمتها عالية كما قلتي
فانتي جنة الدنيا.. ومن ليست أخته جنة الدنيا لن يدخل أبدا جنة
الآخرة....»

قطّع حسن الورقة من الدفتر وطواها بحرافية حتى أصبحت
صغيرة جدا، يسهل حفظها بين أصابع اليد..!!..كتب في الصفحة التي
تليها.. جواب آخر.. ولكن هذه المرة اختار كلماته بعناية وتركيز وطواه
حتى أصبح في حجم الأول.. بعدها أخفي الدفتر والقلم في الفاصل بين
السرير والحائط...!!

الساعة قاربت على الثانية بعد الظهر.. إقتراب موعد إنصراف الموظفين من السجن، لم يحضر إليه أحد!! غير حاتم الذي أحضر له وجبة تعيين المستشفى وتركه! متحججا بانشغاله مع مرضى آخرين.. بدأ يفقد الأمل في أنها ستأتي لتأخذ الجوابات.! يبدو أنها لن تستطيع المجئ فتخرجت منه وانصرفت مباشرة دون المرور عليه! هو يعلم أن الأمر صعب وخطير.. لو كان مكانها لفكر ألف مرة قبل الإقدام على مثل هذا..عمل فدائي.. ربما يضيع مستقبلها بالكامل إن أكتُشف أنها تساعد سجين سياسي في التواصل مع إرهابي الخارج..!! وربما لفقت لها قضية المساعدة في هروب مسجون خطر على الأمر العام.. لها عذرها بالتأكيد إن لم تأت...

فجأة وبدون مقدمات فتحت هبة الباب دون أن تطرقه.. وتسللت خفية للداخل وهي تتلفت حولها.. ثم مدت يدها باتجاهه فسارع بوضع الجوابات في راحتها فقبضت بأصابعها الناعمة عليها وانصرفت بعد أن تركت صورة بسمتها الرقيقة لتملاً المكان أملاً بعد رحيلها..

الفصل الثالث والخمسون

(من خارج الدائرة)

الساعة الرابعة عصراً

مبنى التأديب

- يا ااا ابراهيم.. يا ابراهيم.. ماترد يا عم.. زهقت من القعدة
لوحدي.. عاوز حد أكلمه.

صاح خالد من زنزانتة الإنفرادية. فجاءه صوت إبراهيم مملوءاً
بالنعاس

- إيه.. عاوز إيه؟!.. كنت نايم..

متوسلا أردف :

- عاوز أتكلم معاك..! انت مزهقتش من النوم؟!

- هو إيه اللي ممكن يضيع الوقت في المكان المقزز ده غير النوم؟!

طرق خالد على باب الزنزانة بنغمة مطربة، ثم قال :

- طيب بص أنا هغنيلك الأغنية اللي بتحبها بس بشرط تتكلم معايا

لحد بليل.. اوك.

بصوته العذب وبنبرة خاشعة، غنى :

يا عزيز عيني.. أنا نفسي أروح بلدي.

ليلة نمت فيها صحيت ملقتش بلدي.

بلدي يا بلدي .. وأنا نفس أروح بلدي.

- عارف يا خالد الأغنية دي مؤثرة جدا.. بس دا برده ميمنعش إن صوتك بيبعث الأمل في كل أرجاء الزنزانة.

- أفهم من كده إنك وافقت على شرطي وهتكلمني لحد بليل..؟!

- ماشي يا عم.. يعني إحنا ورانا إيه.. بس قبل المغرب بتلت ساعة هسيبك علشان عاوز أقرأ الأذكار ماشي؟!

- وأنا أكيد هاقول الأذكار.. ولّا انت فاكرني من كفار قريش ولا إيه؟!

قهقهه إبراهيم ثم قال وهو يغالب الضحك

- الواد حسن وحشني جداً جداً، ونفسي أشوفه وأتكلم معاه.. يارب يكون بخير..

- ووحشني أنا كمان.. وبنتي ومراتي وحشوني جدا.. الواحد عاوز يخرج بقى يا هيمما.. بنتي في الزيارة بتقولي يا عمويا أخي!! البنت مش بقت تعرفني..!!

- هههههههههه.. ما هي هتعرفك إزاي بقالك تلت سنين محبوس.. وهي إتولدت وانت في السجن..؟!

- يعني لدرجة تقولي يا عمو؟! إن شاء الله تخرج بقى وتتجوز بإبراهيم وولادك يقولوك ياعمو..!!

- انت عارف أنا واخذ لحد دلوقتي كام سنة يا خالد؟!

ثم صدع خالد بزغروطة أحدثت صفير عاليا رج صدي صوتها
الأبواب، فقام عادل من نومه فزعا وهو يقول :
- إيه يا بني انت وهو؟! في إيه؟! وانت يا عم خالد انت فاكر نفسك
في فرح شعبي ولا إيه..؟! لو حد سمعك من المخبرين هتبقى مشكلة..!!
- ماشي يا أستاذ عادل.. أمرك يا ريس..!!
ثم حرّك لسانه في حركة سريعة محدثا زغروطة أخرى بصفير
أعلى من السابق!!

الفصل الرابع والخمسون

(ممکن آیس کریم)

الساعة العاشرة مساءً :

كانت مريم منهكة في مذاكراتها، تعد نفسها لاستقبال الامتحانات، لا تريد أن تخلف وعدها مع أخيها، قد وعدته في السابق أن لا يقل تقديرها عن إمتياز.. لا يريد هم أن يقولوا أنه أضع مستقبلها ومستقبله!!

ترسم حرف (H) على هامش كل صفحة من صفحات الكتاب؛ تستمد منه قوة وتركيزا!!

رن هاتفها فأخذته متلهفة، قفزت من على السرير بعد أن رأت رقم هبة، ذلك الذي أصبح يشعرها بالسعادة في كل مرة تراه وكأنها تحدث أخيها..!!

- السلام عليكم.

- وعليكم السلام.. إزيك يا مريم.. أخبارك إيه؟!

- الحمد لله أنا بخير.. حسن أخويا بخير؟

ابتسمت هبة ثم قالت :

- على طول كده؟.. طيب إديني فرصة أتكلم معاكي شوية وأطمئن

عليكي.. ولا أنت نسيتي إننا بقينا أصحاب ولا إيه؟!

- أنا الحمد لله زي الفل.. وأكيد هنتكلم براحتنا.. بس لما أطمئن على حسن الأول..!

- أفهم من كده إنه لولا حسن مكنتيش هتكلميني أصلاً؟!

- لا والله.. مش قصدي.. بالعكس أنا استريحتك من أول مرة إتكلمنا فيها.. وعلشان كده إطمنتك وحاسة برده إننا هنكون أصدقاء مش أصحاب وبس!!

- خلاص ياستي، على العموم حسن بخير وبيسلم عليكي جدا.. ووصلت له الرسالة، بس هو المرة دي مبعتش ليكي رسالة..!!

- ليه؟! حصل حاجة وانتي مش عاوزه تعرفيني صح؟!

- إيه دا أنا على فكرة مش هاهزر معاكي تاني يا مريم، لأنك بتخدي كل حاجة بجد خالص.. هو مبعتش رسالة بس بعثك جواب..

- جواب؟! « دارت في رأسها أسئلة كثيرة.. كيف؟! جواب يعني بخط يده؟! كيف خرج هذا من السجن؟! ما الذي يحدث؟! »

- هو حب يطمئنك المرة دي فقال يكتبلك جواب..

- طيب هو فين؟!

- مين؟!

- الجواب يا هبة..

- الجواب.. أه.. معايا أكيد.. بس لسة بفكر أوصلهولك إزاي؟!

- الموضوع بسيط!! حضرتك هتصوريه صورته بموبايلك وتبعتهولي

على الفيس أو على الواتس أب..

- اممممم.. الصراحة موضوع الفيس والواتس دا أنا قلقانة منه..!!

- ليه بس؟! ما كل الأخوات اللي بيزوروا معايا بنتواصل بالطريقة دي.. عن طريق النت..

- الأخوات؟! أعتقد إن الموضوع ده صعب بالنسبة ليا شوية..

كانت هبة تخشي من التواصل عبر الانترنت بسبب حملات التفتيش الإلكترونية المتوالية من قبل وزارة الداخلية وخصوصا على عناصرها وموظفيها..! حتى أنها قد أخذت حذرهما في بادئ الأمر عندما كلمت مريم واستخدمت شريحة أخرى غير شريحتها المعروفة لدى زملائها في العمل.

استطردت مريم :

- طيب ممكن تقولي لي انتي ساكنة فين وأنا هاجي أخذ منك الجواب؟!

هتفت هبة :

- عارفة بقى أنا اللي بفكر أجيلك أنا.. إيه رأيك؟! حابة أشوفك وأتعرف عليك عن قرب.. فرصة يعني.. بس أهم حاجة تكوني بتعري في عملي قهوة كويس..

- حضرتك تشرفي في أي وقت.. أما بالنسبة للقهوة مش بحبها ولا بعرف أعملها بس أوعدك إنني أسيب كل حاجة دلوقتي وأقوم أتعلم القهوة مخصوص علشانك..

- لا ياستي خلاص.. ممكن أيس كريم عادي.. دا حتى القهوة مش حلوة وبعدين بلاش حضرتك كل شوية.. هو إحنا مش أصحاب ولا إيه؟! - ماشي يا هبة.. حضرتك هتيجي إمتي إن شاء الله؟! - حضرتك تاني.. ماشي.. بكرة الخميس أنا مشغولة ومش هاقدر أقابلك.. ممكن الجمعة أنا هاكون فاضية وكمان نقضي اليوم كله مع بعض، إيه رأيك؟! - تمام.. هستناكي الجمعة.. عارفة العنوان؟ - إممممم.. للأسف لأ!! - بصي أنا ساكنة دلوقتي مع خالتي، في قرية بينها وبين بنها حوالى تلت ساعة بس أنا ممكن أجيلك بنها وأقابلك عند محطة القطار.. - طيب يا مريم المسافة من وادي النطرون لبنها حوالى كام ساعة؟! - لو الطريق كويس حوالى ساعة ونصف.. بس انتي ليه بتسألني عن المسافة بين وادي النطرون وبنها؟! - علشان أنا بيتي قريب من السجن..!! - استغربت مريم من إجابتها.. فاستطردت -؟؟؟! ماشي مش فاهمة بس مفيش مشكلة.. أنا يوم الجمعة بدري هروح شقة حسن هي في المدينة جنب المحطة.. وأول ما تتصلي بيا تقولي إنك وصلتني دقيقتين بالضبط هكون عندك..!! - وأنا قبل ما أخرج هتصل بيكي.. - ياريت تقبلي عزومتي على الغدا.. ومش تقلقي أنا بطبخ كويس

جدا جدا.. وشقة حسن فاضية.. يعني هتكوني براحتك ومحدث
هيضايك.

- دا انتي كده عاوزاني أرجع البيت بالليل.. بس برده موافقة.. لأنني
بجد من زمان وأنا نفسي أتعرف على صديقة زي العسل شكلك..

- دا من ذوقك يا هبة..

- أسيبك بقى دلوقتي، ونتقابل الجمعة بإذن الله..

- ماشي.. في حفظ الله..

- سلام.

الفصل الخامس والخمسون

(المساومة)

الخميس ١٥ / ٩ / ٢٠١٦ م

التاسعة صباحاً

مكتب رئيس المباحث

اليوم هو اليوم الخامس لحسن في المستشفى في غرفة العزل الطبي منفرداً تحت رعاية صحية كاملة ومتابعة دورية لحين استقرار الحالة، يُطعم طعام خاص يُعامل معاملة خاصة ويُقدم تقرير يومي للمأمور السجن عن حالته..!

استيقظ صباح هذا اليوم على صوت حاتم الذي صاح بصوت

جهوري

- يلا يا حسن ألبس ستره..! علشان هتقابل رئيس المباحث..

قال مستغرباً :

- ليه؟!

- دا عرض عادي علشان يشوفك وصلت لفين وبعدين يقرر إن كنت

هتتنقل العنبر ولا هتفضل زي ما انت..!

أمسك بطرف سترته المهترئة ثم قال :

- ماشى أنا عاوز ستره.. علشان السترة دي بقالي كتير لابسها.

وكمان إتقطعت من عند الدراع لما جم يركبولى المحلول..

- هروح أجبلك سترة وأجى...

أحضر حاتم السترة التي خيط في حافتها السفلية طاقية من نفس اللون، قطع حسن الطاقية مشمئزاً وطوح بها في ركن الغرفة، ونفض السترة في الهواء أكثر من مرة بعد أن وضعها بالقرب من أنفه واشتمها ثم لوى شفثيه مستنفرأ من رائحتها. لكن لا مفر سيفسلسها حين يذهب لعنبره. خرج بصحبته حتى وصلا إلى مكتب رئيس المباحث الذي يتوسط السجن بالظبط..!

أمره حاتم بالوقوف حتى يستأذن له في الدخول. فوقف مبتسماً ومستمتعاً بحرارة الشمس التي حُرْم منها منذ سبعة أيام. ترك جسده يتذوقها ببطئ كي يتطهر من كافه آثامه.! دقائق وخرج المسير وتقلد دور الناصح الأمين قائلاً :

- شوية كده وهتدخل حاي! شبشيك هتسيبه هنا؛ لما تخرج هتلقيه.. ونصيحة منى أنا مسجون شكلك، يعنى زُمل.. مشي حالك وحافظ على كلامك. خليك تروح عنبرك وتقضى حبستك بسلام.. وإلا هيعملك تأديب تانى..!

رمقه باستغراب دون أن ينبس ببنت شفه متجاهلاً كلامه تماماً.. لكنه في قرارة نفسه نوى أن يسمع لصوت العقل هذه المرة ويحاول تيسير أموره حتى يرجع لمكانه .

مرت حوالى ساعة وأكثر وهو ما زال واقفا لقمه سائفة للشمس التي

بدأت هي الأخرى تحرقه.

كان يظن أنه سيستمع بها لدقائق ويدخل..!! لكن زاد الأمر عن حده فانقلبت كل جنود الطبيعة ضده..!!

نظر أمامه فوجد أحد المخبرين يدخل المكتب. خمن أن رئيس المباحث ينتظره وبعدها سيسمح له بالدخول. وكما توقع خرج المخبر ونادى عليه :

- تعالا يالا..!!

اقترب منه حافيا مطأطأ الرأس ومشبكا إحدى كفيه في الأخرى. أفسح المخبر له الطريق فدخل، ومن خلفه مباشرة وقف المخبر على أهبة الاستعداد في انتظار أي إشارة من رئيسه ليبدأ في الحال بلطمات متتالية على قفاه. رفع رئيس المباحث رأسه.. ثم قال :

- اتعلمت الأدب ولا لسه؟!

أوماً برأسه دون أن ينطق؛ فوكزه المخبر بقبضته في جانبه

- ما ترد يا ابن (.....)

هتف سيده متداركاً الموقف أو متظاهراً بذلك :

- أنا مش قتلتك ماتمدش إيدك عليه.. ارجع ورا يلا عند الباب..!

ثم وجه كلامه لحسن

- إتكلم براحتك محدش هايمد إيده عليك.

شعر حسن بنبره غريبة في معاملة الرجل له، لم يشعر بها من قبل. ما الذي حدث؟! أليس هذا هو نفسه الذي فعل به الأفاعيل يوم

الزيارة؟! يعلم أن هذه المعاملة الحسنة وراءها شئ ما..! فليس هذا
البذاءى بمن يتوب عما فعله وإن أقتربت الروح من الحلقوم.

رفع يده واستأذن في الكلام ثم قال بنبرة وقورة :

- عاوز بس أقول لحضرتك إني بقالي أكثر من ست شهور في
السجن دا، ماعملتش مشكلة واحدة عن قصد! والمرة الأولى اللي دخلت
فيها التأديب كانت مكان راجل كبير أتمسك في الزيارة بفلوس وقلت
أنها بتاعتي علشان الراجل ميتهدلش.. والمرة الأخيرة كنت بحوش عن
عمر..

- أفهم من كدا إنك عرفت غلطك، ودي برده بداية كويسة.. وعاوزك
تعرف أن هنا فندق واحنا إدارة الفندق دا..! واعتقد المأمور قال لكم
الكلام دا في أول يوم. بس انت دلوقتي أخليت بالاتفاق ومشاكلنا طلعت
بره السجن..!

- مش فاهم ؟!

- أهلك قدموا شكوى للنائب العام بأنك مش موجود في السجن وتم
ترحيلك لمكان غير معلوم وإنهم جم زاروك بإذن نيابة قالولهم على
البوابة إنك مش موجود عندنا.. والنيابة دلوقتي جاية تحقق في البلاغ.

- وإيه المطلوب منى دلوقتي..؟

- مطلوب منك تقول إنك كنت ممتنع عن الزيارة بمزاجك لأنك
كنت بتمر بحالة نفسية سيئة.. وإنك كويس ومحدث كلمك.. ودا مش
بيلاش! ليك مقابل عندي..!!

- إيه المقابل..!؟

- هاعملك زيارة بدل اللي ضاعت عليك.. وهاسيبك في عنبر

المستشفى لحد ما ترجع أحسن من الأول.. خلاص..!؟

هنا عرف حسن السبب وراء هذه المعاملة الغريبة.. مساومة لإنهاء

مشكلة النيابة المتواجدة الآن في السجن للتحقيق في بلاغ الاختفاء

القسري الذي قدمته أخته للنائب العام فور خروجها من السجن

يوم الزيارة؛ هكذا كان حدد لها خط سيرها في مثل هذه المشكلات،

ونبهها بتقديم البلاغات الرسمية! حتى إن كانت لا تجدي نفعاً إلا أن

العيار الذي لا يصيب يدوش!! لحظات من التفكير السريع عرض فيها

الموضوع على عقله وخرج في النهاية، بأنهم لن يعجزوا عن تليفق ما

يريدونه حتى مع النيابة نفسها.. ألم يفعلوا هذا من قبل حين حكموا

عليه بالسجن لمدة ثلاث سنوات بتهمة التظاهر!؟ ما الذي يمنعهم الآن

من فعل ذلك!؟ بالتأكيد يستطيعوا..!!

أخيراً هداه عقله للخروج من هذا التفاوض بأكبر قدر من المكاسب..

صاح في ثقة :

- أنا موافق أقول اللي قلت عليه.. بس زمايلي اللي في التأديب

يرجعوا لعنبرهم ويتلغي عنهم المنع من الزيارة..

باعد بين ذراعيه متجاهلاً كلامه.. ثم استطرد :

- ماشى.. مفيش مشكلة.. بكرة أطلعهم من التأديب .!

كان حسن يعلم جيداً أنه لن يفعل ذلك؛ حتى لا يكسر نفسه أمام أي

مسجون. فرئيس المباحث عامة لا يرضخ لأي طلب من السجناء مهما كانت المشاكل؛ لأنه يظن في ذلك كسراً لنفسه وهيبته..! ربما وعد بأمر ما حتى يمر الموقف ثم يخلف وعده بعد انتهاء ما يريد..

قطع تفكيره رئيس الباحث :

- ياريت يا حسن لو عاوز نبقى حيايب، أي حاجة تحصل في الزنزانة تيجي تقولي.. مين اللي بيهتف؟ مين اللي بيحرض؟ مين اللي بيخطب؟ وأوعدك إني أرفع تقرير للأمن الوطني عنك وفي أقرب عفو يخرجوك..!!

هنهن في سخرية :

- عاوزني أشتغل مرشد يا باشا؟!

- إيه المشكلة يعنى أما تبقى مرشد.. دا انتوا حتى بتعبدوا المرشد بتاعكوا.. انت تطول تبقى مرشد..؟؟!

- الصراحة يا محمد بيه أنا مش هاعمل كدا مهما حصل وحضرتك ممكن تشوف حد غيري للمهمة دي .. أما موضوع النيابة أنا هاعمل زي ما قتلتك.. لأنني عاوز زمايلي يخرجوا من التأديب..

وهو يشاور له بالانصراف مشمئزاً قال :

- ماشي..! هتروح دلوقتي المكاتب وتعرض على النيابة وبعدين ترجع على المستشفى لحد ما تخف وترجع عنبرك..!!

الفصل السادس والخمسون

(أنا لست من الإخوان !!)

الساعة الحادية عشر والنصف صباحاً

لماذا يعتقدون أننا كلنا إخوان؟! يقولون لمن ثار وضحي وسجن انت إخوان.. مهما كانت فكرته أو توجهه. من قبل رمته هبة بهذا الوصف واليوم رئيسها يكرر نفس النعت..! أكانت الثورة حكراً على الإخوان وحدهم؟! كاد أن يصرخ فيه قائلاً :

- << أنا لست من الإخوان! ولن أكون ولن أَرْضَى أن أوصف بهذا..! >>

أنا الثائر الوحيد في الميدان.. من لا يملك سوى الهتاف.. بعيداً عن لعبة المصالح التي رُسِّمت ملامحها على وجوهكم ووجوه أمثالكم.. لا أريدكم يوماً ولا أريدهم.... أنا اليوم وإن كنت بين أيديكم أسيراً فلا أَرْضَى منكم غير وصفي.. الثائر الحر..!!

كلمات همس بها إلى نفسه وهو واقف أما مبنى المكاتب الإدارية منتظراً المسير ليصطحبه مرة أخرى إلى المستشفى..! في السجن ممنوع منعا باتاً أن يتحرك أي سجين من مكان لمكان إلا بصحبة مسير أو شاويش..!!

قبل ذلك بساعة عُرِّض حسن بعد خروجه من عند رئيس المباحث على وكيل النيابة، وحدث ما أتفق عليه! أوفي هو بوعده منتظراً أن

يفي الرجل بوعده ويفرج عن زملائه من التأديب..! جاء المسير بعدها
واصطحبه للمستشفى تنفيذاً لتعليمات رئيسه.

على أعتاب المستشفى رأى هبه تقف في منتصف الردهة تتحدث إلى
الصيدلي الخاص بالمستشفى..

حين لمحته تركت ما في يدها للصيدلي واتجهت نحوهما.. ثم نظرت
لحاتم قائلة بحزم :

- مين اللي أمر بخروجه من غرفة العزل دلوقتي..؟!

- رئيس المباحث طلبه.. وراح إتعرض عليه ورجع!

- هو مين بالضبط اللي بيحدد المريض يفضل ولا يخرج؟! دكتور

ياسر ولا رئيس المباحث؟! على العموم أنا ليا تصرف تاني..!!

تلعلم حاتم:

- الظاهر إني رئيس المباحث إستعلم عن حالته من الدكتور ياسر

علشان كده أمر بأنه يسحب غرفة العزل ويروح عنبر المستشفى مع باقي

المرضى..!

رمقته بنظرة آسفة بعد أن علمت بنقله للعنبر الرئيسي وكأنها تقول:

"كيف أتواصل معك بعد اليوم" .. أخرجها من شرودها حين قال :

- تؤمري بحاجة تانية يا دكتورة..؟!

- لأ.. شكراً..

رجعت إلى مكتبها لتبدأ في ممارسة عملها اليومي.. وجدت فور

دخولها كشف بأسماء عدد كبير من المرضى من كافة العنابر.. تركه

مدير المستشفى كي تبدأ في فحص الحالة الطبية الظاهرة لكل منهم،
وتدون بجوار خانة الاسم، الأمراض المزمنة التي يعانون منها!
قالت في نفسها..

- واللّٰه بدأت أنسى إني طبيبة أسنان.. لكن لا عجب.. في السجن
انتظر كل شئ غريب في أي وقت.

الفصل السابع والخمسون

(مرض السل)

عنبر المرضى ..

دخل حسن عنبر المستشفى...عبارة عن حجرة كبيرة بها عدد كبير من النوافذ محكمة الغلق بالسياج الحديدية والأسلاك بها عدد من الأسرة متراصة بجوار بعضها البعض يفصل بينها مسافات قصيرة لضيق المكان . كانت الأسرة كلها مشغولة.. معظمهم مرضى عظام علقت أرجلهم المجبسة أو المجبرة على شباك السرير.. وبعضهم لا تظهر عليهم علامات المرض، عرف فيما بعد أنهم مرضى فيروسات الموت.. تعجب! ألم تكن هذا مستشفى ومن الأولى بهم الفصل بين هؤلاء المرضى أصحاب الحالات الخطيرة وبين المرضى الآخرين؟! رمق المكان بنظرات سريعة، ثم جذبته صوت يناديه من أقصى

الحجرة؟

- حسن.. حسن..

حذق في مصدر الصوت فوجده هو كما رآه من قبل بوجهه الطلق البشوش غير أنه بدا أكثر نحافة من ذي قبل..

اقترب منه وسلم عليه

- إزيك يا عمر عامل إيه؟.. كنت فاكر إنك رحى العنبر.. معرفش

إنك هنا!

أردف وهو يشير له أن يجلس بجواره على السرير المجاور.
- أنا هنا بقالي أكثر من أسبوع..! مع إني كويس بس مش عارف ليه
مش عاوزين يرجعوني العنبر..!؟
- يعنى هو العنبر أحسن ولا هنا؟
قاطعه :

- العنبر أحسن وسط أصحابنا.. هنا بتحس إنك لوحدك..
والصراحة يا حسن المكان هنا مش آمن زى ما انت شايف.. وبرده ولاد
الكلب دول متستبعدشي عنهم أي حاجه..!!
- بس انت خاسس أوي.. أنا كنت أعرفك من ساعة ما كنا في القسم
كنت ما شاء الله..! إيه اللي حصل..!!

- مش عارف والله بس فعلاً وزني بيقل بطريقة غريبة.. تفكر إيه
السبب؟!

- محدش يقدر يحدد السبب غير لما تحلل وتعرف في إيه بالضبط..
- هنحلل فين هنا يا حسن؟! إحنا في سجن.. وانت شايف بيعاملونا
إزاي..

- لازم نتصرف.. انت مش شايف نفسك يا عمر.. انت خاسس
خالص..! بتهيألى لو وزنت نفسك دلوقتي مش هتعدى خمسين كيلو..
طأطأ رأسه وبدأ يتفحص جسده بعد أن نبهه.. ثم قال :

- بس أنا عندي أنيميا من زمان وممكن تكون هي اللي عاملة كدا؟!
- ما اعتقدش أنها تكون بالدرجة دي.. انت مبتشوفش ناس كتير في

العنبر عندهم أنيميا وأجسامهم عاملة إزاي..؟!

- أنت هتقلقني ليه يا حسن.. أنا كنت ساكت وبقول يومين وهيرجعوني العنبر وكله يعدي..

- أنا لازم أشوفلك حل علشان نهرب عينة من الدم خارج السجن.. لازم نطمئن عليك.. وكمان أنا قلقان من الناس المرضى اللي معاك دول.. انت مش شايف عاملين إزاي؟! أكيد عندهم السل..؟!

- السل؟!

- ما تستبعدش.. ومش بعيد كمان أنهم يكونوا جايينا هنا علشان يموتونا بالبطنى..!

- طب والحل إيه دلوقتي؟!

- الحل أننا نحاول نتصرف في سرنجة وناخذ العينة ونشوف حد يهربها برة ويبقى يجبلنا نتيجة التحليل..!

- والحد دا مين.. أكيد مفيش حد يقدر يعمل كدا غير عن طريق الزيارة..! وما اعتقدش أنهم هيخلونا نزور قريب.. إنما السرنجة أمرها سهل! ممكن ندى الواد حاتم علبتين سجائر وهيجهلنا.. وهنبقى نقوله هناخد بيها أي دوا..!!

استطرد حسن في ثقة :

- سيب الموضوع دا على.. وأنا هتصرف..؟!

الفصل الثامن والخمسون (السرّنة)

بعد ذلك ساعتين

الواحدة والنصف ظهراً

صرخ حسن بصوت سمعه كل من في المستشفى.. متألماً.. يضع كلتا

يديه على بطنه

- ااه.. يا بطني ي ي ي ي ي ي

ركض حاتم باتجاه الصوت

- في إيه يا حسن مالك..!

- بطني مش قادر.. هموت..!

قالها وهو يصرخ بشدة من الوجع.. جرى حاتم إلى غرفة الدكتور

ياسر.. وجدها مقفلة بالفتاح فعلم أنه غادر المستشفى.. اتجه إلى غرفة

الدكتورة هبة التي كانت مشغولة مع أحد المرضى المدونة أسماءهم في

الكشف..

- إالحق يا دكتورة.. حسن بيصرخ من بطنه.. وعمال يقول

بموت..!!

وثبت من مكانها ورمت ما كان في يدها.. اتجهت مباشرة إليه يتبعها

حاتم..

اقتربت منه وحاولت عدله حتى تستطيع الكشف عليه.. لم تستطع..!!
صرخت متأثرة لحالته :

- في إيه يا حسن؟! إيه اللي تعبك؟!

- مش عارف .. ألم شديد في بطني.. هموووووت..

أشارت بيدها موجهة كلامها للواقف وراءها مترقب ما يحدث :

- روح بسرعة هاتلى من الصيدلية حقنة بروفين.. بسرعة..

بعد أن ركض حاتم إلى الصيدلية... هُداً حسن من صوته وهو يرمق

عمر الذي مكث بسريره يدندن داعياً أن يشفيه الله..

همس حسن بخفوت بعد أن جذب هبة من يدها حتى إلتصقت

بالسرير..

- أنا عاوز سرنجة فاضية ضروري جداً..!

رمقته باستغراب

- سرنجة؟ ليه؟!

همس بجدية :

- عاوزك تاخدي عينة دم من عمر وتوديتها أي معمل تحليل!! وتجيبي

النتيجة معاكي وانتي جاية...!!

ما زالت علامات الاستغراب تداهما.. أدارت وجهها ورمقت عمر

الذي علا قسماته الاستغراب هو الآخر ثم قالت بتثاقل :

- أنا

قاطعها

- مش محتاج أقولك إنك بالعمل ده بتنقذي واحد من الموت..
وممكن من التحليل نقدر نحدد في إيه.. ولو في حاجة نقدر نعالج
الموضوع من أوله..!

ضغطت على شفيتها لا تدري ما تقول، غير أن الكلمات أبت إلا
الخروج رغما عنها

- ماشى يا حسن.. ماشى..!

حتى مرت عليهما قبل إنصرافها مترقبة تنظر في وجوه كل من
تراه، وكل من في العنبر..!ظنا منها أن الجميع يراها..! ويرى ما
ستفعله..! وقفت في المسافة بين السريرين، بدأت أولاً بالكشف على
حسن متظاهرةً بذلك حتى لا يشك أحد في أمرها..! ثم أدارت جسدها
باتجاه عمر، فتحت شنطتها المعلقة على كتفها وأخرجت السرنجة
الفارغة.. حجبت بظهرها الرؤية عن خلفها..! وضعت سن السرنجة
في وريده وسحبت الدم.. وبعد أن انتهت لفتها في منديل ورقي ووضعتها
في شنطتها.. وركضت باتجاه الباب..!!

لا تدري ما الذي فعلته؟! وما نهاية هذا الطريق؟! ولما تغير حالها
فجأة وبهذه الصورة من الهدوء الجم إلى مغامرات يومية..! لما
وافقته على ذلك؟!!

ضغطت فرامل سيارتها.. توقفت على جانب الطريق وأسندت
رأسها على مقود السيارة وبدأت تتنفس باسترخاء، ثم رفعت رأسها
بعد دقائق وأدارت سيارتها باتجاه طريق ما..! حتى توقفت أسفل بناية
تلوها يافته كبيرة تحمل اسم (معمل المختبر)

الفصل التاسع والخمسون

(إعمال العقل)

الساعة الثامنة والنصف ظهراً

زنزانة (٧)

- النهارده يا إخوة هاكلمكم عن (إعمال العقل) لابد للإنسان أن يعمل عقله في كل الأمور الحياتية والدينية.. فتحن في زمن مليء بالخرافات.. وكذلك كثرة الاستدلالات الخاطئة للنصوص الشرعية.. برز على الساحة أناس يدعون أنهم علماء الله المصطفين! يحرمون ويحللون ما لم ينزل به الله سلطانا.. مع أن العقل لابد أن يحكم كما يحكم الدين.. فالدين عرف بالعقل ولا بد من اجتهاد يعتمد على الدين والعقل معاً حتى نستطيع أن نواجه المسائل الجديدة في المدنية الجديدة ونقتبس منها ما يفيد..!!

جاء صوت أحد النزلاء يلقي محاضرة عن أعمال العقل في هدوء تام ملاً أركان الزنزانة.

محاضرة لم ترق لعلي ولا لإخوانه.. وفي انتظار اللحظة الحاسمة التي ينقضون على المحاضر ويعلمونه دينه أو دينهم..! لماذا لا يفهم هؤلاء أن العقل أو المنطق لا يعالج إلا بالعقل أو المنطق..! لماذا يحفظون حزمة من المسائل ويتبجحون بها لإحراج من أمامهم وكأن الإسلام ليس به إلا هذه المسائل؟! لماذا يأخذون من الناس الحسن حتى وإن

إختلفوا معهم في الفكر أو التوجه!؟

تابع أحد النزلاء في ثقة مسانداً المحاضر في درسه

- لذلك قرر الإسلام الحرية حتى في اختيار الدين والتي تحترم

إنسانية الإنسان وعقله الذي ميزه الله به..

أوماً المحاضر برأسه موافقاً.. ثم استطرد

- من أجل ذلك كان الخطاب القرآني موجه دائماً لأصحاب

العقول.. أولى الألباب.. وكثيراً دعا للتفكير وجعله من أفضل العبارات،

بل نفي عن العبادة الصحة بدون التفكير..

وثب أحد أتباع على وصاح بصوت جهورى

- الكلام اللي انتوا بتقولوه دا كفر.. ومفيش حاجة اسمها عقل..

إحنا أومرنا بإتباع الأوامر.. فلازم نقبلها كده زي ما هي من غير نقاش

ولا دليل..

- طيب إيه رأيك في قول تعالى : (ثم تتفكروا ما بصاحبكم من

جنة..)

احتدّ النقاش بينهما وتأهب الجميع للتداخل، هكذا كان هو حال

الزنازة منذ تركها عادل ومن كانوا يحدثون نوعاً من التوازن بداخلها..

أصبح جل همهم الجدل والنقاش الذي لا يجدي نفعاً.. حتى أوغرت

الصدور وضاحت زرعاً بالحال..

ونقم كل منهم على الآخر.. كثرت الجماعات في الصلاة!! حتى وصل

بهم الحال إلى الفرقة حتى في موائد الطعام.. كانت أكثر الكلمات التي

تتردد في الزنزانة .. بدعة.. حرام.. كفر.. ضلالة.. فسق.. زندقة..
إلحاد..! نسي الجميع الهدف الأساسي الذي سجنوا من أجله؛ محاربة
الظلم والنداء بالحرية..!

الحرية التي ستجعل الكل حراً في إقامة شعائره وطقوسه ما لم يضر
أحدًا.. المطلب الأساسي الذي لو تجمّع حوله الناس لتحقق لكل منهم
أهدافه دون صدمات أو نقاشات لا تسمن ولا تغن من جوع.. إتفاق غير
معلن بينهم ولا يدركون أهميته.. الطلب الاسمي والهدف الأوحد..!
لكن لما ضلّت العقول وعبث فيها الجهل والتخلف تعطلت! وحل مكانها
اللسان السليط والأيدي المتسلطة..!!

تراجع الجميع للخلف مفسحين الطريق لقائدهم الهمام.. العالم
العلامة والحبر الفهامة.. على الذي قال بتفاخر

- بتأنفوا تفسير الآيات بمزاجكم وبتوهمونا إنكم بتدافعوا عن
الدين وانتوا أكثر ناس مضيعين الدين.. وعلى شفا حضرة من النار..!!
وقف المحاضر ورمقه بغضب :

- أنا كلمتك بالدليل ياريت ترد علىّ بالدليل.. إنما هتخبط أنا مش
هسكت..!

لم يجد ما يقوله غير أنه صاح كالكلب المسعور الذي لم يستطيع أن
ينقضّ على فريسته فأخذ يهبه :

- انت جاهل ومش فاهم حاجه.. وأنا ممكن أقتل عادي.. يعني
ما تفكرش إني هشوف دين ربنا بيتهان وأقف أتخرج.. من رأى منكم

منكراً فليغيره بيده.. ومن رأى كافراً ولم يحاربه كان كافراً مثله..
انتفض المحاضر وهباً أن يهجم عليه، فحال بينهما النزلاء..
- سمعين يقول إيه؟! بيقتلك..

سحب مجموعة أخرى علي إلى نهاية الغرفة وبدأ الجميع يرطب
الجو بكلمات رقيقة حتى تنفض هذه المشكلة.. تطاير الشر من عين علي
وبدأ يجز على أسنانه بقوة.. كان عقله يفكر في أمر ما؟!
حتى هدأ الجو وعاد كل منهم إلى مكانه.. وانشغل كل منهم بعالمه
الخاص..

ظن الجميع أن الأمر انتهى بهذه المناوشات البسيطة.. لكن عندما
تمحى العقول فانتظر دائماً أن ترى عالم الجنان بين عينيك !!

الفصل الستون

(حملة لواء العلم)

الساعة الحادية عشر مساءً

استرخت هبة على الأريكة أمام التلفاز.. تتابع بذهن شارذ إحدى القنوات الفضائية الخاصة بالأطفال..! كثيرا ما تحب هذا العالم البرئ، الخالي من الزيف والخداع.. لكم تمننت من الله أن يرزقها طفلاً تسعد به في حياة هادئة وترى فيه نفسها وهي صغيرة.. تُربيه وتعلمه حتى يسير من الأوائل مثلها.. تجد في عينيه كلما نظرت إليه البراءة والعبقرية.. تعاهدت بين نفسها في تحدي غريب أن تلبسه نظارة طبية ترمز للوقار والبلوغ.. لكن لم يرد الله ذلك حين أخذ الله منها زوجها بعد أول عام لزوجهما.. تحطم الحلم وتحطمت معه كل الأحلام..!!

شرد ذهنها من جديد في حسن، هذا الرجل هو الآخر الذي بدأ يقتحم حياتها في كل لحظة بدون مقدمات أو استئذان.. رفعت يدها وبدأت تتلمس آثاره عليها حين أجتذبتها منها عنوة وهمس لها ..! لقد تخطى كل حدوده! من يظنني إذن؟! ومن أين له بهذه الثقة ليطلب مني هذا الطلب؟! تبسّمت حين استرسل أمام عينيها الشريط عندما دخلت عليه وطلب منها ورقه وقلم..! خجلها واحمرار وجنتيها عندما عاكسها

»حد ما يحبش السجن وفي واحدة زي القمر جاية مخصوص

علشان تكشف عليه» دفعها فضولها للقيام.. ركضت باتجاه غرفتها
فتحت حقيبتها وأخرجت منها الورقتين المطويتين بعناية.. وضعتهما
في راحتها.

جذبها الاسم المكتوب على طرف كل منهما..! الأولى مكتوب عليها (مريم)
جواب خاص بأخته، أعادته لشنطتها مرة أخرى؛ لأنها رأت أنه
ليس من الأمانة أن تقرأ ما بداخله... قلبت الورقة الثانية بين يديها..
لمع في عينيها الاسم المكتوب (حورية السجن) ما الذي يقصده بهذا
الاسم؟! أخبرني بجواب مريم ولم يخبرني بهذه الورقة..! أم أنه يريد
أن أعطي الورقتين لمريم؟! إن أراد ذلك فلما لا يكتب على الاثنتين نفس
الاسم؟!!

رمت بنفسها على السرير بعد ما قررت أن تفتح الورقة وتقرأ ما بها..
وكانها شعرت أن بداخلها كلمات تخصها هي..!
فمن غيرها رآه في السجن؟!
ومن غيرها حورية؟!!

«لم أرد أن أكتب اسمك، ورأيتك كحوريات الجنة فسميتك..
حورية.. ولأنك نزلتي على من السماء في سجنني، أضفت للاسم
المكان الذي تحوّل بوجودك إلى جنة.. أولاً.. أريد أن أشكرك على
رسالة مريم وأمانتك في نقلها كما هي بدون حذف..! على الرغم من
أنني كنت أحب أن أسمعها منك لأرى الطفولة في عينيكي، والخجل

على وجنتيكي، إلا أن صورتك هي من قرأت لي الرسالة، بعدما أنارت بصماتك الأسطر.. لا أريد أن أعرف كيف وصلتني لمريم.. لكن أريدك أن تعلمي أمراً مهماً - وهو أنني عرفتكم من تكوني؟! بعدما تذكرت اللقاء الأول الذي جمعني بك منذ أكثر من إحدى عشر عاماً في الإسكندرية.. يوم حفل تكريم الأوائل..! وما كنت أتوقع أبداً أن أقابلك في هذه المكان.. السجن! تساءلت وقتها كيف لحوريات أن تترك الجنان وتنزل القبور؟! عندها أيقنت أنك أتيت ليستحال السجن بوجودك إلى جنة أرى فيها الراحة والنعيم! إنك هنا من أجل.. فوثقت بك ثقة عمياء وبعثت بك (حوريتي) ولما كنت أرقب في عينيك البراءة والخوف كنت أواسيك (انت منا ولست منهم) أظنك الآن عرفتني لماذا دائماً كنت أردد أمامك هذه الكلمة.. لم أقصد بذلك أننا شعب وهم شعب كما يدعون، ولكن قصدت أنهم جنود الحاكم وأنا جنود العلم..! لتظل المعركة قائمة بيننا وبينهم إلى قيام الساعة. تمتد بجذورها القديمة إلى عصور ما قبل النهضة والتي قادها قواد عظام كإسحاق نيوتن وليوناردو دافنشي وغاليلو!! ولأخبرك أننا ثمار هذه الجذور، حملة راية العلم ضد التشدد والتخلف والهمجية..! ابحتي بداخلك يا دكتورة عن هذه الحقيقة..

أحببت بهذه الكلمات أن أعلمك بحقيقة ربما طمسها عنك عمك في صفوفهم.. وكأن الله أرسلك لي لتتقيني وأرسلني لكي لانتشلك

بالحقيقة من ظلمهم وزيفهم.. أنا لم أقصد بهذه الكلمات فلسفة
كلامية ليس لها معنى، ولكن لك أن تسترسلني ما سبق وتتأكدي من
حقيقة هذه المعركة الدائمة..

آسف لو كنت ضايقتك بكلامي، ولكني أردت أن تعريفي أنك منا
ولست منهم،

... ملحوظة...

ابحثي في داخلك وفيمن حولك عن دلائل الحقيقة.

الفصل الحادي والستون

(الله يرحمها)

الجمعة ١٦/٩/٢٠١٦ م

الساعة الواحدة ظهراً

بناها - شقة حسن.

وقفت مريم على الرصيف الجانبي للطريق أمام محطة قطار بنها. تبحث في وجوه المارة عن هبة التي أخبرتها أنها على أعتاب المدينة وأمامها دقائق وتكون أمام المحطة..حتى وقفت سيارة ملاكي لونها أحمر داكن بجوار الرصيف المؤدى للمحطة. نزلت منها فتاة رشيقة القوام، ترتدي بنطال أسود فضفاض وبلوزة بيضاء موردة بأحمر.. ألقّت نظرة يميناً وشمالاً من تحت نظارتها الشفافة، أخرجت هاتفها واتصلت برقم ما..

رمقتها مريم بعد وقوفها المفاجئ، ثم ركضت باتجاهها بعد أن رن هاتفها وظهرت على شاشتها رقم هبة، اقتربت منها فسمعتها تقول :

- أيوه يا مريم أنا واقفة كده قدام باب المحطة بالضبط..

أغلقت الهاتف وددت منها وهي تبتسم :

- سلام عليكم.. أنا جيت..

سلمت عليها واحتضنتها، كأنها لم تراها منذ زمن سحيق ثم قالت

باسمة:

- مكنتش أعرف إن حسن عنده أخت زى القمر كدا..

توردت وجنتيها خجلا فقالت :

- دا من ذوقك.. وعلى فكرة بقى وبدون أي مبالغة انتي اللي زى القمر فعلا.. وبنها كلها نورت بوجودك.. ولازم نمشى حالا لأن الناس هتاكلك بعيونها..!!

ركبت هبة سيارتها وبجوارها مريم تصف لها طريق العمارة التي يقطنها حسن.

حتى توقفت عند بناية من أربع طوابق في شارع جانبي متفرع من شارع المحطة الرئيسي والمؤدي إلى كورنيش النيل. أشارت لها على المكان المخصص لركن السيارات ثم نصحتها بتغطيتها بعدما أصرت أنها ستقضى معاها اليوم كله..!!

الأمر الذي راق لهبة ولم ترفض طلبها بل وافقت في الحال! كانت الشقة في الدور الأخير مما جعلها تبدو إعتذاراً عن طول السلم، لكنها أبدت إرتياحها ببسمة لم تفارق وجهها منذ أن رأَت مريم وأحتضنتها..

اقتربت من باب الشقة ثم قالت وهى تضع المفتاح في مزلاق الباب. - أنا جيت الصبح نضفت الشقة، كان نفسي أفرشك الأرض ورد، بس للأسف مفيش حد عندنا يبيبع ورد.

ابتسمت:

- مفيش ورد أحسن من رؤيتك على فكرة.

دعتها للدخول بأسلوب راق

- اتفضلي أول مرة تيجي بنها ولا إيه؟!

- الصراحة أه.. كنت حاسة إن الطريق بعيد جداً.. وسألت أكثر من

عشر مرات علشان «أوصل لمكان محطة القطر»..

- انتي قولتلي إنك ساكنة بالقرب من السجن في وادي النطرون؟!

- أيوه.. أنا ساكنة في مدينة السادات، بينها وبين السجن حوالي ٥

كم.

أوصلتها لصالة الجلوس ثم أردفت بأرياحية :

- بصي بقى مفيش أي حد في الشقة غيرنا، يعني خدي راحتك

خالص.. اعتبري نفسك في بيتكم.. ماشي؟.. قوليلي الأول تشربي إيه؟!

- شكراً أنا مش عاوزة أشرب حاجة

- كده بقى انتي لسه مش خدتي راحتك.. وعلى فكرة متنسيش إننا

اتفقنا أننا نكون أصدقاء..

ابتسمت ابتسامة رقيقة

- خلاص.. ممكن أشرب قهوة .

ضربت مريم بيدها على جبهتها ثم قالت نادمة :

- يا اه.. نسيت خالص إنك طلبتي منى أتعلم القهوة.. على العموم

أنا عندي فكرة بسيطة كدا وإن شاء الله تطلع حلوة ..!

دخلت مريم المطبخ وتركتها. انشغلت بالعبث في هاتفها وهي تسترق

النظر للشقة من آن لآخر، حتى وقعت عينها على صورة معلقة على

الحائط في وسط الردهة.. تركت حقيبتها وهاتفها ودلفت نحوها.
أخذت تتأملها لدقائق.

أخرجها من تأملها صوت مريم وهي تقول وقد اكتسى وجهها
بمسحة حزن

- دي صورة حسن وزوجته في يوم فرحهم.. زوجته سارة الله
يرحمها.

قطبت جبينها لأعلى :

- الله يرحمها.. هي ماتت من امتي؟

- لا دا موضوع كبير.. تعالي بس نقعد نستريح من الطريق..
ومتخافيش هانحكي كل حاجه براحتنا.. بس الأول أتعرف عليكى.

تبعتها هبة إلى الصالة مرة أخرى.. ثم بدأت في سرد سيرتها
الذاتية أولاً

- أنا هبة.. ساكنة في مدينة السادات.. دكتورة أسنان.. وبس

صاحت بصوت طفوليا :

- أنا قلت إن البراءة والرحمة اللي في وشك دي لازم تكون دكتورة..

بس إيه اللي وصلك لحسن أخويا؟!

شردت للحظات ثم قررت أن تحكى لها كل شئ.. فاستطردت

- أنا شغالة دكتورة في مستشفى السجن اللي حسن مسجون فيه.

عقدت حاجبها وبدت عليها علامات الدهشة.. تلعثت

- تخيلي يا دكتورة أنا اتخيلت كل حاجه ممكن تربطك بحسن

أخويا.. ومجاش في بالى أبدأ أنك تكوني وصلتي له عن طريق إنك
شغالة في السجن..!

قاطعتها بجدية :

- بس انتي عارفة يا مريم إن مكاني حرج جدا فياريت محدش
يعرف الموضوع دا خالص.. متفقين..؟!

- أكيد طبعا.. بس مش غريبة إن القمر دا كله يشتغل في سجن.
ابتسمت حتى علت وجنتيها :

- أمر الله.. هنعمل إيه؟! قدرنا اللي بيختارنا مش إحنا اللي
بنختاره..!

- طيب حسن عامل إيه؟! طمني عليه هو كويس؟! وعملوا فيه إيه
بعد الزيارة؟!

تناولت حقيبتها وأخرجت منها الجواب، وأعطته لها وهى تقول :

- هو كويس الحمد لله.. والمشكلة الأخيرة خلصت.. وشويه أكيد
هتزوريه وتطمني عليه بنفسك.

فتحت مريم الجواب وفضته بعينين إغرورقت بالدموع بعدما قتلها
الشوق والاشتياق لأخ غاب عنها لشهور.

انتهت من قراءته فقبلت حروفه وهى تقول:

- حبيبي يا حسن..

لم تستطيع أن تمنع دموعها فسالت كالمنطر، قامت هبة من مكانها
وجلست بجوارها ثم وضعت يدها على كتف مريم.

- ليه بقى العياط ده .. واللّه حسن كويس وأنا اطمنت عليه بنفسى

- وهو بعثلك جواب بخطه علشان تطمني عليه..

رفعت مريم رأسها فلمحت الدموع في عينيها هي الأخرى. لم تستطيع منع نفسها من شئ ما بداخلها دفعها إلى أن تدفن رأسها في حضنها وهى تبكى بشدة.. رأت فيها حنية وطيبة افتقدتها بفقدان والديها ومن بعدهما حسن.

رفعت هبة رأسها وقالت باسمّة:

- إيه دا بقى؟ يعنى لو حسن شافك كدا يقول إيه يعنى؟! وبعدين

انتى ناسية إنك عزماني على الغدا ولا إيه؟! والصراحة أنا جعانه جداً وعاويزة أجرب الأكل بتاع البنهاوية.. ماشي؟.. ولا ناوية تعملي نفسك من بنها؟

ابتسمت مريم لكلماتها ثم أشارت بأصابعها إلى عينيها

- من عنيا يا أحلى دكتورة في الدنيا.

الفصل الثاني والستون

(المنصة)

- الصراحة يا مريم أول مرة أكل بالطعامه دي.. باب محترف في الطبخ برده بس سيبك انت البنت بنت برده..!!
لمت مريم الأطباق وأردفت بعينين حنوتين :
- خلاص تعالى عيشي معانا هنا وأنا أكلك كل يوم بإيدي.. ومتخافيش مش هاعمل نفسي من بنها..
رفعت الأطباق لتساعدها.. أبت لأنها ضيفه يجب إكرامها..! أجابت هبة بدلال :

- هما ليه بيقولوا في المثل، عامل نفسك من بنها؟!
استطردت بثقة خبير جغرافي :

- بصي يا ستي ، دا مثل بيقلوه لما الواحد يكبر دماغه، يطنش يعنى ويعمل نفسه مش واحد باله.. ومناسبته إن القطار من القاهرة للإسكندرية بيوقف في محطة بنها، وينزل منه الركاب البنهاويين.. فبيكون في شاب قاعد على كرسي من القاهرة وبيجي راجل عجوز يقف جنبه لأنه ملحقش كرسي فاضي.. من الذوق إن الشاب يقوم ويقعده - بس هو مايقمش على أساس انه نازل بنها وهييب القطر للراجل خالص..! فالراجل بيقول عامل نفسه من بنها وعامل مش واحد باله

مني.. وفي الحقيقة الشاب دا هينزل في اسكندرية أصلاً!! والله أعلم.
ضحكت بملئ فيها متعجبة من هذه الحكاية الطريفة.

- على كده أنا مش هاهزر معاكي تاني.. ومش هاقولها لك خالص
لأنك الصراحة مش من بنها خالص.. ممكن بقى أتعرف عليك انت
كمان.. وبرده عاوزاكي تحكي لي عن حسن وزوجته؟

جلست مريم بجوارها بعدما أعددت كوبين من الشاي الساخن
وأحضرتهما.. ستحكي لها ما تريد بعدما رأت حماسها الشديدة في
معرفة كل شئ عن أخيها وزوجته.

- حسن أخويا الوحيد والكبير اللي طلعت على الدنيا مشفتش غيره
بعد موت أمي وبعدها مات أبويا بشهور.. حسن ليا كل شئ الأب والأخ
والأم والصديق.. كنت عايشه معاه في شقته، وبردو لما أتجوز أصر
إني لازم أفضل هنا معاه.. والصراحة زوجته سارة كانت بتعاملني
زى حسن وأحسن كمان.. عمرها ما ضايقتني أو زعلتني في حاجه..
بالعكس كانت بتخدمني بعنيها وكانت رافضة حتى أشاركها في أعمال
البيت لحد ما جبت مجموع كبير ودخلت كلية تجارة وأنا دلوقتي في سنة
ثانية.. والحمد لله بجيب تقدير امتياز..

- وزوجته ماتت إزاي؟!

- حسن خاطبها بعدما تخرج من الكلية بسنتين.. اتعرف عليها بعد
مشاركتها في مظاهرة كانت في جامعة الأزهر.. كانت ثورية شكله وأكثر
منه كمان!! أتجوزها في ٢٠١٢م... كانت جريئة بطريقة غريبة!!

- بس أنا شفت لها صورة على صفحة حسن وهي حامل؟!
- هي فعلا كانت حامل، وكان فاضلها على الولادة أقل من شهر.
بس صممت إنها تشارك في إعتصام رابعة العدوية.. ودا مش علشان
هي إخوان أو بتأيد مرسى.. لأ طبعاً.. هي شاركت بعد حادثة المنصة
واللي مات فيها أكثر من عشرين طالب من هندسة الأزهر من غير ما
يكون ليهم أي ذنب غير أنهم أصحاب فكرة أيا كانت..!! ساعتها أصرت
إنها لازم تشارك في الإعتصام ووافقها حسن على كدا لأنه كان عنده
الحماسة اللي عندها..!!

- وبعدين؟!

- لحد أما جالها آلام الوضع قبل فض الاعتصام بأسبوعين.. ولدت
جوه خيمة من خيم الاعتصام.. وقررت إنها تسمى البنت حرية..
الاسم اللي عاشت طول عمرها تناضل من أجله.. وفي يوم الفض الفجر
سابها حسن وراح يصلي الفجر- وسمع وهو راجع إن الشرطة بتحاوط
الميدان وناوية تقض انها ردة.. جرى وبلغها..!!
قاطعتها :

- بس الشرطة وقتها أدت فرصة للي عاوز يمشى..! ليه ما سابوش
الاعتصام..؟!

- دا فعلا كان رأى حسن، وحاول يقنعها بكده، بس هي صممت إنها
تفضل معاه.. ومردتش تسيبه.. ساعتها قالتله: << هو انت لوحذك اللي
عاوز تبقى شهيد يا بشمهندس ولا إيه؟ >>.. خدت قلم من جيبه وكتبت

على هدمها.. أم حرية .. زوجة المهندس الشهيد حسن الحداد!

- وبعدين إيه اللي حصل؟!

- الشرطة قدرت في خلال ساعات إنها تقتحم الميدان بكل أدواتها وإمكانياتها.

ومبقاش فاضل على المنصة غير عدة أمتار.. وقتها قال لها تعالى معايا!! خدها وسابها في مكان آمن خلف بنك مصر شارع الطيران ومعها الطفلة اللي كان عمرها حوالي ١٥ يوم..!!

إبتلعت مريم غصتها في إشارة أن ما ستقوله مازال يشعل الأحزان بداخلها.. فاستطردت

- راح حسن بعدها يحاول يخرج البنات اللي موجودة تحت النيران ومصممين مايسبوش الميدان.. جتله رصاصة في رجله وقع مباشرة على الأرض ومبقاش قادر على الحركة.. اتقدم مجموعة من العساكر وقبضوا عليه.. جروه لحد مارموه في وسط دايرة محاطة بجنود أشهروا السلاح في وجه مجموعة من المقبوض عليهم...

- طب سارة والبنات؟!

- سارة لقوا جثتها بعد أيام متفحمة.. وموجودة في مشرحة زينهم.. قدروا يتعرفوا عليها من الاسم الموجود في المكان الوحيد اللي عصى على النيران..!

إغرورقت عينها بالدموع ثم قالت بصوت محشرج

- والبنات؟!

- منعرض عنها حاجه لحد دلوقتي.. إن كانت ماتت أو اتحرقت!!
أو حد أنقذها وخدها.. منعرض..!!

- بس حسن قالي إنه محبوس من ستة شهور.. والاعتصام فات
عليه أكثر من تلت سنين..!؟

- فعلا.. بعدها حسن اتصل بينا من تليفون كان في الحجز وقالي
إنه موجود في قسم ثاني مدينة نصر..!! وإنه مصاب في رجله وعاوز
سارة تروحله وتأخذه هدموم وأكل..!!

- وبعدين!؟

- أنا زورته بعدها وشفنت أثار التعذيب وهو قاعد ومش قادر يقف
على رجله!! عرفت أنهم متعنتين معاه ومش عاوزين يودوه المستشفى..!
لحد أما جت اللحظة اللي من أصعب لحظات حياتي.. لما سألتني عن
سارة والبنت!؟

- عرفتيه!؟

- الصراحة مقدرتش أخبي عليه لأنه كده كان هيعرف.. قلت له
سارة استشهدت وساعتها صرخ من شدة البكاء! وقعد يكرر اسمها لحد
ما خدته في حضنى .. وجه الشاويش وقالي الزيارة خلصت..!!

- طب ما سألكيش عن البنت!؟

- يومها خبر وفاة سارة سيطر على المشهد..! لحد ما خرج إخلاء
سبيل بعد حوالي سنة من الحبس.. قاضى محترم شاف الجرح اللي في
رجله والإهمال الطبي المتعمد..! إداله إخلاء سبيل.. ولما جه البيت كان

فاكر إن البنـت موجودة لحد ما جت الصدمة الثانية.. عرف إننا مش
لاقيـنها وما نعرفش عنها حاجه..!

- بس هي ممكن تكون عايشة..؟!

- دا اللي هو عايش على أملـه لحد دلوقتي.. ومتأكد إنها موجودة
ومماتتش.. وكل أما أسألـه يقولي.. الحرية مش بتموت يا مريم؟!

- واتقبض عليه تاني إمتي؟!

- القضية فضلت شغالة واتحكم عليه غيابي بخمس سنين.. لحد
أما اتقبض عليه وهو راجع من الشغل وعمل إعادة محاكمة واتخفف
الحكم لتلت سنوات..!!

- طب ما سمعتوش أي خبر عن البنـت من ساعتها؟!

أومأت برأسها نافية :

- صعب إننا نسمع خبر عن طفلة عمرها ١٥ يوم تاهت في يوم فض
اعتصام كان فيه آلاف من الناس والشرطة أضرمت النيران في كل
حاجه بعد افتتاح المكان..!

- الصراحة حاجة صعبة بجد.. إن الواحد في وقت واحد يفقد بنته
وزوجته، وكمان يفقد حريته.. والصراحة مش عارفه كل دا ليه؟!

- علشان الحرية والحق والعدالة يا دكتورة ولأدي مش أسباب كافية
إن الواحد يضحى بكل شئ علشانها..!

أحست هبة أنها بحاجة للصمت لساعات حتى تستوعب ما قصته
عليها مريم.. هذا العالم العجيب الذي فُتح عليها فجأة بدون مقدمات..!

قالت في نفسها برغم أنها دنيا واحدة وعالم واحد إلا أن كل إنسان له عالمه الخاص ولكن عجبا إنه برغم كل هذه الأحداث المتسارعة وعملها في الشرطة، لم تعرف أي شئ عن هذا العالم العجيب وهؤلاء الناس الذين يضحون بكل شئ من أجل أن يعيش غيرهم حياة حرة قوامها العدل وعمادها الكرامة.

الفصل الثاني والستون (مصاب بمرض الليشمانيا)

الجمعة ١٦ / ٩ / ٢٠١٦

الساعة السادسة والنصف مساءً

معمل المختبر.

طاردها الذكريات وهي عائدة إلى منزلها في نهاية يوم اعتبرته من أسعد أيام حياتها، عاشت إحساس جميل أن يكون لها أخت مثل مريم في طبيعتها وجمالها وأدبها وثقافتها.. تذكرت وحدتها بعد وفاة والدتها ووحدتها الثانية بعد وفاة زوجها..

دندن لسانها بخفوت :

«اللَّهُ يرحمك يا أشرف.. الله يرحمك..»

نظرت على يمينها فوقعت عينيها على كشكول ورقي دون عليه من

الخارج :

«مذكرات سجين»

وتحت الاسم كتب بخط عريض... «التائر الحر.. حسن الحداد..»

كانت رآته في شقته.. موضوع على منضدة جانبية في صالة

الجلوس.. سألت مريم عنه فأجابتها أنه الكشكول الذي كان يدون فيه

أحداث حصلت له في سجنه، وبعض الأشعار والقصص القصيرة من

تأليفه.. فاستأذنتها أن تأخذه لتقرأه..؟ تخرجت منها في البداية ولم ترفض طلبها.. وافقت بعد أن أقنعتها هبة أنها ستستأذن من حسن في أول لقاء بينهما..!!

قبل عدة أمتار فصلتها عن منزلها في مدينة السادات، تذكرت موعدها مع معمل المختبر لأخذ نتيجة العينة..

أدارت مقود سيارتها باتجاه المعمل..

كان هناك فتاة شقراء تجلس خلف مكتب حامل لجهاز كمبيوتر وبعض الأوراق الخاصة بالمعمل..

سألته هبة عن نتيجة التحليل بعد أن أعطتها اسمها وإيصال استلام العينة.. وثبتت الفتاة من مكانها وظهرت علامات الجدية بين قسمات وجهها :

- الدكتور منتظر حضرتك في مكتبه من بدري.. ثواني..

جلست في انتظارها حتى تخبر الدكتور قدمها.. بدت هبة قلقة أكثر من أي وقت مضى، لحظات وعادت الفتاة وأخبرتها بالدخول.. الطبيب في انتظارها..

بادءها الدكتور بالكلام لإختصار الوقت..

- قرأت من معلومات حضرتك على الإيصال إنك طبيبة أسنان..؟
- أيوه..

-- عينة تحليل الدم بتاعتك؟

تلجلجت :

- لأ .. بتاع حد قريبي..

- قريبيك دا ساكن فين؟!؟

- في منطقة قريية من هنا . ليه حضرتك بتسأل الأسئلة دي كلها؟!؟

- بصراحة لأنني شاكك في إصابة صاحب العينة دي بمرض نادر

جداً..! وماعتقدش إنني قابلت حد مصاب بالمرض دا من حوالي ١٥

سنة.. وكان في منطقة قريية من هنا.. العجمي.. الإسكندرية..!

- إيه المرض دا؟!؟

مد الطبيب يده على إمتداها وأعطاهها تقرير التحليل.. استطرد :

- في نقص حاد بالهيموجلوبين.. ونقص في عدد خلايا الدم

البيضاء ووجود ارتفاع في نسبة الحديد وسرعة الترسيب.. والأعراض

دي صاحبها من غير ما أشوفه عنده نقص ملحوظ في الوزن.. وشحوب

في الوجه وتراجع في مستوى المجهود.. صح؟!؟

- تقريبا..!!

- زى ما أنا توقعت خصوصاً في منطقة صحراوية زى اللي احنا

فيها.. طفيل الليشمانيا.

عقدت حاجيها في اهتمام :

- والمرض دا سببه إيه يا دكتور..؟!؟

- المرض دا بييجي نتيجة التعرض للدغة من ذبابة الرمل والمعروفة

علمياً.. باسم (قليبوتماس لانجيروني)

- طب ليه شاكك إن الأعراض دي لنفس المرض؟!؟

- لأن الحشرة دي موجودة في المناطق الصحراوية الشبيهة بالمنطقة اللي إحنا عايشين فيها.. تتكاثر عن طريق دفن بيضها في التراب أو الرمل أو المخلفات ثم تتطور إلى يرقة وصولاً للطور الأخير (ذبابة الرمل) واللي بتعشعش في جحور الفئران وتجمعات الكلاب..!!

- الحشرة دي ظهرت قبل كده في المنطقة دي وحضرتك شوفتها؟!

- أنا شفت بنفسي حالة واحدة من ١٥ سنة في منطقة العجمي ودي منطقة قريبة جغرافياً من وادي النطرون..! وفيها النوع الأخطر؛ لأنها بتسبب في تلف الأحشاء بعد تضخمها..

- وليه وزارة الصحة مبتاخذش احتياطاتها لمنع انتشار المرض؟!

- مين قال كده..! وزارة الصحة فيها إدارة كاملة باسم الليشمانيا وعندهم عقار خاص لعلاج المرض في مراحل الأولى..

لحظات من الوجوم بعدها قال :

- يرقات الحشرة دي تحتاج لبيئة رطبة للنمو، ثم تتحول لحشرة ذبابة كثيفة الشعر!

وتنقل مرض الليشمانيا الذي ينقسم لنوعين.. معروف في مصر بالجلدي ويتسبب في تقرحات للجلد وبعد الشفاء يترك تشوهات جلدية..!! ودورة حياة الذبابة خمسة أسابيع.. وفي حاله نقلها الطفيل للإنسان يتكاثر داخل الطحال والكبد ويصيبها بالتضخم.. والثاني حشوي ويصيب الأحشاء..!!

اكتسى وجهها بمسحة حزن فقالت يائسة:

- يعنى فرصة العلاج ضعيفة لو تتطور المرض؟!
- علاجه في مراحلہ الأولى للظهور خلال أسبوعين..! وبعد كذا يبدأ بعدها أعراض المرض في الظهور والتسبب في تضخم الأحشاء مما قد يؤدي للوفاة في عدد كبير من الحالات..

تلعثمت :

- وارد جداً يكون المريض صاحب العينة، المرض إتملك منه..! لأنى ما اعتقدش أنه قدر يحلل ويكتشف المرض بدري؟!
- عامة لازم يكون في تحليل في العينة المجهرية . اللي هيحدد تضخم في الكبد والطحال..! بالإضافة لنقص كرات الدم الحمراء والبيضاء والصفائح الدموية..

قامت هبة واستعدت للرحيل وعلى وجهها الوجوم واليأس.. ثم أردفت :

- شكراً لحضرتك يا دكتور..

قام هو الآخر وتحدث بجدية :

- لازم يكون لينا زيارة تانية علشان لو شكى في محله نقدر نقدم طلب لوزارة الصحة، بعزل المريض دا نهائي عن المحيطين به، وكمان يتم فحص جميع المناطق المحيطة بمكان سكنه للتأكد من عدم وجود الحشرة.. لأنك عارفة يا دكتورة دي قضية أمن قومي..!!

- أكيد طبعا.. هتابع مع حضرتك..! وهحاول أقنعه إنه يعمل

تحليل..!

علشان نطمئن أو ناخذ الإجراءات اللازمة لمنع انتشار المرض..!

الفصل الثالث والسبعون (كنتُ أيضا أبحثُ عنك !!)

السبت ٢٠١٦/٦/١٩

الساعة الثامنة صباحاً

عبر المستشفى.

وصلت هبة للمستشفى في ساعة مبكرة على غير عاداتها.. دخلت مكتبها ورمت بحقيبتها على الكرسي بعد أن أخذت منها شئ ما. بدت واجمة الوجه، اختفت البسمة التي كانت لا تقارق ثغرها.. أهمّها الأمر.. هذا الإنسان الذي سيفقد حياته بعد شهور وربما أيام، بسبب الإهمال الطبي المتعمد داخل السجن..!

منطقة بالكامل معرضة لخطر الإصابة.. ولا أحد يحرك ساكناً..!! ألم يعقلوا أنه في حالة وجود الذبابة في هذا المكان ستصيبهم أيضا بلعناتها؟! أم أنهم يعتقدون أن أجسادهم كضباط شرطة ومخبرين محصنة ضد هذا السم؟! اللهم جندوها في صفوفهم فتتخرج من لدغهم..؟! طالما أن عمر أصيب في هذا المكان الصحراوي القذر فمن الوارد وجود حالات أخرى داخل العنابر وربما في السجن كله..! ماذا عليها أن تفعل الآن؟! أتحاول إنقاذ هذا المريض الذي قربت منيته أم إبلاغهم ليتحضرُوا ويأخذوا حذرهم...؟!!

بخطوات سريعة وثابتة اتجهت إلى عنبر المرضى. علمت من حاتم أن مدير المستشفى لم يأت بعد..

حركاتها السريعة وارتباكها أثار فضول حاتم أن يتبعها خفية إلى العنبر..

كان عمر يجلس على سريرهِ، يقرأ في مصحفه الذي ما فارقه منذ دخوله المستشفى، حصل عليه من أحد المسيرين. بينما كان حسن ما زال نائماً في فراشه..

رمقته بنظرات سريعة ثم وقفت مواجهة لعمر الذي لاحظ هو الآخر أن هناك أمر مريب..؟

- إزيك يا عمر.. عامل إيه انهاردة..؟

- الحمد لله يا دكتورة..

- عندك كام سنة يا عمر؟!

- ٢٣ سنة.

- محكوم عليك بكام سنة؟!

- محكوم علىّ بـ عشر سنين...!

- انت سافرت قبل كده أي مناطق صحراوية ؟ ولاّ دي أول منطقة

تجيبها؟

- عمري ما سافرت.. أنا طالب في طب القاهرة، وساكن في المدينة

الجامعية، وسكنى الأصلي الباجور منوفية..! ودي تقريبا كل الأماكن

اللي قضيت فيها معظم أيام حياتي..

- إتقبض عليك امتي؟! وإزاي؟!!

- أتقبض علىّ في ٢٠١٤م كنت عايش في شقة مع زميالي؛ لأن المدينة

الجامعية رفضت قبولنا بتهمة إننا إخوان..؟!!

- رحت سجون قبيل كده غير السجن دا؟!!

- لا.. أنا جاي من القسم على هنا على طول.. حضرتك ليه بتسألني

كل الأسئلة دي؟!!

- معلومات!! محتاجة أكتبها في التقرير ..! طيب انت وزنك كده

أصلاً؟!!

مد يده في سترته وأخرج صورة له وهو في كلية الطب.. كانت أمه قد

أعطتها له يوم جاءتة الزيارة.. أخذت هبة الصورة وحدقت للحظات،

اغرورقت عيناها بالدموع حين رأت شاباً في مقتبل العمر، نشيط

الجسد، ممتلئ الملامح، برئ النظرات..!

لاحظ تأثرها فأردف مستفهماً :

- في إيه يا دكتورة؟!!

استطردت وقد اكتسى وجهها بمسحة حزن :

- بص يا عمر انت مصاب بمرض نادر.. وأنا مش هسكت.. هيبعت

تليغرافات لكل الدنيا.. لنقابة الأطباء ولمصلحة السجن وللنائب العام

ولحقوق الإنسان! انت لازم تنتقل من هنا فوراً، لازم تروح مستشفى

مجهزة لأنك لازم تتعالج في أسرع وقت..!

ازدرد غصته ثم قال وهو يضغط على مخارج الحروف والألفاظ :

- مرض إيه ١٥!

شرحت له المرض! أعراضه، وظروفه، في الوقت الذي شعر
بجديتهما حسن.

وربما سمع جزء كبير منه.. فتدخل صارخاً :

- زى ما أنا كنت متوقع بالظبط..!!

ارتفع صوته حتى استقيظ كل المرضى.. ازداد صراخه :

«هايقتلونا ولاد الكلب.. هايقتلونا!!!»

قفز عن سريره ، وحاول أن يدفعها عن طريقه..! متجها نحو الباب
للوصل للردهة الرئيسية للمستشفى... فمنعته من التقدم فدفعها مرة
أخرى! بقوة. تراجمت للخلف ولم تستطع الاتزان، كادت أن تسقط،
استندت على حافة السرير وتشبثت بيده تترجاه باكية :

«علشان خاطري يا حسن.. علشان خاطري.. ارجع.. ارجع..

علشان خاطري»

جثي على ركبتيه فجأة كمن أصابه الشلل وتحرر من يدها.. انتابه
نوبة من البكاء الشديد، دافئاً رأسه بين كفيه، ومطلقاً العنان لعينيه..!
لحظات من التوقف، تماكنت أعصابها، اقتربت منه وربتت على
كتفه وهى تقول بصوت أطرته الدموع .

- «يلا يا حسن.. علشان خاطري ارجع مكانك..»

رفع رأسه متأثراً بصوتها المكتوم.. رأى يدها ممدودة على امتدادها

باتجاهه..

وقف بجسد متناقل وأسند على يده التي دفنها بين راحتها..!
لم تتركه حتى عاد إلى سريرته وهدأت ثورته..
استرخى بكامل جسده على امتداد السرير وشردت عيناه من جديد
في سقف الغرفة ..

نظرت له بعينين حانيتين أغشيتهما الدموع وهى تقول في نفسها :

- << لن أتركك على هذا الحال أبداً...! >>

لم ترد أن تستجيب لنداءات عمر من خلفها، أن تذهب هي وهو
سيتولى أمره!!

اقتربت منه وحدثته بصوت هامس قاصدة أن تغير الموضوع..
أرادت أن تذكره بأن حياته لا تهمه وحده وإنما تهم أناس كثيرين حوله
وعلى رأسهم هبة.. ومريم..!!

- حسن .. حسن .. انت سامعني؟!

أوماً برأسه دون أن ينظر إليها.. شارداً في عالم آخر.. فتمتمت

- على فكرة أنا زرت مريم في شقتك.. وأديتها الجواب.. هي بتسلم
عليك جداً...

-

- وخذت منها الكشكول بتاعك وقولت لها هستاؤذك... وكمان

مقدرتش أمسك نفسي وقرأت كل الأشعار اللي فيه- وعاوزة أقولك
أنها رائعة..

-

- انت ليه مبتردش علىّ يا حسن؟! عاوزني أمشي.. صح ؟ ماشي أنا
هامشي..! بس قبل ما أمشي كنت عاوزة أقولك إن أنا كمان كنت بدور
عليك بعد الحفلة ..!

اجتذبت حروفها الأخيرة عينيه ناحيتها، دون أن ينطق فهِمّت
بالرحيل.. جذبها من يدها.. فتشابكت الأصابع.. وتلاقت أعينهما
المؤطرة بالدموع.. سرح كل منهما في عالم الآخر.. فربتت بيدها
الأخرى على يده وعلت شفيتها ابتسامة صافيه، أنسته ألم السجن وقهر
السجان...

جعلته دون أن يشعر تتفتح شهيته بابتسامة اختصرت كثيراً من
الكلام - وفي الوقت الذي انشغل فيه عمر عن حديثهما الهامس،
راقبهما حاتم خفية من خلف الباب.

الفصل الرابع والستون

(شديدة التردد)

دخل الشاويش مبروك إلى المستشفى، فardاً صدره ومطوحاً بيده
يمنة ويسرة، يتبعه سجين بدا متعثراً في مشيته بسبب جذع في إحدى
قدميه!

قاله حاتم عند أول الردهة فبادئه بالكلام :

- إيه يا شاويش.. محدش بقى يشوفك ليه؟!

لطمه مبروك على صدغه

- شاويش كده حاف، اسمي باش شاويش يا ابن (...) وبعدين

بتتكلم كذا زى ما تكون المستشفى دي في بيت أبوك

- مش قصدي والله يا مبروك باشا.. المصلحة وقفت من ناحيتك

خالص - مفيش مسجون كدا ولا كدا عاوز يكشف ويدفعله علبة ولا

علبتين..! أصل العملية بقت خربانه خالص..!

- اعمل إيه في السجن ابن (...) الفقر..! الواحد كان في

أبوزعل بيطلع له في اليوم الواحد بخمسية جنيه مصالح - إنما دا

سجن فقر..! ومساكين بنت (...) ..!

- وإيه الكشف اللي معاك النهاردة؟!

سحب السجين من خلفه وسلمه له قائلاً :

- عظام ب (.....) أمه كان يلعب كوره ووقع على رجله.. فاكر نفسه
في نادي الجزيرة اللي أمه مشتركاله فيه...

- عظام إيه يا شاويش؟! هو انت فاكرها مستشفى القصر العيني..
مفيش غير الدكتور ياسر ومشغول دلوقتي! والدكتور هبة أسنان..!

- هاتله أي رباط ضغط واربطهوله وخلاص.. وبعدين تعالي هنا
قولي.. الدكتورة دي لسه موجودة، مش كنت قولتلي إنها زهقانة
وهتسيب الشغل وتمشى..؟

- شكلك شايل منها أوى..؟

جز على أسنانه من شده الغيظ وهمس :

- بنت (.....) آه لو يسيبوني عليها كنت هافشخها.. مش قادر
أنسى يوم ما هزئتني قدام الواد اللي اسمه حسن..!

- طب واللي يخدلك حقك منها تدفع كام؟

سحبه على جنب، بعيداً عن السجين المصاب

- قول يالا في إيه؟! قول يا ابن (.....) .. هادفلك اللي انت

عاوزم..!!

- علبتين ال إم..؟!

- آه .. يا ابن (.....) يا استغلالي.. ماشى..! بس قول خلص..!

- البرنسيصة بتحب على ابن الجنائني وبتقابله في الجنينة..!
لطمه مبروك بقوة :

- برنسيصة مين يا ابن (....) خلص يالا قول فيه إيه ؟!

- الواد حسن موجود هنا في المستشفى والهانم عاملة معاه علاقة..!
شوفتها بعيني وهى ماسكة إيده وبتحاول تهديه.. وكمان لقيت من
يومين ورا سرير غرفة العزل اللي كان فيها الواد، دفتر وقلم من بتوع
الدكاترة.. شكلها عاشقة وغلبانة والنبي..!

أخرج مبروك من أنفه سحبة شديدة التردد ثم أردف :

- انت متأكد يالا من الكلام ده..؟!

- بقولك شفتها بعيني ياريس.. آمال انت فاكرها مقعداه في

المستشقي لحد دلوقتي ليه؟! أكيد مظبطاله المسائل....!!

- طب يلا خد الواد ده اعمله رباط ضغط .. وسبنى شوية علشان

محتاج أفكر بانسجام....!

- والعلبتين؟!

- بعدين يا ابن (.....) هو يعنى انت مروح...؟!

أشعل مبروك سيجارته وأسند ظهره على الحائط واضعاً إحدى

قدميه عليه! كمن وقف ينتظر حبيبته أمام المدرسة..!الحظات من

التفكير قادت قدماه إلى مكتب رئيس المباحث.. محمد بيه..! حكي له

ما سمعه بالتفصيل، ولم ينس أن يضيف من عنده الحكمة (البورنويه)
والمشاهد التي تجذب السامع..!

تركه مبروك وعلى شفثيه ابتسامه الظفر.. فالفرصة قد سنحت
له الآن للانتقام منها..! الشاويش يريد تأره القديم حين أهانته أمام
سجين يقف انتبهاً حين يراه..! ورئيس المباحث يريد أيضاً تأره حين
وشت به عند مأمور السجن وأوصلت له التقرير الذي حاول جاهداً
منعه من الوصول إليه ..!

لكن ربما خبأ لهما القدر أمراً آخر..!٩

الفصل الخامس والستون (النشطة السياسية)

مكتب مدير المستشفى

السيد مأمور سجن وادي النطرون

السيد مدير مستشفى السجن

تحية طيبة وبعد

أحيط علم سيادتكم:

أن النزيل/عمر شوقي السيد - ٢٢ عام - محكوم عليه بالسجن المشدد لمدة عشر سنوات.. يقضيها في هذا السجن في عنبر (ج) - زنزانة (٢) مصاب بمرض خطير ونادر اسمه (الليشمانيا) يصيب أحشاء الإنسان من جراء المعيشة في الأماكن القذرة غير النظيفة، والتي تنطبق على هذا السجن المشدد.. وهذا المرض كما يقول الأطباء يدمر المناعة وكرات الدم والكبد والطحال والمعدة وقد ينتهي بالموت. والمقربون من السجن أشاروا أن أعراض المرض ظهرت عليه منذ سبعة عشر شهراً..! حيث أصيب بنقص ملحوظ في الوزن حتى أصبح وزنه لا يتعدى أربعين كجم.

وحسب نتيجة تحليل الدم وتقرير الباثولوجي (دراسة تشخيص المرض) فإن النزيل عمر حالته متأخرة جداً ومهددة بخطر حقيقي..!

لذلك أتمس من سيادتكم من واقع المسؤولية التي جعلها الله في رقابكم ومن واقع المسؤولية التي ستعرضون لها حال موت النزيل الموافقة على التالى..

-نقل السجين فوراً لمستشفى طره العام حتى يتم تشخيص المرض وعمل التحاليل الكافية ومن ثم نقله لمستشفى خارجي للعلاج.

-البحث عما إذا كان هناك انتشار لهذا المرض داخل السجن أو في محيطه واتخاذ الإجراءات الوقائية اللازمة لمنع تفشى المرض.

-إجراء الفحص الطبي الشامل على جميع الأفراد.. نزلاء.. موظفين..ضباط..عساكر.. وجميع السكان المحيطين بالمنطقة.

-كتابة تقرير باسم سيادتكم عن حالة المريض وظروفه الصحية واستخدام صلاحياتكم لرفع الحالة للجهات المسؤولة لإصدار العفو الصحي عن المريض.

د/ هبة مجدي الغراب.

مستشفى السجن .

كتبت هبة التقرير واتجهت الى مكتب مدير المستشفى.

طرقت عدة طرقات ضعيفة على الباب.. لم يجيبها أحد.. غير أن حاتم أبلغها من الخارج أن دكتور ياسر استدعاه رئيس المباحث، فذهب إليه!

دخلت المكتب وانتظرته حتى يأتي!! مر حوالى ثلاث أرباع الساعة

حتى جاء بوجه وجم، ووجدها..

فور جلوسه أعطته التقرير.. أخذه منها وارتدى نظارته الخاصة ليقراها.

انتهى من قراءته فنظر إليها باستغراب تبعه الاشمئزاز

- إيه دا يا دكتورة؟!

اضطربت جفونها صعوداً وهبوطاً فعدلت وضعية نظارتها ثم أردفت

- ده تقرير عن حالة مريض بين الحياة والموت موجود هنا في

مستشفى السجن.

- الظاهر انت نسيتي انتي شغالة إيه؟! وإيه هي اختصاصاتك...

انتي دكتورة أسنان يا قدم وده مش شغلك أصلاً...!

- أنا عارفة إني دكتورة أسنان - بس أنا مش مقدمة الطلب دا

علشان أنا دكتورة في مستشفى السجن.. أنا حريصة أولاً على حياة

المريض وثانيا لو جرى له حاجة حضرتك والمأمور ورئيس المباحث

هتتضروا.

- أفهم من كدا إنك مقدمه الطلب بصفتك ناشطة سياسية! صح؟

- أنا مش ناشطة سياسية ولا حاجة - حضرتك معاك التقرير

ومرفق معاه نتيجة التحليل وكمان معلومات عن المرض من دكتور

متخصص..

- وطبعاً المفروض مسألش! انتي جبتي نتيجة التحليل دا إزاي؟! ومين

أصلاً خرج العينة من السجن وداها المعمل..؟!

طأطأت رأسها ونظرت للأرض فاستطرد :

- دا بقى الكلام اللي بلغني بيه رئيس المباحث دلوقتي صح ؟.. انت يا هانم عاملة علاقة مع أحد السجناء وجيباه معاكي المستشفى هنا
علشان...

قاطعته :

- أنا ما اسمحش لحضرتك تقولي الكلام ده.. وبعدين مش أنا اللي جبت المريض ده المستشفى.. وممكن تسأل رئيس المباحث مين اللي مدله المدة في المستشفى؟ ومدهاله ليه؟!

- رئيس المباحث اللي خيلتي سمعة المستشفى عنده زفت من ساعة التقرير اللي كتبته بمزاجك ووديته للمأمور.. ودا أصلا مش شغلك..!!
بثقة

- كويس إنك قلت مش اختصاصى.. أمال ليه حضرته جالى هنا.. وقالى أكتب أي حاجة علشان المأمور عاوز تقرير عن التأديب دلوقتي؟! ولا لما اكتب اللي هو عاوزه ابقى تمام، وأما أكتب الحقيقة أبقى
أجرت..!!

أراد أن يتحدث فقطاعته :

- وبعدين انت يا فندم قولتلي من يومين بالظبط إنك عاوز تقرير عن حالات الأمراض المزمنة اللي موجودة في السجن علشان هاترفعهم للوزارة وهاتصدر عنهم عفو صحي...! ولا حضرتك نسيت؟!

أفحمه كلامها المقنع وذكائها في تغيير موضوع حسن بدون أن يظهر عليها أي اضطرابات تدل على أنها فعلا على علاقة به

غير نبرة صوته مرة أخرى للهدوء :

- بس افكر برده إني قلت لك إني عاوز تقارير عن حالات بعينها،

وسبت لك كشف بالاسماء على مكتبك؟!

شعرت بالتغير المفاجئ الذي طرأ عليه وعلى صوته فتكلمت بثقة

أكثر :

- هاترقق في إيه يا دكتور؟! انت عاوز الحالات المزمنة والأمراض

الخطيرة.. ودا مريض عنده نفس الأسباب - فليه متساعدهوش..

وكمان نشيل المسؤولية من على أكتافنا...!!

قام من مكانه وجلس في مواجهتها مباشرة ومال بجسده للأمام :

- أفهم من كدا إن الموضوع مساعدة إنسانية، ومفيش أي كلام من

اللي رئيس الباحث بيدعيه.. تعريفي.. أنا قلت برده كده.. الدكتور هبة

بنت الكاتب الكبير مجدي الغراب، هاتحب واحد مسجون ومحكوم

عليه..! بتهيألى صعبة شوية؟

انتهزت فرصة للتغير للأفضل فعاجلته :

- أقدر أقول إنك وفقت على الكلام اللي موجود في التقرير وهاترفعه

للمأمور، والمصلحة علشان يأخذوا اللازم..!؟

- الصراحة لسه معرفش..! ما هو لازم تقهمي إني مش بشتغل هنا

لوحدي!

يعني في الأمن الوطني.. وفي مصلحة.. وفي.. وفي.. فيلم كبير..

بس أوعدك هحاول..!

وثبت من مكانها مستعدة للذهاب وهى تقول :

- خلاص هاسيب لحضرتك التقرير والتحليل وهنتظر الرد في

أسرع وقت..!

قاطعها:

- لأ.. خدي الورق معاكي وأول ما أجيب الموافقة هاتصل بيكي

وهابلغك... لأن الورق دا خطر..! ولو وقع في إيد حد من المسيرين

هايوديه لرئيس المباحث..!

الفصل السادس والستون

بعينين حالتين سأل عمر حسن:

- تفكر هايرحلوني فعلا ولا هايعملوا نفسهم من بنها..؟!

رفع حاجبه الأيمن وقال ساخراً :

- ليه بقى كدا..! ما كنا حلوين؟!

تلجلج :

- إيه ؟! هو أنا قلت حاجه غلط ولا إيه؟!

- أنا من بنها يا دكتور..!

ابتسم :

- أسف ... والله مش قصدي..!

- ماشى .. على العموم متقلقش من موضوع الترحيل دا..!! الدكتور

مش هتسكت وهتساعدنا بكل ما تقدر..

قاطعه :

- بس على فكرة يا حسن الدكتور دي شكلها بتحك..!

قطب جبينه في استغراب واضح :

- بتحبني؟! إيه اللي خلاك تقول كده..؟!

- أصل انت ما شفتهاش وهى واقفة قدامك وبتمنعك من الخروج

بره..! كانت عمّاله تترجاك .. كانت حالتها صعبة جداً..!

أجابته وهو يحدق فيه :

- الصراحة ماقدرشي أحدد في إيه بالظبط.. كل اللي أنا متأكد منه أنها مننا وهتساعدنا بكل ما تملك، وحاسس برده إنني ربنا بعتهاننا علشان كدا..!

أوما برأسه إيماءه خفيفة :

- حد كان يصدق إننا في وسط سجن مشدد، وحرس عندهم أوامر بالضرب في المليون.. تعذيب.. رعب ليل نهار.. أوامر.. نواهي..! نلاقى حد يساعدنا..! وكمان مين الحد ده..! دكتور شغالة في المستشفى! تعرض نفسها للخطر! وتخرج عينة دم وتحللها.. حاجه الصراحة تنفع فيلم عربي إنما في الحقيقة محتاجين وقت علشان نستوعبها..!

- لا غريبة ولا حاجه يا دكتور..! هو مش ربنا سخر اللحم لصاحب يوسف في السجن! علشان يعرف إنه عالم بالتأويل.. ويقول للملك وبعد كده يفرج عنه ويخليه حفيظ على خزائن الأرض.. ربك رحيم.. أكيد أراد أنه يفتح لنا ثقب في الجدار علشان نشوف النور وسط الظلام الدامس..

- صح.. عنك حق.. انت بقالك محبوس بقالك أد إيه يا حسن؟!!

- امممم.. كده بالظبط بقالي سبع شهور.. هانت يعني..!!

- إن شاء الله.. تخرج قريب.. متجوز؟

- كنت متجوز.. بس زوجتي استشهدت يوم فض رابعة.. ربنا

يرحمها.

- الله يرحمها.. عندك أولاد؟

- عندي بنت .. المفروض إنها عندها دلوقتي تلت سنين..!؟

- ليه المفروض!؟

- لأنها كانت مع والدتها يوم الفرض.. وأنا أتقبض على ووالدتها

إستشهدت ولحد دلوقتي ما اعرفش إيه اللي جralها بالضبط..!

قاطعه :

- بس نبرة صوتك بتقول إنك حاسس إنها موجودة.. صح!؟

- صح.. عندي إحساس كبير إنها فعلا عايشة.. بس الموضوع

صعب...

- انت لسه قايل يا حسن ربنا رحيم.. وكنت من شوية بتقرأ سورة

مريم وإنها لما صبرت على الاختبار ربنا بشرها بعيسى النبي.. وانت

بصبرك وثباتك أكيد ربنا مخبيلك حاجة هتعوضك عن كل سنين

السجن...!

وهيكون فيها إن شاء الله رجوع بنتك.. وتكبرها وتطلعها ثورية كده

زى أبوها..!

- يارب..

هاقوم بقى علشان أتوضأ وانت قوم إتوضي علشان نصلى الفجر

جماعة.. يمكن الصبح نسمع أخبار تفرحنا..؟

الفصل السابع والستون

(ملف السجين)

الإثنين

٢٠١٦/٩/١٩ م

الساعة التاسعة صباحاً

مبنى المكاتب الإدارية.

بدأت هبة يوماً بالخروج المبكر، عازمة على إتمام عدد من المشاوير للتصعيد في أزمة عمر!! لا بد وأن يتم علاجه أو العفو عنه، ليلة أمس اتصلت بمريم، وطلبت منها الاتصال بأم عمر وإبلاغها بالذهاب لمقر حقوق الإنسان في الدقي... وتقديم بلاغ عن حالة ابنها.. وستقابلها هناك.. بعدها ستذهب لمقر النائب العام ومنه إلى مصلحة السجون!!.. لكن عليها أن تذهب أولاً للسجن وتحاول إحضار صورة من ملف عمر!!..

وكذا إثبات إفادة بوجود حسن في السجن؛ بناءً على طلب مريم، لتستطيع عمل إذن نيابة للزيارة..

قادت سيارتها باتجاه السجن، لم تتوجه هذه المرة إلى المستشفى، توجهت مباشرة الى مبنى المكاتب الإدارية.. حيث الموظفين الحكوميين- من الرتبة عندهم أسلوب حياة..

ركضت باتجاه مكتب (مدام سناء) امرأة في عقدها الخامس،
ممتلئة الجسد والوجه، بينها وبين هبة كيمياء خاصة، وعلاقة مودة،
منذ عملها في هذا المكان.. تدلف إليها مباشرة إذا كان لها طلب في
الإدارة.. واليوم هي بحاجه إلى خدماتها، لكن هذه المرة ليست الخدمة
لها وإنما لسجين!

فور دخول هبة للمكتب وقفت مدام سناء لاستقبالها استقبالاً
حافلاً..

- إيه النور ده كله.. الدكتور هبة عندنا في المكتب.. دا إحنا زارنا
الرئيس يا ناس...

ابتسمت بوجه طلق بشوش :

- الرئيس مرة واحدة؟! والله وحشتيني يا مدام سناء..

- يعنى وحشتك فعلا وجاية تزوريني؟ ولاّ عاوزه حاجه من المكاتب
وجاية علشانها ..!؟

- الصراحة عاوزه طلبين..! ومفيش غيرك هيعملي اللي أنا عاوزه..
انتي عارفه طبعاً يا سوسو إنك هنا الراجل بتاعتنا.. هههههههه

رحبت سناء ودعتها للجلوس على أريكة جانبية

- تعالى اقعدى بس.. قوليلي تشربي إيه؟... ونتكلم بعد كده في
الطلبات..

- ياريت ينفع.. بجد مستعجلة جداً، وأوعدك إنني أبقى أجي أقعد
معاكي زى ما انتي عاوزه.. المهم دلوقتي أنا عاوزه طلب إفادة لنزول

موجود هنا في السجن!

- ليه؟ ليكي حد هنا ولا إيه؟!

- لأ بس ناس قرايبي قصدوني في الخدمة وقتلتهم ماشى..

السجين اسمه حسن الحداد..!

- ماشى.. هو مفروض الطلب ده قرايب الدرجة الأولى هما اللي

يخدوه.. بس اعتبري الموضوع خالصان .. وإيه بقى الطلب الثاني؟!

ترددت قبل أن تجيبها، قد قررت أن تبدأ بالطلب السهل أولاً..

تلعثمت

- الصراحة هو طلب صعب شوية ..! بس أنا متأكدة إنك هتعمليه..

قاطعتها :

- قولي.. عاوزه تهربي سجين ولا إيه؟!

ابتسمت :

- لأ .. مش للدرجة دي يا سوسو.. أنا عاوزه ملف السجين عمر

شوقي السيد..!!

عقدت حاجبيها في استغراب :

- عاوزه يعنى تقريه هنا في المكتب؟!

تلجلجت :

- عاوزه أصور منه نسخة وأخدها معايا..!!

رمقتها بغرابة غير متوقعة الطلب :

- صعب أوي الصراحة.. عارفه دا معناه إيه يا هبه؟!

- عارفه.. بس أنا برده مقصدتش أي حد.. ودي خدمة مش
هنسهالك طول عمري..

لحظات من التفكير، شعرت هبه خلالها رفضها وتخرجها منها..
فوثبت من مكانها مستعدة للذهاب وهى تقول :

- هقوم أنا بقى .. واعتبري نفسك مسمعتيش حاجه..

تبعته هاتقه :

- رايحه فين.. إستيني هنا.. هاروح أحاول أصور الملف وأجي..
وكمان أجبك الإفادة..!

انفجرت أساريرها عن ابتسامة ظفر.. انتظرتها حتى تعود من
مهمتها الصعبة.. دقائق وعادت سناء حاملة صورة الملف والإفادة..

أعطتهم لها ثم قالت :

- الله يسامحك يا هبة، وأنا بصور الملف كنت عاملة زى الفنانة
نادية الجندي في مهمة تل أبيب... كنت مرعوبة لحد يشوفني..!

دفنت الملف في حقيبتها :

- مش عارفه أشكرك إزاي يا سوسويا عسل.. جميل مش هنسهولك
طول عمري.. خرجت مسرعة ومتحاشية أن يراها أحد خصوصاً
موظفي المستشفى، واتجهت إلى سيارتها مباشرة لتبدأ مشوارها التالي.

الفصل الثامن والستون

(السائق)

على بُعد خطوات من بوابة السجن الرئيسية، وقفت أمام سيارتها التي تعطلت فجأة فنزلت لتري ما بها.. حاولت إدارتها أكثر من مرة، لكن يبدو أن محاولاتها باءت بالفشل.. وقفت في واجهة الطريق تنتظر من يسعفها في هذا الوقت الحرج..!

دقائق وتوقفت على بعد أمتار منها سيارة ملاكي بيضاء اللون، وترجل منها رجل أربعيني، ذو صلح مبكر قاصداً إياها..

لم يكن هذا الرجل سوى محمد العزب.. رئيس مباحث السجن..!

لمحها وهو في طريقه للسجن فأمر السائق بالوقوف..

دلف باتجاهها ليسألها ما بها :

- صباح الخير ..

اتجهت ناحية الصوت، فبهتت حين رأته- وبحركة لا إرادية وضعت

يدها على حقيبتها.. ظننا منها أن محتوياتها يراها الجميع.. >> ما

الذي جاء به؟ أعلم بأمر الملف فأتى ليقبض على؟! <<

- صباح النور.. إزي حضرتك يا محمد بيه..

أخف نظراته خلف نظارته السوداء.. ثم أردف :

- إيه واقفة كدا ليه؟ في حاجة ولا إيه؟

هدأ خفقان قلبها واطمأنت :

- العربية عطلت.. ومعرفش إيه اللي حصل لها؟

رمق السيارة المركونة بنظرة سريعة، ثم استطرده بعد أن حدد

اتجاهها :

- ماشى إتفضلي إركبي معايا.. السواق هايوصلني لحد السجن

وبعدين يرجع يوصلك! مطرح ما انتي عاوزة.. وهبعت حد يشوف

العربية فيها إيه؟

تعودت من عملها في السجن، أن هناك أشخاص لا يراجعون في

كلامهم..!

ولا يرفض لهم طلب.. ترجلت وراءه باتجاه سيارته..

جلست بجواره في الكرسي الخلفي..

لحظات من الصمت لم يسمع فيها إلا أزيز محرك السيارة..

قطعها قائلًا :

- الدكتور ياسر أكيد وصلك اللي الشاويش قاله..؟ أنا عامة إتعاملت

مع الموقف بحكمة، وأنكرت على الشاويش الكلام اللي قاله..! ووبخته..!

علشان مينفعش نظهر قدامه بالصورة دي..

أومأت برأسها دون أن تبس بينت شفه.. فاستطرد :

- وكمان عملت حساب لزوجك الله يرحمه.. كان صاحبي وجماليه

مغرقاتي.. وماينفعش زوجة الرائد أشرف الجمل يتقال كلام عليها زي ده..!

انتى أولاً وأخيراً مرات ضابط شرطة.. الله يرحمه.

بحركة لا إرادية.. نظر السائق للخلف ثم عاد كما كان.. حركة

لاحظها

محمد بيه فسأله :

- في حاجة يا إسماعيل..؟

تلعثم السائق :

-- لا يا باشا.. مفيش حاجة؟

ظلت صامته طوال الطريق.. تجنبت الدخول في حوارات هي في

غنى عنها.. لا تريد أن تُعكر مزاجها باستفزازاته.. أمامها يوم مزدحم

بالأعمال.. وهو أيضاً لاحظ عدم رغبتها في الكلام! أثرت الصمت بعد

الكلمات التي بثها كالسم من فم الثعبان..

وصلت السيارة أمام الباب الداخلي للسجن ونزل منها رئيس

المباحث ليكمل طريقه إلى مكتبه مترجلاً على غير ما اعتاد عليه يومياً؛

حيث كان يأمر السائق بإنزاله أمام باب مكتبه مباشرة..

أعطى بعدها أوامره للسائق.. بأن يوصله إلى أي مكان تريده ويعود

في الحال.. ولا ينسى وهو في الطريق أن يمر على الميكانيكي كي يأتي

ويصلح لها السيارة المعطلة..

تتهدد باسترخاء بعد أن مر هذا الموقف بسلام ولم يلحظ عليها أي

توتر ولم يسألها ما الذي أتى بها إلى السجن في يوم أجازتها؟!

ولما جاءت وخرجت مسرعة؟! كما أنه لم يطل معها الحديث في

موضوع حسن ..!

كرر السائق مرة أخرى نفس حركته السابقة.. كأنه يريد أن يقول

شيئاً ما..؟! فلاحظت اضطرابه ونظراته! فكررت نفس السؤال :

- في حاجه..؟

ضغطت بقوة على فرامل السيارة، فتوقفت محدثه صوت مزعج،

اهتز بسببه جسدها، فتشبت بالكرسي صارخة - هو في إيه..؟!!

الفصل التاسع والستون

(الحقيقة الغائبة)

نظر لها السائق بعينين أسفتين :

- آسف مخدثش بالى من المطب.. سرحت شوية..!

منذ أن سمع اسم زوجها وهو مضطرب..

قررت مواجهته لكبح فضولها.. قالت :

- انت عاوز تقول حاجه..! صح؟! أنا متأكدة إنك مش طبيعي.

قال بعد معركة اشتعلت بينه وبين ضميره :

- أيوه .. ياريت أخذ من وقت حضرتك ربع ساعة..! موضوع مهم

ولازم تعرفيه، لأنى مش هقدر أسكت أكثر من كده.. خصوصاً إنى على

وشك الخروج من الخدمة..وممكن كمان أخرج من الدنيا خالص..

لازم أريح ضميري بقى وكفاية كده..!

شعرت من نبرة صوته بجدية وحمل ثقيل يحمله على عاتقيه .

فقررت سماعه..!

ربما هذا الوقت القليل يمنحها فهم حقيقة غابت عنها لأعوام..!؟

جلست في مواجهة السائق مباشرة، بعد أن توقفا للجلوس في إحدى

كافتيات الطريق السريع..

كان السائق يحاول إخفاء توتره في حركة أصابع يديه الموضوعتين

أمامه على المنضدة التي تفصل بينهما.

حاولت هي كسر الصمت :

- إتفضل إتكلم بس بسرعة لأنني عندي مواعيد مهمة..

- انتي زوجة النقيب أشرف الجمل..! قصدي الرائد بعد ما إدوله

رتبة زيادة بعد إستشهاده..!

- أيوه.. الله يرحمه.. ماله؟!

ضم شفثيه على بعضهما أسفا، ثم استطرده :

- أنا كنت السواق الملازم له دايماً في الترحيلات.. وكان دايماً

بيختارني أنا لما يكلف بأي ترحيلة.. والصراحة أنا مشفتش ظابط

في الداخلية كلها زى أشرف بيه، سواء في أخلاقه أو إلتزامه أو حبه

للعمل.. دا غير المعاملة الحسنة اللي كان بيعامل بيها السجناء نفسهم،

يعمل مشكلة مع أي حد يضايقهم!! وكان دايماً يتصل بيا ويطمئن عليّ،

وعلى أولادي...

- الله يرحمه..

- بس للأسف الشياطين ماتعرفش تعيش مع الملايكة، علشان كده

قتلوه المجرمين..!

قاطعته بنظرات مترقبة :

- هما مين المجرمين دول؟! انت عرفت طبعاً إن القضية اتحفظت

بعد ما عملوا ضجة إعلامية وقالوا إن الإرهابيين هما اللي قتلوه..!

تلقت إسماعيل يميناً وشمالاً وكأنه يقدم لكلام هام وخطير :

- هو ده بقى الموضوع اللي عاوز حضرتك علشانه ، بقالي أكثر من شهرين بدور عليكي علشان أقولك الحقيقة..! لحد ما عرفت انك شغالة في نفس السجن اللي رئيس المباحث بتاعه أنا سواقه.. بس للأسف مكنشى ينفع أوصلك لأن العين كلها على من ساعة الحادثة.. وخصوصا بعد ما نقلوني من الترحيلات للسجن..!

- طب إيه اللي خلاك عاوز تقولي الحقيقة دلوقتي..؟! الحادثة بقالها أكثر من تلت سنين..!

- لأنني تعبان ومش عارف أعيش من ضميري، وبرده نفسي الناس كلها تعرف حقيقة الطابط أشرف وأنه كان من أشرف الناس في الداخلية؛ لأنني هو ده التكريم الحقيقي ليه.. وأنا راجل غلبان ومش هاعرف أعمل كده، فلقيت إنك زوجته وأكثر واحدة يهملك أمره وهتعلمي اللي أنا عاوزه وزيادة..!

ارتكزت على ذراعيها لتشعره باهتمامها بالأمر وأنها تريد أن تسمعه وستفعل ما أراد.

- إتفضل إتكلم أنا بسمعك يا إسماعيل..

- يوم الحادثة اتصل بيا أشرف باشا وقال لي إنه هيستاني عند قسم ثاني شبرا الخيمة ، علشان في مهمة بلغوه بيها.. هيجيب مجرم خطير من سجن أبوزعبل علشان عنده جلسه في محكمة جنايات شبرا..

- وبعدين؟!

- رح توركبت عربية الترحيلات ، وهو ركن عربيته وركب معايا

قدام، وطلعنا باتجاه أبوزعبل .. ومشى قدما بوكس التأمين فيه ظابط
مباحث ومجموعة من العساكر المسلحين.. وساعتها أنا قلت أخذ طريق
مختصر.. وهو قالي التعليمات اللي عنده إنني أخذ الطريق السريع
وبعدين أدخل من طوخ وبعدين شبين القناطر ومنها لأبوزعبل..!

- كل ده ١٩ -

- هو ده اللي إعترضت عليه، فرد قالي التعليمات اللي عندي لازم
أخذ الطريق دا.. قلت له طب ممكن لما نجيب المتهم نرجع من الطريق
المختصر، رفض وقالي خليك بس ماشى ورا البوكس ..

- كان ساكت طول الطريق.. وحالته النفسية كانت تعبانه من فترة!
مكنشى حابب يتكلم كثير زى عادته.. ودا من ساعة عربية ترحيلات
أبوزعبل اللي كان مسئول عنها هو وظابط تاني من المباحث، ومات فيها
٣٤ مسجون.. كان زى ما يكون مخبي حاجه في قلبه ومش عاوز يقولها
لحد.. المهم كان طول الطريق ساند رأسه على الكرسي ومغمض عينيه
وأنا محبتش أضايقه بكلامي فسكت..!

صمت .. فدعته للاستطرد :

- كمل ..

- وإحنا في شبين القناطر تقريبا.. في هناك سوق كبير على الطريق
العمومي.. من زحمة السيارات إختفت عربية التأمين.. عدت السوق
بعد شوية وخذت الطريق طوالى من غير التأمين.. لإنني قلت إنهم

ممکن يكونوا سبقونا..!

- وبعدين؟

- قبل مدخل أبوزعبيل في طريق زراعي مفيهوش سكان خالص، ولا مطبات.. علشان كده بنسرع فيه.. لحد ما فجأة لقيت عربية واقفة بعرض الطريق؟ ضربت فرامل بسرعة.. صحي بعدها أشرف بيه مفزوع - قربت من العربية .. طلع علينا تلت ملثمين.. واحد فيهم ماسك رشاش آلي وفرغ رصاصه كله في الهوا في نفس الوقت الثاني وجه مسدسه بسرعة لأشرف باشا وأصابه برصاصة في رأسه والثالث صابني برصاصة جت في كتفي..!!!

إغرورقت عيناها بالدموع

- وطبعاً أشرف ملحقش يدافع عن نفسه لأنهم استخدموا عنصر

المفاجأة.. بس ليه بوكس التأمين اختفى في الوقت دا بالذات..؟!

- دي أول علامة إستفهام يا دكتورة ، وتاني حاجه لو دول إرهابيين عرفوا مكانا منين؟! وعرفوا ميعاد الجلسة منين؟! دا غير إني شفت الرصاصة وعرفت أنها رصاصة من سلاح ميري، الأمر اللي خلاني أدور ورا الموضوع ، لحد ما عرفت من واحد زميلي إن أصلاً مفيش مسجون في أبوزعبيل بالاسم دا ! وبالتالي مكنش في جلسة محكمة من الأساس..!!!

اكتسى وجهها بالوجوم والقلق والترقب مما هوأت .. تلجلجت :

- قصدك تقول إيه ؟

- قصدي إن مش الإرهابيين اللي قتلوه يا دكتورة..! زى ما هما

قالوا؟....! اللي قتلوه ناس من الشرطة !! من مصلحتهم إنه يموت !!!

- ١٩٩٩

- أيوه ، لأنه الشاهد الوحيد في عربية ترحيلات أبوزعبل ، وكمان

مكنشى بيسكت وناوي يقول الحقيقة .. وحاولوا يساوموه أكثر من مرة

بس كانت دماغه ناشفة.. فل لازم يتخلصوا منه بالتأكد ..!

قاطعته :

- بس مش شايف أن دى كلها أسباب مش كافية إنها تأكد إنهم اللي

قتلوه ..

- فاضل سبب مهم لازم تعرفيه؟!

- إيه ؟!

- بعد الحادثة هددوني لو إتكلت أو قلت حاجه هيقتلوني ..!

وقالولي لازم تقول اللي نقولهولك وتأكد إنك شفت ناس بدقون هما

اللي قتلوه وإن الرصاصة كانت من مسدس عادى..

- هما مين اللي قالولك؟!

تلعثم فجأة في الكلام .. حتى قرر أن يبوح بكل شئ :

- محمد بيه ...! اللي هودلوقتي رئيس مباحث السجن اللي حضرتك

شغالة فيه .. واللي صمم إنه يكافئني علشان يسكتوني فخلاني سواقه

الخاص..!وبرده يخليني قدام عينه على طول..!

- وإيه علاقته أصلا بالموضوع ده؟!؟

- محمد بيه هو اللي إتكلف بمهمة إنهاء موضوع تحقيقات ترحيلات

أبوزعبل وطلبوا منه إنهاء الأمر في أسرع وقت علشان الإعلام

ميخدهاش حجة ويقطع في فروة الداخلية ليل نهار...!!!

الفصل السبعون (العودة من جديد)

الساعة الثانية عشر ظهراً التأديب

كان خالد مضطجع على ظهره، شاحب الوجه، هزيل الجسد، مضى على مكوته ومن معه في هذا المكان المقزز ما يقرب من عشرة أيام..!! لا يأكل سوى رغيف خبز عفن، ولا يرى من النور إلا شعاع زهيد استطاع التسلل غير الثقب في أعلى الحائط، سول له شيطانه اليأس من أنهم سيعفون عنهم..!

أصبح جل همه ومن بجواره الخروج من هذا التأديب؛ حتى وإن كان الذهاب إلى زنزانة حقيرة أشبه بالقبر.. حين يكون في القبر مؤنس تحدثه، تشاركه، وتشاوره أهون بكثير من التحدث للحوائط والحشرات المتكاثرة..

سئم من الكلام مع من بجواره عبر الباب الحديدي بصوت عالي لا يرسل إلا القليل من الحروف.. سئم من الغناء والإنشاد.. سئم الصبر حتى ظن أنه تخطى منزلته في الجنة وصعد إلى ما هو أفضل منها..! متى نخرج من هذا المكان أيها الحمقى.. أجيونني؟! حال إبراهيم وعادل لا يختلف كثيراً عن حاله، الكل يريد الانصراف ولو إلى القبر..!

يبدو أنها مرحلة الإستيأس الذي يأتي بعدها مباشرة الفرج ..
حقا هوأت ..!

صاح المنادي بصوت جهورى :

خالد .. إبراهيم .. عادل ..

ومن الحجز المجاور

هشام و و ...

صدور عفوعن باقي مدة التأديب - التي لم تحدد أصلا- بمناسبة

عيد الأم..!!

قهقه خالد لما سمع المناسبة، علم أن المنادي يستظرف من خفة دم

أمه..!!لكن لا بأس طالما أننا سنخرج من هنا، عيد الأم .. عيد الأب ..

عيد العمال .. المهم نخرج الى قصرنا المشيد.. الزنزانة ..!!

الزنزانة محدودة المساحة الكائنة في وسط العنبر هي كالقصر

المشيد صعب المنال..!تلك هي الحرب النفسية الشعواء التي نجح فيها

السجان.. أن يجعل أقصى أمانى المسجون العودة لزنزانتة التي كان في

السابق ضائق نفسها بها..!يتمنى وسط الظلام الدامس لمبة نور يُسمح

له بها، بعد توسيلات وطلبات لا تتقطع. يتمنى وسط التضيق والاستفزاز

المستمر أن يسمح له بدخول طعام معين أو شراب مخصوص.

يكون من أقصى أحلامه بعد قضاءه فترة في السجن السماح له

برؤية الشمس ولو دقائق معدودة..

يرى في دقائق زهيدة يسمح له من خلالها رؤية أهله، حياة داخل

الحياة.. كل شئ سخر له وساعده سوى هذا السجان المتكبر..!الأرض
ما أدمت قدماه حين سار عليها حافيا.. أصبح بينها وبين ظهره انسجام
وترابط..!الماء الملوث أبى إلا أن يصفو من أجله مرسبا الشوائب في
أسفل الزجاجة ..!الشمس أرسلت شعاعها مبشراً بفجر سيطلع مهما
طال الليل ..حتى الحشرات التي كان يعرف أنها ضارة يوم أن كان
حر طليق، إبتعدت هي الأخرى عن جسده، وأكل بعضها بعضا حتى لا
تتكاثر..!كل شئ أصبح طوع أمره بإتفاق غير معلن..!إلا هذا الظالم
الذي عماه ظلمه، وسُؤل له، غير عابئ بموت أو بحياة أو بنار!!
تعانق الجميع، والتصقت الأجساد مرة أخرى، سرت في العروق
الدماء كمن بعثوا بعد موت..!

إن كانت هذه فرحة الخروج من التأديب، فكيف بفرحة الخروج من
السجن كله؟!!

وكيف بفرحة النصر والحرية..؟! كيف...!
وقف الجميع في صف واحد حاي في الأقدام، منتظرين عرض رئيس
المباحث وابتسامه الظفر التي ستعلو وجهه حين يراهم على هذه الحالة
وهذه الهيئة المزرية..

فجأة حدقوا في الآتي من بعيد، حاله كحالهم غير أنه يرتدى حدائه
وسترة أحسن حالاً منهم.. كانوا يريدون أن يركضوا نحوه ويعانقوه
بشده ..

لكن لا يستطيع أحد هنا أن يتحرك بحريته..!

انتظروا على أحر من جمر حتى أتاهم..
تعانقوا عناقاً مديداً، بل زاد أحدهم على ذلك وقبّل يده تقديراً
لثباته ورجولته، وصبره عن الطعام والشراب، وتدخله ليدافع عن
سجين مثله مهما كانت النتائج والأسباب..
إنه حسن.. سمح له هو الآخر بالخروج من المستشفى والعودة إلى
العنبر..

علت الابتسامة الوجوه.. من فرحة العودة واللقاء من جديد..!
شرح لهم حسن ما سيتم في العرض.. ناصحاً إياهم بتعديه الأمور،
وأن لا يستنزوا، ويحكموا أصوات العقل حتى تتم على خير..
وأخبرهم أن عمر بصحة جيدة وأنه في انتظار ترحيله لمستشفى
سجن طره حتى يكمل علاجه على خير.. لم يخبرهم بحقيقة المرض
حتى لا يقلقهم، تحجج أنهم سيرحلونه بسبب ظهور مشاكل صحية في
معدته.. دعوا له بالشفاء..

بعدها دخلوا واحد تلو الآخر للعرض الذي بدأ أنه أسهل مما سبق
ثم عادوا الى زنازينهم من جديد.. وأعيدت الروح لزنزانة (٧) من
جديد، وامتلات الأركان بالضجة والهرج والمرج.. وكان جل حديثهم في
ذلك الوقت ما حدث لكل منهم في فترة تأديب وما رآه من عفاريت في
الليل..! وما كانت أحلامه..!

لكن يبدو أن على وإخوانه لم ينسجموا معهم، ربما ما خفي كان
أعظم..!!

الفصل الحادي والسبعون (حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ)

في الوقت الذي إنشغل فيه الجميع في السمر، مستمتعين بفقراته ومشاركين بحماس.. تسلل علي خفية إلى المطبخ والشر يتطاير من عينيه، وكأن شياطين الأرض كلها تتراقص أمام عينيه. وضع الماء الفاتر في سخان الشاي بعد أن غسل كوبه البلاستيكي ولقمه بالسكر والشاي.. انتظر حتى غلى الماء، ولم يسمع صوت فورانه من صوت الصخب والهرج في قلب الزنزانة..

وفجأة وبدون مقدمات رفع السخان بماء المغلي وركض باتجاه النزيل الجالس في إحدى أركان الزنزانة يصفق بكلتا يديه.. فأطلق علي العنان للماء المغلي ليسقط فوق رأسه مباشرة..!!

تعلقت الأعين الذاهلة بالدخان المتصاعد من رأس الصارخ للحظات.. قبل أن يقف حسن ويدفع علي بقوة باتجاه الباب فيسقط أرضاً مطوحاً بالسخان الفارغ لأعلى..

تداخلت الأصوات

<< آه يا ابن الكلب.. >>

<< يا خالين.. >>

<< هطلع ميتين أمك..! >>

« كفته يا حسن..! »

« خبطوا على الباب هاتوا المباحث لابن (....) !... »

« والله لأعرفك..! »

أنصاره كأن في فهمهم ماء، كانوا مذهولين كغيرهم..! لم يقدر أحد منهم أن ينطق بكلمة وسط العروق المشدودة والأفواه المتوعدة..!
جرى خالد باتجاه المطبخ وقطع سلك السخان الكهربائي وركض نحوه متفادياً الصفوف المتزاحمة وانهاled على جسده بالضربات المتتالية وهو يصرخ غير مدرك ما يقول..

جذبه إبراهيم بقوة بعيداً عنه وهو يصرخ فيه :

- « كده هنروح كلنا التأييد .. سيبه وهانخبط على الباب..

المباحث تيجي تاخده..! »

ما زال حسن كما هو قابض على يديه بقوة حتى لا يتحرك وهو يرمقه بنظرات الظفر والغلبة! لا عجب فهو يرى أن ما فعله جهاد! وأنه استطاع أن يحرق أحد أعداء الله الكفار! الذي قال في السابق لا بد من تحكيم العقل في كل الأمور وتهنئة النصارى مباحة، والاحتفال بالمولد النبوي جائز.. من يومها وهو يتربص له في كل شئ.. ويخطط ويتوعد سراً.. ينتظر الوقت المناسب حتى ينقض عليه بالماء الساخن ويحرقه بنار الدنيا..!

قام حسن وأمسك بالسلك الكهربائي المقطوع وكبل رجله به حتى لا يستطيع الحركة! ونظر إلى عادل مستول الفرقة لكي يصدر حكمه فيه،

أو يجد مخرجاً لهذه المشكلة كما كان يفعل في السابق..

تحدث الأخير موجهاً كلامه للجميع :

- << طبعاً كلكوا شوقتوا اللي حصل.. وده خاين ومفيش حد فينا يقدر يستأمنه على نفسه لحظه من دلوقتي.. علشان كده دا مكانه مش معانا.. مكانه التأديب هناك مع المسلمين والزهاد..! إنما إحنا بالنسبة لسيادته كفار!! فلازم يخرج دلوقتي حالاً ومش الصبح..! هو هيفضل مربوط وهنخبط على الباب زى ما قال إبراهيم، لحد ما يجوا يخدوه.. موافقين ولا إيه؟! >>

سكت الجميع ولم ينبس أحد بينت شفّه حتى أنصاره وأتباعه..!
اقترب خالد وهشام من الباب، فدوت الطرقات وصداها في العنبر كله، حتى شعرت الزنازين المجاورة بخطورة الأمر، وظنوا أن أحد يموت، فأزروهم..!

ارتفع صوت الطرق والنداءات المتتابعة :

<< يا حرس.. يا اشاويش.. يا عم مبروووووك.. >> .

كان الهدوء مسيطر على السجن في الخارج وكافة العنابر في سكون تام، حتى وصلهم صوت الطرق الشديد، فعلموا أن الأمر خطير! وظن بعضهم أنها حالة هروب جماعي..! فمثل هذا الصوت لم يحدث من قبل.. ما الذي يحدث؟! وصل الصوت حتى مبنى الإدارة الذي بدد ظلمة المكان بأضوائه الباهتة.. مشى حتى مدخل المأمور.. رئيس المباحث.. معاون المباحث.. الكل قام فزعاً من الطرق..!

للتورن تليفون العنبر الأرضي (هاتف يوجد في كل العنابر يتصل مباشرة بمبنى الإدارة ويستخدم في حالات الطوارئ)

هاتف رئيس المباحث في الشاويش :

- في إيه عندك يا مبروك؟!؟

أجابه وهو يضع يده على فمه متثائباً :

- غرفة (٧) يا باشا هما أصحاب المشكلة.. وقالوا إني حد عندهم

بيموت . علشان كده الغرف كلها خببطت معاهم..!

أغلق الخط في وجهه، فعلم مبروك أنه قادم، فركض باتجاه الغرفة

صاحبة المشكلة.

- خلاص بعث أجييب المفتاح.. مش عاوز تخبيط تاني.. خلاص..؟!؟

هدأ الجميع وعادوا الى أماكنهم مطمئنين..

دقائق وسمع صوت البيادات مدويا وهى تضرب الأرض بقوة..

أطل أحدهم من النضارة صارخاً :

- << كله يقف وشه للحيطه.. يالااااا >>

فتح الباب فامتلات الزلزانه فجأة بالعساكر المثلثين..! وقف خلف

كل نزيل عسكري واضعاً عصاه المدبية في ظهره وأصبح المكان آمناً

بالكامل..!!

دخل رئيس المباحث مستشيطاً غيظاً بعد أن أيقظوه من النوم،

وأحدثوا حالة من التحريض الغير معلن بين النزلاء في كل العنابر..!

ماذا لو كان أحدهم إستغل الحالة وهرب؟! من كان يتحمل المسئولية غيره؟!؟

أعطى إشارة البدء للعساكر، فعاثوا فساداً في الزنزانة كياًجوج
ومأجوج.. قلبوا الفرش وخلطوا الملابس بعد أن مزقوا بعضها، وأسكبوا
فوقها الماء الوسخ..! فأحدثوا حالة من الإذلال والإهانة.. أو هكذا
ظنوا..

انتهى التفتيش فتسلل العساكر للخارج واحد تلو الآخر، ملوحين
بإشارة التمام لرئيسهم الذي قال بصوت الظافر المنتصر :

- << فين مسؤل الغرفة؟ >>

رفع عادل يده دون أن ينطق.. فأردف رئيس المباحث :

- << في إيه.. كنتوا بتخبطوا ليه؟! >>

تحدث بصوت وقور وحكى له كل ما حدث بالتفصيل عن علي وأنه
كاد أن يحرق زميلهم، ودلل على ذلك حين أشار للمحروق فظهرت آثار
الحروق على رأسه ووجهه.!

فاقترب رئيس المباحث من علي وضربه في منتصف ظهره بقوة
فالتصق بالحائط ثم رفعه من سترته لأعلى وهو يقول :

- << عملي بلطجي يا روح أمك.. أنا هاعرفك إن ده سجن، مش

حديقة الحيوان بتاعت أمك..!! >>

أشار بعدها للمحروق موجها كلامه لأحد العساكر :

- << خده وديه المستشفى..! >>

ثم أشار إلى علي :

- << وهاتلي ابن (...) دا وإربطهولي على باب العنبر لحد الصبح

أما أشوف هاعمل مع أمه إيه..؟ <<

ربط علي عاريا من كافة ملابسه إلا ما يستر عورته على الباب

الحديدي الخاص بالعنبر

تتفيذا للأمر..! وربما لانتهاه قدره المحتوم..!

عاد الهدوء من جديد لكافة العنابر وبلغ المأمور أن الأمر انتهى

وتمت السيطرة على الموقف بالكامل.. ولم يتكرر هذا الطرق من جديد

مهما كانت الظروف.

الفصل الثاني والسبعون

(والجلاد لا يرحم..!!)

الثلاثاء ٢٠١٦/٩/٢٠ م

الساعة الحادية عشر ظهراً

ساحة السجن

مر حوالى أربعة عشر ساعة، وعلي مازال عاريا ومقيدا من الخلف في الباب الحديدي للعنبر، يمصمص شفثاه أسفاً كل من مر عليه ورآه مدللاً الرأس، ضارباً بلحيته صدره.

تمنى هو أن ينصرف من هذا المكان ولو إلى التأديب..!

لا بأس في ذلك، فكثيراً ما جرب خشونة أرضه وعفانة فرشه..!

ركض نحوه الشاويش مبروك وفك قيده ثم سحبه إلى الخارج، ملوحاً بعضا غليظة كانت في يده..

وصلا حتى المكتب، وقيده مرة أخرى في أحد أعمدة الإنارة في الساحة الكبيرة التي تتوسط السجن.

تركه لقمه سائغة للشمس تنهش من جسده ما تشاء..! حتى استوى وإحمر لون بشرته من حرارتها..

جاء رئيس المباحث بوجه امتلاً غيظاً من ليلة أمس، وكأنه صعق بالقلم من أحد السجناء في وسط إمبراطوريته، رمق علي باستحقار،

ثم صرخ في الشاويش الذي كان منتظراً في ظل شجرة :

- << يا شاويش الزفت ...! >>

جرى مبروك نحوه وهو يهز كرشه :

- << أوامرك يا باشا.. >>

جذب من يده العصا الغليظة ثم صاح فيه :

- فكلى الواد ده..! وكتفه من الخلف.. ونيمه على ظهره وارفع رجله

لفوق..! علشان أعلم ميتين أمه إزاي يبيلطج في السجن..!!!

فك مبروك قيده من العمود، وربطه من الخلف ثم دفعه، فسقط

أرضاً نائماً على ظهره ثم أمسك بساقيه ورفعهما محدثاً زاوية حادة،

بعد أن حَزَمَها بكلتا يديه حتى لا ينفكا من الضرب.

لوح محمد بعصاه يمينا ويساراً، كفارس يستعد للمبارزة ويجرب

سيفه في الهواء..

جز على أسنانه ولعت عروقه، فرفع العصا الغليظة لأعلى وضرب

بآخر قوته على قدميه الحافيتين. ضربة من شدتها رسمت خطوط

حمراء متعامدة على باطن القدمين. جعلته يصرخ من شدة ألمها متوسلاً

- خلاص يا باشا.. مش هاعمل كده تاني خالص.. خلااص..

لم ينفعه التوسل والبكاء..

فجلاده الآن لا يحب أن يسمع إلا صوت طرقعة العصا على القدم..!

رفع العصا مرة أخرى، وتوالت الضربات الواحدة تلو الأخرى..!

في كل مرة يختل توازن الشاويش، فيهتز من شدتها ويزداد صراخ

علي وبكائه..

حتى انفجرت الخطوط الحمراء بالدم وكأنها نافورة ماء شديدة
الضخ...

والجلاد لا يرحم..!!

تزداد متعته مع كل قطرة..

تعلو قهقهته مع كل دمعة..

وتقوى سرعة ضرباته مع كل صراخ..

أصبح لا يشعر بشئ غير أنه كآلة يرتفع ويهبط، ممسكاً بالعصا

الغليظة التي بدأت تخترق جسد الصارخ وتعجل بنهايته..!

شعر مبروك للحظة أن من شدة الضربات وسرعتها أن العصا

ممکن أن تفلت! محدثة في وجهه ما تفعله الآن في قدمي علي..! كاد أن

يفلت قدماه ويهرب بجلده..!

لما لا يستخدم في ذلك أحد مسيريه..؟!

ربما رأى في ذلك السجين يحنُّ على زميله ويساعده..!!

تساءل سراً متى ينتهي؟!

انقطع فجأة صوت علي وبدأ يحرك رأسه ببطئ يمنة ويسرة.. يتمتم

بكلام غير معروف.. يغمض عينيه تارة ويفتحهما تارة أخرى غير

مدركاً ما يحدث.. أصبح لا يقاوم.. لا يصرخ.. لا يبكي.. لا يتحرك..

أصبح لا يتنفس.. مات

صرخ مبروك :

- << خلااااا... نفسه وقف..!>>

فاق رئيس المباحث من نوبة الصرع التي انتابته بعد سماعه صراخ
الشاويش..

أوقف الضرب.. رمى العصا..

ترك الشاويش الساقين المعلقين فسقطتا أرضا، حرتين بدون أي
مقاومة..!

مال الأخير برأسه ليستمع لدقات القلب.. لا صوت ولا خفقان..!

رفع يده وتركها فنزلت حرة دون مقاومة كالقدمين..!

وضع باغة ساعته أمام فمه.. لا شئ يغير صورتها..

لا بخار ماء.. لا نفس.. لا زفير..

رفع رأسه وحدق في سيده الذي كان يستعد لإشعال سيجارته..

وصرخ :

- << الواد شكله مات يا باشا.. ما بيتنفسش..!>>

رمقه باشمئزاز وكأنه غير مبالي بما يقول :

- << روح وديه المستشفى.. خليه يدوله أي حاجه تَفَوِّقه.. هما

ولاد (...) شاطرين في السلطة..!

الفصل الثالث والسبعون

(غرغرينة)

الساعة الثانية عشر ظهراً

المستشفى

أمسكت بالقلم وقلّبتّه بين أصابعها، لا تعرف ما السبب الرئيسي لمحبيّتها العمل اليوم؟! أ جاءت حتى لا تسجل غياب في دفتر الحضور والإنصراف، خاصة واليوم هو الثلاثاء؛ مقرر عملها في الجدول الأسبوعي؟! أم جاءت لترى حسن الذي كان سببا في تقليب الماضي من جديد أمام عينيها، بحلوه يوم أن رأته وساعدته يوم حفل التكريم، وبمره يوم فارقها زوجها الشهيد؟!... أم جاءت لترى قاتله الذي يدعى أنه يساندها من أجل الحفاظ على الصداقة القديمة التي كانت بينه وبين زوجها؟! الصداقة التي جعلته يقتله..! في النهاية معلناً من مبادئ المصلحة خاصته على رأس كل شئ حتى وإن أزهدت في سبيل ذلك الدماء..!

أي صداقة هذا الذي يتحدث عنها؟!!

لكنها تساءلت لماذا تريد أن تراه؟! هل سيقدم ذلك شئ؟!!

ربما لو واجهته تخلص منها كما تخلص من زوجها من قبل؟!!

ستترك هذا الملف جانبا على الأقل الآن، حتى تنتهي من موضوع

عمر وترفع عن حسن مظلّمته، في تحدٍ وحماس لإستكمال ما بدأه زوجها الشهيد في السابق..

قدمها تثبتت في الأرض لا تريد أن تقوم من مكانها.. ستظل قابضة في مكتبها..

حتى يجد جديد، أو تقرر ماذا ستفعل، أو يأتي قدرها إلى حافة مكتبها..

ويبدو أن قدرها سمع حديثها الداخلي، فأبى إلا أن يأتيها إلى مكتبها كما أرادت..

طرقات شديدة على الباب ..

المسير حاتم جاء بأمر خطير بدا على قسّمات وجهه :

- إالحقّ يا دكتورة في مسجون ما بيتنفّس وشكله مات، الشاويش جابه.. وهو دلوقتي موجود في غرفة العزل..

لم تتحرك من مكانها وقالت في تجاهل متعمد :

- إفضل روح للدكتور ياسر - مدير المستشفى - دا تخصصه وهو مسؤل الكشف عن الحالات دي.

قال وهو ينهج كمن كان في سباق للجري مسافات طويلة :

- الدكتور ياسر مش موجود.. ورئيس المباحث قال حضرتك تكشفي عليه ..

لوّت شفيتها مشمّزة من سماع اسم قاتل زوجها. وثبت من مكانها باتجاه غرفة العزل ..

ما إن وصلت إلى القتيل حتى بهت لونها وتغير للصفرة..!
لم تكن تتوقع أن القتيل قتل من التعذيب، كانت تظنه مات موته
طبيعية كمعظم الوفيات العامة داخل السجن.

اقتربت منه وتفحصته بيديها بعد أن إرتدت جوندي طبي شفاف..
من أول وهلة علمت بخبرتها السابقة من التعامل مع مثل هذه الحالات
أنه مات..!غير أن ما أدهشها هو سبب الوفاة..كان باطن القدم مخطط
بجروح قطعية غويطة إثر ضربات متتابعة من أداة حادة، طبعت
صورتها في بعض الأطراف ذات الجروح السطحية..!تغير لون الساقين
من الأعلى للون الأزرق الفامق نتيجة لإحتباس الدم من بعض الضربات
عليهما...أسفل الذراعين وجد حز دائري أحدث جلف بسيط للتقيد من
الخلف بواسطة سلك بلاستيكي مشرشر..كانت السترة التي يرتديها
القتيل مقلوبة؛ دليل أنها وضعت عليه بعد الوفاة..!والأغرب من ذلك
بروز مسمار بلاتين من إحدى الساقين، كان مزروعاً فيها نتيجة كسر
سابق مما أحدث غرغرينة أدت إلى الوفاة من شدة الضربات والضغط
على الساقين.. يبدو من لحيته الكثيفة أنه مسجون سياسي..!

أو هكذا ظننت..لكن ما الذي فعله حتى يُعذب بهذه الطريقة التي
أدت إلى الوفاة؟!من عذبه هكذا!؟

سجلت كل الشواهد الواضحة على الجسد في ورقة ودستها في
جيبها قبل أن تصرخ منادية على حاتم الذي جاءها راكضاً..تظاهرت

في البداية أنها حالة إغماء؛ حتى يطمأن لها ويخبرها بما حدث بالتفصيل..

- شوية كده وهي فوق.. بس عاوزه أعرف كل اللي حصل؟!!

تلعلم شاكاً في كلامها، فهو يعلم جيداً أنه قد مات..

- أنا معرفش إيه اللي حصل؟! الشاويش مبروك هو اللي جابه..

وقالي إني السبب خناقه في الزنزانة ورئيس المباحث حوله للمستشفى..

لاحظت عليه الكذب فاستطردت :

- هو في زنزانة عندنا فيها آله حادة؟! أو حتى عصايا خشبية زي

اللي مضروب بيها يا حاتم.. لو مقلتش اللي حصل بالظبط هبلغ المأمور

أنك شريك معاهم..

تلعلم مرة أخرى وكاد أن ينطق..! لكن فتح الباب فجأة واقتحم

عليها الغرفة وعلامات القلق تكسو ملامحه على الرغم من أن نظارته

الشمسية أخفت جزء كبير من وجهه..

بصوت محدد وجه كلامه للدكتورة :

- إيه اللي حصل.. الواد دا في إيه؟!!

قالت وهي تسير باتجاه الباب ببرود :

- لأ بسيطة خالص يا محمد بيه.. المسجون بس مات من التعذيب،

وأنا واجبي أبلغ المأمور بالحالة وبعدين هو يتصرف ويحقق في سبب

الوفاة.

مشت وتركته مستشيطاً غيظاً من طريقتها وتهديدها له بإبلاغ

المأمور بما حدث.. أشعل سيجارته ونفث غضبه في دخانها المتصاعد
لأعلى ثم أمسك بهاتفه وضغط بسرعة على رقم يحفظه جيداً..

- إيه يا ياسر انت فين؟! -

.....-

- دا وقته يا ياسر ما تيجي تشوف المصيبة اللي شغالة معاك دي..
في حالة وفاة هنا ولازم تيجي بسرعة تخلص الموضوع ده..

.....-

- انت في الوزارة ومش هاينفع تيجي دلوقتي؟! خلاص أنا هتصرف..

سلام

أغلق الهاتف وكاد أن يطوحه هو الآخر في الهواء، لولا أن تدخل
حاتم في الحال.. قائلًا :

- أنا ممكن أخلص الموضوع يا باشا..

- إزاي؟! -

- عصايا زى اللي الواد مضروب بيها تدخل زنزانة من الجنائي..
ونشيل الموضوع لعيال من العيال اللي محكوم عليهم بالسجن مدى
الحياة..! يعنى هيفرق معاهم إيه.. وبعدين هنبقى نضبطه وخلاص..!!
قاطعهم معجبا بالكلام :

- والتذكرة اللي مسجل عليها غرفة الواد؟! والتقرير؟! وزماليه اللي

شافوه؟! -

- بسيطة خالص التذكرة تتقطع ونعمل واحده جديدة عليها رقم
الغرفة اللي فيها القاتل. والتقرير الدكتور ياسر يكتبلك واحد ميخرش
الميه.. لوزمايله محدش عارف إيه اللي حصل وهنقول إحنا حبيننا نأدبه
فسكناه جنائى وواد من الجنائين قتله..!!!

ابتسم معجباً بهذا التفكير الجهنمي، وقبل أن يؤمن عليه اقتحم
المأمور عليهما الغرفة، تتبعه هبة للداخل.. يبدو أنها من أتت به إلى
هنا وأخبرته بوفاة السجين لكنها لم تخبره بسبب القتل، لأنها أصلاً
إلى الآن لا تجزم بمعرفة السبب..

- عاوز أعرف إيه اللي حصل بالضبط.. والجثة اللي مرمية دى
سببها إيه؟ لفي إيه يا محمد بيه؟! دا مبقاش سجن دى بقت مشرحة..!

الفصل الرابع والسبعون (ركب دماغه فركبناه)

شقة ياسر

مدينة السادات

في مساء نفس اليوم الثلاثاء، وصل ياسر إلى شقته في مدينة السادات وصل الليلة بعد أن أصر عليه رئيس المباحث أن يأتي بعد عودته من الوزارة. كي يفكرا سويا في إنهاء أمر الحادثة الصباحية ويوجدا حلاً لهذه العنيدة، التي بدأت تضع أنفها في كل شئ..! لم ينس طمأنة ياسر له بخصوصها وأنها راقدة في جيبه بين قصاصات أوراقه.. جلس في انتظار محمد حيث أخبره أنه في الطريق إليه لا يفصله عنه إلا عشرة دقائق..

وصل الأخير وجم الوجه فبادءه ياسر بالكلام وهو يبتسم :

- إيه ده الموضوع بجد بقى... إيه اللي حصل هو أول مرة واحد يموت ولا إيه؟! ما طول عمرنا بيموتلنا فراخ وبنظبط تقاريرنا وكله بيعدي..

نفث دخان سيجارته بعفوية شديدة ثم أردف :

- آه .. بس كل مرة مكنشي في قردة بتطنط لنا وعامله صداع لكل.....جريت على المأمور حكك له كل حاجه زى ما تكون في حضانة وراحة تشتكي للناظر...!

قهقه ثم استطرد وهو يغالب الضحك :

- روق بس كده واحكي لي إيه اللي حصل... وأوعدك إني مش هامشيك من هنا غير والموضوع خلصان...!!

قص له محمد ما حدث بالتفصيل، من ليلة حادثة علي داخل زنزانته حتى اقتحام المأمور غرفة العزل ورؤيته الجثة هامة.. ثم عرض عليه اقتراح الجنائي بحل الأمر.. فأجابته :

- إقتراح ممتاز، طيب ليه ما نفذتش على طول..
- علشان الهانم كانت جابت المأمور والله أعلم هي حكته له إيه عن اللي حصل ..
قاطعه:

- يعني أفهم من كده إن هبة دلوقتي الشاهد الوحيد عند المأمور اللي لوقالت أمين على كلامك انت وحاتم هيكون الموضوع خلص.. صح ؟
أوما برأسه موافقا على كلامه ثم أردف متوعداً :
- آه .. وإلا بقى هيكون مصيرها زى جوزها.. ما هو كان فاكر نفسه بطل..! ورفض إنه يشهد باللي قلنا له عليه.. ركب دماغه فركبناه..
لف حوله وربت على كتفه مطمئناً :

- لا موت ولا حاجة.. إن كان دماغها ناشفة أنا هليينها بالراحة خالص.. وهتروح تقول كل اللي انت عاوزه وزيادة..
رمقه باستغراب :

- إزاي بس يا ياسر.. إزاي؟!
- لأ إزاي دى سيبها على - ودلوقتي حالاً.. هو أنا مش قلتك مش هاتمشي النهارده من عندي غير والموضوع خلصان.

الفصل الخامس والسبعون

(المساومة الدنيئة)

أمسك ياسر هاتقه وضغط على لوحة الأرقام بأطراف أصابعه..
وأثقا مما يفعل..!! ومطمئناً للجالس أمامه مندهشاً بابتسامة الظافر
قبل بدأ المعركة..!

- إزيك يا دكتورة، عاملة إيه؟!

كانت هبة في الجانب الآخر تحكى لوالدها ما أهمها في الفترة
الأخيرة.. والأحداث المتسارعة التي مرت بها.. اندهشت حين رأته
الشاشة تضاء برقم قلما اتصل بها..

- إزي حضرتك يا دكتور ياسر..

- انت فاكرة يا هبة التقرير اللي كنت عملتيه وجبت هولتي مكتبي..
وأنا قلت لك ساعتها خليه معاكي لحد ما أطلبه منك..

- أيوه فاكراه.. بخصوص حالة عمر السجين المصاب بمرض

الليشمانيا.. وحضرتك وعدتني إنك هتساعدني..!

- تمام.. رئيس مصلحة السجون بنفسه كلمني بخصوص الحالة،
بسبب الضغط الإعلامي وتصيد القضية على أعلى مستوى.. وأنا
عاوز التقرير دا دلوقتي، علشان أبعته له، لإنني احتمال يصدر بحقه
عفو صحي الصبح..!!

- طيب أنا ممكن أجي لحضرتك دلوقتى وأجبهولك.. بس ياريت تديني العنوان..

- أنا عامة مش بعيد عنكم، أنا موجود في شقة السادات...!!
تركت كل ما في يدها، واعتذرت لوالدها عن خروجها المفاجئ...
ارتدت ملابسها وعلقت حقيبتها الحاوية للمف عمر منذ أن علمت بحالته، تحمل معها أكثر من صورة منه.. توزعها في كل مكان تروحه؛
حتى يكون دائماً في متناول المسئولين. ما هي إلا دقائق ووصلت للعنوان الذي أعطاه إياه..

شقة في الدور الرابع في بلوك سكنى حديث الإنشاء..
صعدت السلم فتسارعت أنفاسها، حتى وصلت إلى باب الشقة المطلوب...

سمع ياسر صوت جرس الشقة، فطلب من ضيفه أن يدخل إحدى الغرف! حتى لا تراه وتعلم أن في الأمر شئ مريب.

لكنها لم تكن بالسذاجة التي يظنها.. فعلى الرغم من أنها أتت متعجلة على أمل أن يكون كلامه صحيح ويأخذ منها الملف ويصدر عفو صحي عن مريضها.. إلا أنها أخذت احتياطاتها فاتصلت بوالدها وهي تصعد السلم وتركت خط الهاتف مفتوح بينهما.

وأمسكت الهاتف بيدها..!

فتح ياسر الباب والابتسامه تغزو وجهه كمن كان ينتظر معشوقته في شقة مفروشة وها هي قد أتته راغمة...!!!

- اتفضلي يا دكتورة ..

دخلت هبة في إثره ولم تتسى أن تأخذ الاحتياط الثاني.. حركت
بقدمها المشاية الموجودة على باب الشقة من الخارج، متظاهرة أنها
تزيل التراب العالق بحدائها..! فأسندت طرف المشاية على حافة الباب
من أسفل فمنعته من الغلق التام...!!

دعاها ياسر للجلوس على طاولة السفارة؛ حتى يخدعها أن الأمر
جد.. ولا ينتظر الضيافة؛

لكنه في الحقيقة كان يريد ضيفه أن يرى ويسمع ما سيحدث
بينهما..

وضعت حقيبتها أمامها على المنضدة بعد أن أخرجت منها الملف
الطبي لعمر..

وبجوارها جلس هاتفها ينقل بث مباشر لوالدها القابع على بعد
كيلومترات من هنا..

مدت يدها بالملف في اتجاهه وهي تقول :

- إتفضل يا دكتور.. الفايل ده في كل الأوراق المطلوبة، التقرير
ومعلومات عن المرض والحالة الصحية.. وورق فيه ظروف القضية
وظروف القبض عليه..

رأت في عينيه غرابة من موضوع ظروف القضية فقالت متدركة
لتوضح الأمر..

- معلومات جمعتها من على الانترنت.. حضرتك عارف الموضوع منتشر في الدنيا كلها!!..

ابتسم :

- أد كده السجين ده يهملك أمره!؟

- الصراحة أه ..!

وثب من مكانه وبدأ يتحرك ببطئ في حركة دائرية حولها :

-أنا على العموم هدخل في الموضوع على طول.. أنا كلفت من الوزارة بعمل خمس تقارير لمساجين هيصدر عفو صحي عنهم في أقرب وقت.. والصراحة أنا مختار أختار مين ولا مين!؟ .. بس طالما المسجون ده يهملك اعتبري الموضوع منتهي.

تبعته بنظرات أينما ذهب ثم أردفت بثقة :

- على الرغم من إعتراضي على موضوع الحيرة دا.. لأن في مساجين فعلا يستحقوا عفو صحي.. إلا إني بأكدلك يا دكتور ياسر إن فعلا حالته متأخرة ويستحق العفو..

- مفهوم .. مفهوم .. بس أنا ليا خدمة مقابل كده!!..

عقدت حاجبيها :

- خدمة!؟

واصل :

- طبعا انتي حضرتي اللي حصل الصبح في السجن مع محمد بيه، أنا بس عاوز أعرف إيه المشكلة يعني إن مسجون مات.. هي جديدة!؟

رفعت حاجبها فاستطردت :

- بس دا مات من التعذيب يا فندم؟!

اقترب برأسه منها ثم همس :

- وإيه المشكلة برده.. لا أول ولا آخر مسجون يموت من التعذيب..! ولا

عندنا إحنا وحشه... وكمان هو أجله كده خلاص..!

خفق قلبها بشدة عندما اقترب منها ثم أردفت بابتسامة ماكرة

وكأنها أدركت مراده

- والمطلوب؟!

- زى ما قلتى للمأمور عن اللي حصل.. تقولي إنك سمعتي المسير

وهو بيقول إنها كانت خناقه في زنزانة من عنبر (ب) - عنبر الجنائي

يعنى - ويخلص الموضوع..!!

وثبت من مكانها وتناولت هاتفها والحقيقية والملف :

- آسفة يا فندم.. انت دلوقتي أكدتلي إنه فعلا مات من التعذيب..!

واللي عذبه محمد بيه رئيس المباحث.. وكمان عرفت إن موضوع

العضو بكرة دا كان كدبة علشان أوافق على مساومتك الدنيئة.

الفصل السادس والسبعون

(الكلب يلهث)

جذبها بقوة من يدها وهى تركض نحو الباب هاربة، فاختل توازنها وسقطت حقيبتها، في الوقت التي تشبثت فيه بهاتها تستمد منه النجدة..!

حاولت أن تفلت من يديه، لكنه قبض على عضديها وقربها إليه بشدة لاهثاً كالكلب الذي إنقض للتو على فريسته..!

حاولت دفعه صارخة.. فباءت كل المحاولات بالفشل..

كلما اقترب برأسه منها إبتعدت هي برأسها، وهى تتلوى بين قبضتيه تريد الفرار..

فجأة دفعها باتجاه الحائط مطوحاً برأسه نظارتها، التي تركتها وحيدة وطارت في الهواء.. ثم سُمع صوت إرتطامها في الأرض؛ أصبحت الرؤية باهتة أمام عينيها، فشعرت بدوران خفيف، سقطت على إثره أرضاً مسلمة نفسها للقدر!

دلدل لسانه فرحاً بنشوة الانتصار..

الفريسة ممدودة أمامه..!

لا تحرك ساكناً..

لمع في عينيه المستذئبتين إحمرار وجنيته البريئين... فتحسسها

بأطراف أصابعه.. حتى وصل للشفتين الصامتين فُخِيلَ له أن صمتهَا
علامة رضا تقول: «أفعل ما تشاء.. أنا هيت لك»
نزع سترته مسرعاً، وأحكم هذه المرة جسدها بين قدميه، ثم ارتكز
على ركبتيه، ومال للأمام مستنداً على ذراعيه بعد أن ثبتهما على أبواب
قلعتها الحصينة، استعداداً للإقحام. لكم تمنى هذه اللحظات؟!
رأى محمد من خلف الباب ما حدث، وإنها ذهبت لعالم آخر! غير
مدركة..

اقتحم عليهما المكان مبتسماً يقتله الشوق أن يرى هذا الفيلم المثير
الذي بدأ عرضه .

كان الكلب منهمك مع فريسته لم يشعر بالواقف بجواره متلهفاً،
ومثبتاً عدسة كاميرا هاتفه على العرض الحصري..
ما زال الكلب شاهراً لسانه وأطرافه..
يريد أن يطيل متعته ما قبل الاقتحام..
يتأملها من كافة جوانبها..

تحسس وجهها النائم بأطراف أصابعه ماراً فوق قسماتها البريئة
بيطئ متعمد - قرب أنفه واستنشق عطرها قبل أن ينهشها بأسنانه..
غير عابئ بشئ ..

فهو الآن يسبح في بحر الخطيئة ..

زين له شيطانه أنها امرأة خضعت لأمره هامة بعد أن أرهقت من
رقصة الوداع!..

لم يفكر في عاقبة وطئ الموتى..!
بل كفر هذه اللحظة بالموت...
كفر بكل شئ راعياً ساجداً لهواه..!
أحس أنه أطال التأمل والشم فأمسك طرفاً سترتها مباعداً بينهما..
وممزقاً!

حتى تراءت أمامه قلعته..!
تراءت من الداخل ينيرها مصباحان معلقان، يستمدا وقودهما من
ريح الجنة..!
زاغت عينيه من نورها، فسأل لعابه حتى سقطت قطرات منه على
شعلتهما

فبهت نورهما للحظات..! حتى أزالنا نارهما الوسخ..!
فمزق الحصون وهدم القلاع والأبراج..
وانكب عليهما دافئاً رأسه في الشق بين الشديين..
مستمعاً لقلب ينبض صارخاً..

>> لقد حييت بالرحمة وملئت بالخوف على حياة الآخرين.. فمن

ليا الآن ينقذني من بين ثنايا هذا الكلب الأحمق.. <<

لحظات وبعدها اقتحمت قوات الشرطة المكان يتقدمها والدها وتم
القبض على محمد، وكبل الكلب بإحكام.. وحملت صاحبة القلب الرقيق
إلى جنتها..!

الفصل السابع والسبعون

(الترحيلة)

الخميس ٢٢ / ٩ / ٢٠١٦ م

الساعة الثامنة والنصف صباحاً

هز الصائح جسد حسن وإبراهيم النائمين

- اصحى يا حسن.. اصحى يا إبراهيم .. المسير جه قال جهزوا

نفسكوا علشان هتترحلوا من هنا..

رفع حسن رأسه بتثاقل وفرك في عينيه الناعستين :

- إزاي؟! ماقالشي هتترحل فين؟!

- لأ ماقالشي .. قال انت وابراهيم وخالد والأستاذ عادل وهشام

هتترحلوا دلوقتي .. جهزوا نفسكوا..

قام كل منهم ليعبأ حاجاته مزمجراً وضائقاً نفساً من هذا الأمر

المفاجئ .

لا أحد هنا صاحب مكان..الجميع هنا ترانزيت، في انتظار عربية

تقف أمام الباب بكشف معتمد، وتطلبه..!

انهمك الراحلين في تجهيز الرحلة..حُزمت الأكياس وورصت بجوار

بعضها عند باب الزنزانة.وحزم الفرش...لم يبق إذن سوى قبيلات

الوداع..!طقوس رسمية لكل من يرحل..

يقف القائمين في صف واحد ليودعوا الراحلين وأعينهم تقول :

« انتم السابقون ونحن اللاحقون »

تقبض الأيادي على بعضها في سلام حار.

تلتصق الأجساد في أحضان قوية..

وتبكي العيون حسرة على الفراق...

عندها تدق أجراس القلوب هاتفة بالأمل وقرب الفرج والنصر...

مهما أبعدوننا أو فرقونا تجمعنا ميادين الحرية ورايات النصر...!!

فتح الشاويش الباب ثم صاح :

«فإن الناس اللي مترحلة هنا... يلا علشان الظابط بيستعجلنى...»

مشى الجميع في طابور حتى وصلوا إلى باب العنبر، ثم تقدمهم

الشاويش وقادهم إلى الخارج ..

وقف حسن عند مبنى المستشفى.. شاردًا عن الصف..

إسترسل الشريط الذي جمعه بالحوارية أمام عقله..

أين هي الآن؟!

لما لا تأتي لتودعني؟!

أطال الوقوف.. الآخرون قربوا من الباب الرئيسي..

علها تخرج..! اليوم الخميس موعد عملها في الجدول..!!

أين انت يا حورية السجن؟!

ربما صعدت مرة أخرى إلى الجنة وتركت الأرض؟!

وربما ضايقها أحد الشياطين فتركت له المكان؟!

وما زال الشريط دائر... عمر.. مرضه.. غرفة العزل.. العنبر..
كلها مواقف جمعته بها..!

أخرجه من شروده صياح الشاويش :

«ما تمشى يا عم علشان الطابط بيتمم.. خلص..!»

ألقي الضابط نظرة سريعة على الطابور وتمم عليهم بالاسم
والشبه، ثم سلّم ملفات الراحلين إلى الضابط المسئول عن مهمة
الترحيل، حيث أصدر الأمر في الحال للصعود للسيارة، وركب هو بجوار
السائق.. وانطلقوا ..

- تفكر يا حسن مودينا فين.. سأل خالد :

- الله أعلم .. عامة مش هتفرق كلها سجون.. وبعدين ما اعتقدش

إن في سجن هيكون أصعب من اللي كنا فيه..!

- عندك حق.. إحنا فعلا كنا في أرض الكفر..!

- أهم حاجه يكون المكان قريب ومش بعيد علشان الأهل.. ملهمش

أي ذنب يلفوا ورانا في السجون.

قاطعه هشام وعلامات القلق والخوف تكسو ملامحه :

- أهم حاجه ما يودوناش العازولي.. بيقولك هناك مش أرض

الكفر.. دى جهنم نفسها..!!

رمقه عادل بعينين متفائلتين :

- يا عم تفاءل.. عزولي إيه بس؟! وبعدين دا سجن عسكري

وتحقيق.. إحنا ممكن نكون رايحين طره..

نطق إبراهيم مقاطعا :

أيا كان.. المهم دلوقتي نقول دعاء السفر وندعى ربنا يكفيننا

شرهم..!

الفصل الثامن والسبعون

(الكشكول)

الثلاثاء ٤ / ١٠ / ٢٠١٦ م

منزل م / مجدي الغراب

مدينة السادات

(صاح الآتي من الزمن السحيق بصوت ملئه الشجن والخوف...

« هو من تبحثين عنه.. وهي من تبحث عنها..!

انتما الحقيقة الوحيدة في هذه الدنيا الظلماء..!

انتما حملة مشاعل التنوير الحقيقيين..!

انتما الحرية التي ضاعت من الوجود.. وعادت من جديد..

لتكتسوها براءة منيرةً على أجسادكم..

ولتشربوها شراباً مسكراً، ينسيكما مرارة الحياة الغابرة..

ولتطعموها حلواً طرياً، فتطردهم بطونكم كل رجس وقذر..

لتصبحا بعد ذلك أجساداً نورانية.. تحمل النور.. وتبث شعاعه

ليملأ الكون، فتضاء الكتب المحروقة في عصر الظلمات..!

وتحي الأرواح الزاهقة على المشانق وهي تدندن باسمكم..!

ويموت الجهلة حسرة على محاربتهم النور في القديم..!

أو لعلمهم يتوبوا ويستكينوا لأمركم، ويعاونوكم في حمل الرايات

الثقيلة، التي ترفرف في سماء الحرية ودنيا النور»....)

تناثر شعرها الثائر على كتفها، راسما لوحة فنية رائعة الجمال،
ظهرت فيها وجنتيها ساحرتين بابتسامة أطرتها الشفاه..
احتضنت بين راحتها كشكوله الذي دون به خواطره وإبداعاته..
لم يفارق خيالها لحظة منذ أن رافقت السرير بعد ما حدث.
افتقدته.. إشتاقت لرؤيته.. كلماته.. ثورته.. جنونه..!
بدأت تتعافى، وكادت أثار حوافر الكلب أن تمحو..
لا تحب أن تتذكر من الماضي.. غيره.. حسن..! من أوصلها
للحقيقة..

من نعتها بحورية هربت من الجنة.. فكان صائدها الوحيد.. انتشل
قلبها من كومة الحوادث المتلاحقة..
أحاسيس لا يشعر بها الإنسان إلا عندما يخلو للراحة.. فتكون عوناً
له في المحنة..

ضحكة بعد دموع ممطرة..

هفوة بعد خفقان واضطراب..

لا تستدعي وإنما يضخها القلب بواسطة العقل فجأة.. فتتكرر أمام
عينيه متتابعة وفي كل مرة يشعر معها بسعادة غامرة..
أحاسيس دفعتها لتنب من سريرها، وتأتي بكشكول حمل بين
أسطوره..

مشاعره الفياضة بين دفتيه.. قصص وأشعار وخواطر تروي
السجن وتحاكي الأسى والألم والأمل والراحة..

قصته الأولى هي من توقفت عندها ملياً «الحرية والنور»
كأنه يخاطب امرأة بعينها.. لا يعرفها غير أن بينهما عامل مشترك
يبحثون عنه- الحرية...!
من تكون هذه المرأة؟!
وصفه لها يشبهها تماماً...!
وصفها وهي نائرة متخلصة من قيودها..!! مكان لا يراها فيه
أحد..!!

« كيف رأني.. أترأه ينظر إلي الآن.. وهل كتب هذه الكلمات بعد أن
قابلني أم قبلها»

رفعت عينيها إلى أعلى الصفحة وقرأت التاريخ..؟ حدقت به.. قبل
أن يقابلها بعام..! ومع ذلك كتب عن اللقاء.. وحدد المشترك بينهما..
وزيل القصة بمواصفاتها الحقيقية..

هفت نفسها فجأة للحديث مع والدها.. أغلقت الكشكول ووضعتها
تحت الوسادة، وارتدت سترتها البيضاء فوق منامتها.. دلفت نحو المكان
الذي من المعتاد أن يتواجد فيه الآن.. المطبخ!!

مشت على أطراف أصابعها حتى خده الدافئ من حرارة البوتاجاز
وطبعت قبلة ممزوجة بأسمى معاني الشكر والعرفان.. نظر إليها فرحاً
بشفائها وعودتها لطبيعتها فابتسم قائلاً:

- وحشتيني يا دكتورة.

ربتت على يده مبتسمة:

- وانت كمان وحشتني يا بابا .

ترك ما في يده واستدار ناحيتها وقد إغرورقت عيناه بالدموع،
فأردف :

- الحمد لله على شفاءك .. ربنا وحده أعلم كان هيصلي إيه لولا
قدر الله كان حصلك حاجة ..!

وضعت أطراف أصابعها على فمه مقاطعة بصوت حاني :

- خلاص يا بابا الحمد لله .. بلاش نتكلم في اللي فات .. وبعدين انت
وحشتني فجأة فجيت علشان أشوفك .. إيه رأيك بقى في الرومانسية
دي كلها ..!

قال مداعبا :

- رومانسية برده؟! ولا ريحه الأكل بتاعي هي اللي جابتك لحد
المطبخ؟!!

ابتسمت فأردفت هاتفة بدلال :

- أكيد .. هو في حد أصلاً في جمهورية مصر العربية بيعمل أكل زي
بابا حبيبي؟!!

أكملا حديثهما الطريف وهما يحضران الطعام، ونقل الأطباق
المملوءة إلى تربييزة السفرة ..

جلس والدهما في مكانة المعتاد، وجلست هي بجواره .. ملاً طبقها
بالطعام قائلاً

- يلا بقى دوقي وقوليلى إيه رأيك؟ .. بيتهيالى من زمان ماقعدتيش

على السفرة معايا..

شردت للحظات وكأنها تذكرت شيئاً ما، ثم استطردت :

- تفكر يا بابا الحقائق اللي عرفتها وأنا بساعد حسن ليها علاقة

بالحلم..!؟

رمقها باستغراب :

- على الرغم من إنك قلتي مش عاوزه تتكلمي في اللي فات.. بس

أكد ليها علاقة..!قلتك ساعتها لو تفكري.. العطش هو الحقيقة

الغائبة عنك..!والصحراء والرجوع للخلف دليل على إن الحقيقة دي

كانت في الماضي.. فترة زواجك!! والقفص اللي هو السجن.. وطبعا

الراجل هو حسن..!؟

- بس أنا عرفت حقائق كثير مش حقيقة واحدة..!

- إزاي!؟

- يعني عرفت اللي قتلوا جوزي...وعرفت يعني إيه إنسان يضحي

بكل حاجة علشان بلده وكرامته.. وعرفت ناس زي الجبال مأثرش فيها

حاجة..!!

- دي كلها يا دكتورة حقيقة واحدة.. تتلخص في حقيقة الصراع

زي ما وصفتي..الصراع اللي أنا متأكد إنه صراع بقاء.. وهيفضل

موجود الفريقين إلى قيام الساعة..وكل واحد فيهم هايستخدم أدواته

وأسلحته..هما هايستخدموا العصا والنار.. والأحرار عدتهم الهتاف

والثورة والصبر والثبات.

- أفهم من كده يا بابا إن مش ممكن يجي يوم والثوار يستخدموا

السلاح هما كمان؟!

- في الوقت دا وفي ظروف زي ظروفنا صعب جدا يستخدموا

السلاح..!لأني في تجارب قدام عينيهم لثوار عملوا كده وانتهي بيهم

الحال للفشل..!وحتى لما نجحوا حملوا السلاح في وش بعض.. وعاوز

أقولك إن خيارات السلمية والثورة البيضاء فرص الوصول للهدف فيها

أكبر بكثير.. وليها تجارب واقعية.. وبعدين مصر « لا حجرٌ يختبأ فيه

ثعلب..! ولا قبيلة يحتمي بها خائف..»

أخرجهما رنين جرس الباب فذهب هو ليفتح..

كان الطارق فتاه في مقتبل العمر يشعر الناظر إليها بالراحة من

البراءة التي تغزو قسماتها الخمرية..!!!

الفصل التاسع والسبعون

(صنيعة المحنة)

حضنتها هبة بقوة.. إشتاقت لها كثيرا في الفترة الأخيرة، لكن منعها من التواصل معها الحالة السيئة التي مرت بها بعد الحادث.. وعدت أخيها أكثر من مرة أن تهتم بشأنها وتكون عوناً لها فيما تريد.. مريم.. هتفت بالاسم ثم ركضت باتجاهها ودفنت نفسها في حضنها وكأنها آتية من زمن سحيق.

شعرت بالدفع بين ذراعيها.. فكلمت أن تكون لها أخت تواسيها وتقف بجوارها.. وحبذا لو كانت كمريم في براءتها وطيبتها.. كانت في البداية تتعاطف معها لظروف وفاة والديها وحبس أخيها ووحدتها في مجتمع لا يعرف الرحمة..!! لكنها الآن وبعد أن رأت ثباتها وصبرها رأتها الأخت المثالية التي كانت تدعوا الله دوماً أن يرزقها بمثلها.. وربما كانت هذه الحفاوة بقدمها أنها اشتمت فيها رائحة حسن..! هذا الذي اقتحم حياتها بدون مقدمات، فاجتذبتها لتحب وتتمني رؤية كل من يحبهم.

- هتفضلوا واقفين كده كثير ولا إيه؟!

أبعدت هبة رأسها فرآها والدها دامعة.. فأردفت مطمئنة :

- أسفة يا بابا.. دي مريم.. نسيت أحكيك عليها.. أخت حسن!!

ابتسم :

- ومين قالك بقى إني معرفهاش..!! أنا اللي نسيت أقولك إنها إتصلت أكثر من مرة على موبايلك واضطريت أرد عليها.. واتعرفت عليها كمان.. وكانت دايمما بتتصل تظمن عليكي.. شكلها بتحبك جداً.
ابتسمت ابتسامة خجولة :

- أكيد طبعا يا عمي.. الدكتورة هبة أختي وليها معزة خاصة في قلبي.. وكان نفسي آجي أشوفها من ساعة ما عرفت.. بس للأسف مقدرتش غير انهاردة..!!

أمسكت هبة يدها ودلفت معها إلى غرفتها مداعبة والدها بدلال :
- طالما جيتي بقى بيتنا، يبقى لازم تدوقي أكل بابا.. علشان تعرفي إنه أحسن طباخ في الدنيا.. بس برده أكل البنهاوية رائع..
قاطعها والدها باسمها :

- انتي عاوزة تنفرد بيها لوحدهك..؟! ماشي يا دكتورة..!! أنا هاعمل إثنين عصير وأجبههم علشان خاطر مريم بس..! وأكيد طبعا هدّوق الأكل بتاعي..

عقدت ساقها على السرير وجلست مريم أمامها ثم قالت :
- قوليلي بقى يا مريم.. عاملة إيه؟! والمذاكرة أخبارها إيه؟!
- الحمدلله الامتحانات قربت.. بس أهو ماشي الحال.. وإن شاء الله خير..

- لسه برده ساكنة مع خالتك..

قاطعتها :

- حسن إترحل من السجن يا دكتورة..!!

إكتسي وجهها بمسحة حزن فقالت بصوت مبجوح :

- إترحل؟! إزاي.. راح فين؟!

- إترحل سجن العقرب (٢) هو ومجموعة كانوا معاه.. فجأة كدة

بدون أسباب..!

بعينين ملأتهما براءة الطفولة قالت :

- طيب هو عامل إيه دلوقتي؟! وبيتواصل معاكي ولا إيه؟!

- لسة لحد دلوقتي مازرتهوش.. بس بيبعت رسائل كل يوم مع الناس

اللي بتزور.. والحمدلله بيقول الوضع أحسن والمعاملة أحسن بكثير من

سجن وادي النطرون..!

تلعثمت :

- هو عارف إني كنت واخده أجازة.. علشان تعبانة؟!.. وما اعرفتش

أتواصل معاه؟

- أيوه أنا بعته رسالة عرفته.. وهو اللي قال لازم أجي أزورك!! وباعت

معايا رسالة مهمة جدا.. ومأكد عليّ أوصلها لك شفوي..

-!!??

- هو عاوز يشوفك ضروري جدا يا هبة.!

- يشوفني؟ طيب إزاي؟

- عاوزك تيجي معايا الزيارة..!

شردت لحظات تفكر في طلبه ثم هتفت :

- ماشي..! أنا هاجي معاكي الزيارة.. والصراحة يا مريم أنا كمان

نفسي أشوفه..!!

ابتسمت

- طالما بقى وافقتي.. في خبر يفرح عاوزة أقوله..!

بحماسة قالت :

- قولي.. أيوه بقى فين الأخبار الحلوة دي من زمان؟!

قالت بخجل :

- إبراهيم طلب إيدي من حسن! وأخويا بعث رسالة قالي فكري

علشان أرد عليه في الزيارة.. بس يعني هوده الخبر..!!

حضنتها هبة فرحة ثم استطردت :

- ألف مبروك يا حبيبتي.. مش قلتلك ربنا هيعوضك خير على

صبرك..

تلجلجت مريم ثم قالت :

- إبراهيم محبوس مع حسن في العقرب (٢) وكان معاه في وادي

النطرون.. وهو ملتزم وابن ناس.. وأنا شففته في الزيارة شكله شاب

كويس..

عقدت حاجبيها مندهشة :

-محبوس؟! مش غريبة شوية كنت فكراه زميل أخوكي بس هو

بره..!

قاطعتها :

- لا هو محبوبس.. وكمان محكوم عليه بـ ٢٥ سنة في تظاهر وتحريض والانتماء لجماعة محظورة.

- ٢٥ سنة؟! إيه ده؟.. كثير جدا.. وهتستني المدة دي كلها؟!

قالت بعينين واثقتين هاتفة :

- ليه يا دكتورة هو هيقضيهم ولا إيه.. إن شاء الله المعتقلين كلهم يخرجوا.. أنا واثقة من كده وعلى يقين إن ربنا هيفرحنا كلنا قريب..!!
لم يعد أمامها مساحات أخرى للدهشة أو الإستغراب.. أصبحت ترى مريم وأخيها نماذج مثالية خلقت لتدهش كل من يراها..

مريم توافق على الزواج من شخص محكوم عليه بالمؤبد..! وتنتظره واثقة من قيام ثورة تعيد الحق لأهله..!

فتاه تضرب أروع الأمثلة في الصبر والثبات، ثم تفعل ما تفعله، لجديرة أن تكون مثالية.. صنعتها المحنة..

المحنة التي صنعت هبة أيضا..! ولكن ما الذي قدمته الأخيرة إلى الآن من هذا الصنيع..؟!

أُتراها توافق على الزواج من معتقل مثلها؟!

راقت لها الفكرة، فعلت وجنتيها ابتسامة ساحرة مشربة بحمرة الخجل..

رحلت مريم وتركتها تعد الدقائق الباقية على الزيارة.. لكم تشتاق

إليه؟

كيف ستكون المقابلة هذه المرة؟!
عما تتحدث معه؟ وما الأمر الضروري الذي طلبها من أجله؟
لم يبقى على موعد اللقاء إلا يوم واحد..!
ليته يمر غمضة عين..!!

٢٠١٦/١٠/٢٥

عقد المؤتمر الأول للشباب بحضور الرئيس في مدينة شرم الشيخ

٢٠١٦/١١/١

تشكيل لجنة العفو تنفيذاً لتوصيات المؤتمر الأول للشباب.

٢٠١٦/١١/٥

اللجنة تعقد أولى إجتماعاتها اليوم برئاسة الدكتور أسامة

الغزالي حرب

الفصل الثمانون

(أمك ظروفها إليه..!؟)

الخميس ٢٠١٦/١١/٥ م

سجن العقرب (٢) - عنابر التسكين

الساعة العاشرة صباحاً

جلس حسن صباحاً عاقداً رجليه في جلسة مستريحة أنسته ضيق مكانه في سجن وادي النطرون.. فهناك كان لا يستطيع أن يجلس هذه الجلسة فمكان النوم هنا ضعف المساحة السابقة..!

فرد جورنال (المصري اليوم) على مصرعيه وبدأ يقرأ العناوين العريضة الهاتفة باسم النظام الرحيم ذو القلب الحنون الذي سيفرج عن اثنين وثمانون شاباً من عشرات الآلاف القابعة خلف القضبان ظلماً وعدواناً..

لا أحد يتحدث إلا في هذا الموضوع المستحدث..

أصبحنا مجرمين حقاً نستحق عفواً عما أجرمناه في حق هذا

الوطن..!!

دلف إبراهيم باتجاهه قائلاً :

- إيه الجرايد دي فيها جديد ولا زي كل يوم؟!

- كله عمال يطبل ويغني بموضوع لجنة العفو... بيتهيألي معظم

المقالات في نفس الموضوع..!

قاطعته :

- تفكر إحنا ممكن نخرج في العفوده ؟!

ابتسم بسخرية :

- بيقولك يا بني اللي ماشاركوش في العنف..!

قطب جبينه لأعلى مردفا :

- طيب ما إحنا ماشاركناش في العنف يا جدع..

- يا سلام.. دا على أساس أنهم ماسكنا واحنا بنصلي.. انت مش

ممسوك من مظاهرة في الشارع.. وأنا ممسوك من مظاهرة..؟!

- إيه بقى العنف في كدا..؟! ولا على رأيك محدش عارف هايمشوها

إزاي؟!

هتف حسن :

- محدش في البلد دي بيمشي يا هيما.. كله أولا وأخيرا بأيدي

النظام.. يعني ما تستبعدش إنه يخرج في فترة إخوان كنوع من المراوغة

السياسية..! وممكن يخرج شباب علشان يرضي اللي بره..!! ويقلل

السخط الدولي..! ملهمش قوانين ولا ثوابت..!

صاح خالد :

- إيه انتوا لسه قاعدين؟! يلا ياعم انت وهو قوموا جهزوا نفسكوا..

الزيارة انهاردة.. أول زيارة في الفندق اللي إحنا عايشين فيه ده.. يلا

الحمامات فاضية..!!

همس حسن موجهها كلامه لإبراهيم :

- تفكر هاتيحي يا هيما؟!

لمعت عيناه فأجاب :

- أكيد هاتيحي.. بعد كل اللي حاكيته عنها.. أنا متأكد إنها

هاتيحي.. أهم حاجة دلوقتي مريم توافق..

ضربه على كتفه بخفة مداعبا :

- مريم كده حاف..!! لاحظ إنك بتتكلم على أختي.. ماشي..

وعينك متجيش عليها طول الزيارة.. يا إما هتشوف العين الحمراء..

إفكر الأولى لك والثانية عليك يا شيخ..!!

قاطعهما خالد ساخرا :

- أنا أول مرة أزور معاك يا إبراهيم.. أمك ظروفها إيه؟!

وثب من مكانه معنفا :

- إيه يا خالد الكلام اللي بتقوله ده..!!

- مش قصدي يا أخي.. قصدي أمك بتسلم ولا إيه؟! علشان أما

أجي أسلم على أهلك مافلشني مادد إيدي كثير.. أنا بتخرج يا أخي..!!

ابتسم :

- أيوه أمي بتسلم على العيال اللي زيك.. إنما الرجالة الكبيرة لأ..!

قطع الحوار نداء الاسماء إستعداداً للزيارة.

الفصل الحادي والثمانون

(انتي إسمك حورية)

الساعة الثانية ظهراً

قاعة الزيارة

قاعة الزيارة أفضل حالاً من سابقتها في التهوية وسعة المكان...

نادى المخبر عليهم بالقرب من الباب :

- يلاً يا شيخ.. يلاً يا أستاذ..

دلف الطابور إلى باب القاعة..

آثار الابتسامة والبشرى تملو الوجوه.. الملابس مهندمة والمظهر

العام طيب..

الشعر كما هو لم يخلق.. الكل يحمل في يده هديته الخاصة، أساور

وعقدان وخواتم صنعوها بأنفسهم من خرز الكريستال.. وورود صنعت

من ورق الكورشييه والمناديل الملونة؛ يريدون إيصال الرسائل لذويهم

أنا هنا أحسن حالاً من السابق.

فلا تشغلوا أنفسكم بنا..!

مهما كثرت الأحكام وطالت المدة ففرج الله قريب، ونصر الله آت

لا محالة..!

ركض إبراهيم باتجاه زائريه.. أمه ووالده.. وتبعه خالد ركضاً حين

لمح زوجته وبنته.. أما حسن فما زال يطوق بناظره القاعة باحثاً عن
مريم وهوريته..

نادته مريم من أقصى القاعة لما رآته يلتف حول نفسه تائهاً..
جرى نحوها مبتسماً ابتسامه، خفت قليلاً لما رآها وحيدة..!!
أينها الحورية؟!!

أتراها موجودة ولم تظهر كالملائكة؟!!

لكنها ظهرت من قبل ورآها بنفسه هناك..!!

سلم على أخته واحتضنها بقوة.. كم أشتاق لها؟!!

لم ينتهي بعد حتى دقت بطرف أصبعها على كتفه..

التفت فرآها..

تلاقت الأعين في حديث طال..

تمنى لو ضمها بين ذراعيه..

تلثم محركا شفتاه.. لا يستطيع تجميع حروفه..

ابتسمت..

بث له سحر عينيها الخضروان.. شعاع خارق علّه يستمد منه

القوة..! فيستطيع!

تكلم!!

كادت أن تحرك بيدها شفتاه حتى ينطق..!

رفعت ذراعها وهي تشير له بشئ في يدها..

« أنااااا.. أتأخرت علشان الظابط مكنش راضي يدخل الرواية..

بس أنا استأذنته ووافق في النهاية»

تدخلت مريم لتفك طلاسمه كي ينطق :

« إحنا هنقضي الزيارة كلها واحنا واقفين؟! ... نقعد!!»

جلس حسن في الوسط بينهما .. اطمئن أولاً على أخته وما إذا كانت رسائله وصلت لها أم لا؟ .. سألها عن ما حدث في الفترة الأخيرة .. عن المذاكرة .. الامتحانات .. ثم عرض عليها موضوع إبراهيم وأنه سيأتي الآن ليسلم عليهم ويراها .. أخبرها أنه سمح له أن يجلس معهم حتى تتعرف عليه وتأخذ فترة لترد ..

وبالفعل حين لمحهم إبراهيم، أتى إليهم خجلاً، تعرف عليهم فدعاه حسن للجلوس، والحديث معها .. ففعل ..

تركهما واتجه لحواريته ...

- إزيك ..

احمرت وجنتيها خجلاً وهي تقول :

- الله يسلمك ..

طارت الحروف من قبله مختزقة شفثاه

- وحشتيني ..

رفعت حاجبيها ودندنت بخفوت دون أن تنظر إليه

- وانت كمان ..

اتسع بؤبؤ عينيه فقال :

- أكثر حاجة زعلتني وأنا مترحل إني مش هاشوفك تاني..

رمقته بنظرة حانية ملؤها الأمل

- إن شاء الله تخرج قريب و....

قاطعها :

- وأشوفك على طول..!!

عدّلت نظارتها بطرف اصبعها وأومات برأسها.. فاستطرد :

- تعريفي أنا من أول يوم شفتك فيه وأنا سميتك حورية..! لأنك فعلاً

حورية وجت من الجنة علشان تخلي كل حاجة جنة حتى السجن..

ابتسمت بطفولة أطرها الخجل

- ماشي خلاص اسمي حورية!!

بادلها الابتسامة مردفا :

- فاكرة أول يوم شفتك فيه؟.... كان نفسي أشوفك تاني.. بس

للأسف دورت كثير ومعرفتش أوصلك..

همس برقة إذابة الألام :

- مش مهم يا حسن اللي فات.. المهم في النهاية إننا شفنا بعض

واتقابلنا من تاني..!!

قاطعها :

- في كلام كثير نفسي أحكهولك علشان تعريفي إن ربنا جمع بينا من

تاني.. وحوطك في طريقي وفي مكان عذابي، علشان تبدأ فترة جديدة في

حياتي، أحسن من كل اللي فات..

- بكره هاتخرج إن شاء الله، وهاتحكي كل حاجة.. وأنا أكيد كمان نفسي أسمعك.. وأتكلم معاك.. وعاوزة أقولك إنك بردو نقطة تحول كبيرة في حياتي..

دس يده في جيب سترته وأخرج خاتم من خرز الكريستال اللامع.. ومسك يديها على استحياء، فسلمته طواعية أطرافها وهي تنظر إليه بعينين حالمتين كاد معها الدم أن ينفجر من وجنتيها الحمروين..

ألبسها الخاتم الزهيد ثم طبع قبلة في قلب راحتها، فأردف باسمها :
- أنا بحبك.. وعاوز أتجوزك يا حورية..

قبضت بشدة على يده خجلاً.. موافقة دون أن تبس ببنت شفاه.
فوضع يده الأخرى فوق يديها فاستطرد :

- أنا عرفت كل حاجة عنك من مريم.. وفرحت جداً في المستشفى لما قلت إنك خدتي الكشكول بتاعي منها علشان تقرأيه..!
قاطعته بعينين رقيقتين :

- قرأته.. جميل.. انت فعلاً موهوب يا حسن.. وأنا إديت كتاباتك لبابا وهو قال إنك موهوب وهيساعدك..! هو وعدني بكده
- هيساعدني ازاي؟!

ابتسمت :

- بابا مجدي الغراب..!

قطب جبينه لأعلى :

- مجدي الغراب؟!.. الكاتب الكبير؟!

أومات برأسها إيماءة خفيفة

- أيوه.. وكمان قرأ القضية بتاعتك وقالي أن فرصتك في العفو

كبيرة جدا وهايدي اسمك للجنة العفو..! هو عارف كل أعضاءها..

لم يرد أن يكتب أمها البادي في ملامحها فأردف باستقطاب :

- إن شاء الله...

اقترب خالد منهم فقال ساخراً :

- أنا مش جاي أسلم.. أنا جاي أسأل سؤال.. الناس دي ظروفها

إيه! بتسلم؟! ولا هتقيموا على الحد..

وثب إبراهيم من مكانه واضعاً يده في كفه الممدود، ثم سحبه ومشى

بعيدا..

نظر بعدها حسن لأخته :

- إيه رأيك؟ موافقة؟!

قاطعته هبة حتى تدفع عنها الإحراج :

- هي لحقت.. سيبها تفكر براحتها.. وبعدين معاها لحد بعد

الامتحانات.. براحتها! هي أي حد ولا إيه؟! دي مريم الحداد يا

فندم..!!

ابتسم حسن حين رأى ثقتها وهي تتحدث كأنها أصبحت من

عائلتهم..

دوت صفارة إنهاء الزيارة في القاعة..!

قام الجميع..

سلم حسن على مريم واحتضنها، ثم تقدمت هي خطوات نحو باب

الخروج وتركتهما..

وقف في مواجهة هبة وأمسك بيديه يديها

- هشوفك ثاني أكيد..

أومأت برأسها وقد اغرورقت عيناها بالدموع :

- أكيد.. خلي بالك من نفسك يا حسن..

- أكيد من هنا وجاي هخلي بالي من نفسي، علشان في حورية زي

القمر بره مستتياني..

طأطأت رأسها خجلا.. فرفعها بأطراف أصابعه وحدق في سحر

عينها :

- وانتي خلي بالك من نفسك يا حبيبتي..

حاملة قالت :

- ابقى إكتبلي يا حسن.. إكتبلي جوابات كتير.. وإبعثلي كل يوم

رسالة.. مع الناس اللي بتزور.. أنا كتبالك رقم موبايلي في غلاف

الرواية..

- ماشي حاضر.. هاكتبلك.. وعاوزك تخلي بالك من مريم..

ملهاش غيري وغيرك دلوقتي..).

- مريم أختي يا حسن.. زي ما هي أختك بالضبط..

رتب المخبر على كتفه من الخلف :

- يلا يا أستاذ الزيارة خلصت عاوزين نتمم..
تركته يمشي، ومشيت هي بخطوات متناقلة نحو الباب، وعيناها
مازالت تتبعه حتى تلاشى خلف الباب الداخلي.. عائدًا إلى سجنه..

٢٠١٦/١١/١٤ م

- المجلس القومي لحقوق الإنسان يرسل قائمة بـ ١٠٠٠ شاب
مسجون للجنة العفو.

- أحد أعضاء لجنة العفو استبعد كل من لوّث أيديهم بالدماء.

- الإفراج عن القائمة الأولى خلال ٧٢ ساعة.

٢٠١٦/١١/١٧ م

- الرئاسة تصدر عفو شامل عن ٨٢ شابًا.

- مصلحة السجون سيتم الإفراج الفوري عن الشباب الذين
شملتهم القائمة من بوابات السجون مباشرة.

- الأهالي ينتظرون أبناءهم المفرج عنهم أمام سجن طره
ويستقبلونهم بالزغاريد ودموع الفرح.

- مصدر رئاسي القائمة الثانية خلال شهر.

الفصل الثاني والثمانون

(الغمامة الزرقاء)

الجمعة ٢٥/١١/٢٠١٦

الساعة الثانية عشر ظهراً

سجن العقرب (٢)

فتح الشاويش باب الزنزانة ونادى بصوت جهوري

« حسن الحداد»

فرد عليه حسن :

«أيوه...»

- إلبس أزرق وتعالى علشان عاوزينك بره..

- ليه؟!

- مش عارف.. عاوزينك في المكاتب..

ارتدى حسن سترته الزرقاء فهمس له خالد :

- حسن النهارده الجمعة ومفيش موظفين أصلاً في المكاتب، أنا

شاكك إنهم ممكن يودوك التأديب..

لو مجتشي بعد نصف ساعة هانخبط..!!

مشي الشاويش وتبعه حسن وعلامات القلق تغزو وجهه.. وجد أحد

المخبرين يقف على باب العنبر، فاصطحبه حتى مبنى الإدارة..

في داخل المبنى المكون من الطوابق الأربع وبالتحديد في الطابق

الثالث.. سلم المخبر حسن لأمين شرطة

يبدو أنه ليس من مخبرين السجن من منظره وطريقة كلامه، وأمام

غرفة مكتب المأمور قال الرجل بحزم

- إقّلع..!!

سلت حسن السترة وشرع في خلع التيشرت الداخلي الأبيض الذي

يرتديه فأشار له، كفى.. أمسك منه السترة وعصّب عينيه ثم حرّك

يده أكثر من مرة أمام عينيه ليتأكد من أنه لا يرى شيئاً.. ولما انتهى من

الإجراءات التي يبدو أنه يحفظها جيداً، سحبه من يده وأعادته لنهاية

الممر ثم سلمه في الطابق الرابع..

طرق الرجل باب إحدى الغرف.. فسُمح له بالدخول.. فأجلس حسن

على إحدى الكراسي بجوار الحائط.. وتركه معصوب العين ورحل..!!

دقائق وسمع صوت ديبب لحذاء رجل يطوف حوله في الغرفة..

يبدو أنه كان موجوداً من البداية ولم يره..

سمع بعدها صوت ولاعة اللهب.. كان يشعل سيجارته..!

تأكد من ذلك حين اخترق الدخان جيوبه الأنفية.. وأحس بالحرارة

حين اقترب الرجل ونفث دخانه بجوار أذنه..

ما الذي يحدث؟!

عرض أمن دولة؟!

لم يحدث ذلك من قبل في السجن..!

فالسجن مكان لتنفيذ الأحكام وليس مكان للتحقيقات.. وإن كان
كذلك فلما عصبت عينيه طالما أن القضية انتهت ولا يفيد كلامه في
شئ..!!

كما أنهم يفعلون ذلك حين يعذبون المتهم ليذلي بأقوال ربما لا
يرتكبوها، حتى لا يتعرف على معذبه..!!
واليوم لا أقوال ولا تعذيب..!
فلما هذه الغمامة الزرقاء..!
قال الرجل بصوت بدا بعيد كأنه جلس في نهاية الغرفة خلف مكتب
طرق عليه

- اسمك.. سنك.. عنوانك.. مؤهلك؟!

أجاب :

- حسن محمد الحداد.. ٢٩ سنة.. بنها قليوبية.. بكالوريوس
هندسة كهرباء باور..

باغته بصوت غليظ

- انت من الإخوان؟!

- لأ...

- يعني مبتتعدش في أسرة؟!

- قلت لحضرتك أنا مش من الإخوان أصلا.. فهاقعد في أسرة

إزاي..

- عارف أهو يعني إيه أسرة؟!

- طبعي.. مسجون بقالي أكثر من سبع شهور في زنزانة نصها
إخوان.. أكيد عرفت يعني إيه أسرة..

- مين مسئولك في السجن؟

- أنا مسئول نفسي..

- الإخوان معرضوش عليك تتضم إليهم؟

- ممكن يكونوا عرضوا بطريقة غير مباشرة.. بس أنا مش مقتنع
بفكرهم أصلاً..

- آمال مقتنع بإيه؟

- مقتنع إن من حقي يكون ليا فكر ورأى ومحدث يحجر عليّ ولا
يسوقني..

قاطععه بحدّه :

-الفكر اللي انت شايفه.. إن النظام مستبد وظالم وانت حامل رؤية
الحق صح؟

-كل حاجة يا باشا فيها الحلو والوحش وممكن أكون شايف زي ما
حضرتك قلت..

بس برده أنا شايف إن جوه النظام ناس محترمة وبتراعي ربنا
فينا..!!

هتف بالقرب من أذنه :

- ٣٠ يونيو ثورة ولاّ إنقلاب؟

أجاب :

- ثورة أساء لها بعض الأشخاص..

- كلامك بيقول إنك فيك بذرة إخواني؟

أجاب :

- يا فندم أنا قولتلك مش إخوان ولا عمري هاكون..

سأله :

- نزلت مظاهرات ليه؟

- لما شفت الدم مالي الشوارع، والكل في الآخر خسران..

- عاوز تخرج من السجن؟

- أكيد.. مفيش عاقل يحب السجن..

- عاوز أقولك إن اسمك في قائمة العفو اللي جاية بس شكلك

دماغك ناشفة؟

- أنا مش شايف أي نشوفية دماغ يا باشا.. حضرتك بتسأل وأنا

بجواب بصدق..

- متأكد إن اللي بتقوله ده الصدق؟

- متأكد..

ثم تركه الرجل وعاد للمكان من جديد، بعدها سمعه حسن وهو

يتحدث في الهاتف مع شخص ما ويقول بصوت مرتفع قاصدا أن

يسمعه :

«خلاص يا باشا.. دماغه ناشفة.. ومش عاوز يتعاون.. بقول

نشطب اسمه ونخرج واحد من الناس بتعتنا....»

اقترب منه وهمس :

- عارف يا حسن لو كلامك كان كذب أنا هاعمل فيك إيه؟!؟

هاجيبك ..

قاطعه :

- يا باشا إيه مصلحتي من الكذب.. القضية خلصت واتحكم علي..

وانتهى الموضوع..!

قهقه الرجل ثم قال وهو يغالب الضحك :

- لا دا انت مش فاهم..! المرة اللي فاتت حكمتنا عليك بـ ٣ سنين..

المرة اللي جاية في ٧..١٠ ..٢٥ .. وإعدام..

أحس حسن بتغير لهجته في الحوار فأراد أن يغير الكلام :

- أنا عاوز أشرب يا باشا..!

- خلاص هاتمشي وترجع عنبرك ابقى اشرب هناك.

سمع حسن خطواته وهو يترك المكان..

دخل بعد ذلك أمين شرطة فهمس في أذنه :

« ربنا يفكها عليك وعلينا»

أنزله في الدور الأرضي وخلق عنه العصا..

ثم عاد لزنزانتة.

٢٠١٦/١٢/١ م

- عضو بلجنة العفو.. القائمة الثانية ضعف أعداد الأولى.

٢٠١٦/١٢/١١ م

- تفجير في الكنيسة البطرسيية في العباسية أسفر عن ٢٩ قتيلًا و ٤٥ مصاب.

- انتحاري وضع حقيبة سوداء أسفل مقعد البابا.

- وزارة الداخلية.. الانتحاري كان محبوسا على ذمة قضية الانتماء لجماعة محظورة وتم إخلاء سبيله من عامين وسافر لسيناء.

٢٠١٦/١٢/١٥ م

- مصدر رئاسي.. رجوع قائمة العفو مرة ثانية للجنة لاستبعاد العناصر الإخوانية.

- عضو بلجنة العفو.. القائمة الثانية تخلو من أي إخواني سواء شارك في العنف أم لم يشارك.

٢٠١٦/١٢/٢٧ م

- الرئاسة تتسلم قائمة العفو الثانية من اللجنة لفحصها وتوقيعها والتصديق خلال ٧٢ ساعة.

٢٠١٧/٣/١ م

تساؤل يتصدر مقالات الرأي..

- أربع شهور منذ إصدار القائمة الأولى والـ ٧٢ ساعة لم تنتهي

بعد؟!

الفصل الثالث والثمانون (الفيديو Video)

الأربعاء ٢٠١٧/٣/١ مساءً

سالت دموعها على شاشة هاتفها وهي تشاهد فيديو أرسلته إحدى صديقتها إلى صفحتها على الفيس بوك..
(لا تقتلوا طفلي..)

ميدان واسع تحيطه عمارات عالية من كافة الاتجاهات.. أربع شوارع تقاطعت في شكل صليبي أوقعته في المركز.. منظر من أعلى التقطته طائرة تحلق على إرتفاع منخفض.. على إحدى المداخل مجموعة من الشباب، مقنعي الرؤس ارتقاءً للغاز المسيل للدموع، دخان كثيف حجب عن الأعين رؤية الشمس..! كلما خبي سُمعت طرقعة قنبلة جديدة ارتطمت بالأرض فازداد السعير.. صرخات من حناجر مبسوطة.. وصيحات عبر مكبرات الصوت للمقتحمين، تداخلت مع إستغاثات آتية من المنصة الرئيسية للاعتصام..
«على كل المعتصمين داخل الميدان، المغادرة فوراً.. إعلاءً لمصلحة الوطن.. حفاظاً على الدماء.. يوجد مخرج آمن.. شارع الطيران.. لم

يتم القبض على أحد..!!»

وعلى الجهة الأخرى :

«أيها الثوار.. اثبتوا.. قابلوا الرصاص بصدوركم العارية..! لا

تتركوا أماكنكم..

حرروا أوطانكم من دنس الطغاة..! من مات مدافعاً عن أرضه فهو

شهيد..!!

لن يرهبون.. صامدون.. ثابتون..!!»

فريقان يختصمان..

وفي قلب الميدان.. نداءات.. استغاثات.. دماء.. قتلى.. حريق..

دموع.. صراخ.. أشلاء.. نساء متشبثات بأزواجهن لا يردن تركهم

وحدهم في صدارة الصفوف.. رجالٌ يتوسلون إلى زوجاتهم أن يرحلوا

قبل اقتحام الميدان..

ومن الأمام تتقدم قوات الشرطة بخطوات ثابتة محتمية خلف

المدرعات والسيارات المصفحة.. أخفاها بوندوزر يحمل في قبضته كل

ما يعترض طريقه.. خيام.. حواجز.. جثث.. أشلاء.. يفصح الطريق

أمام الجنود، وتتصدر قبضته الحديدية حال الخطر وجه الحجارة

والمقذوفات النارية (المولوتوف) ..

الشمس بدأت تتوارى خجلاً.. عندها هدمت الحواجز.. واقتحمت

القلاع.. وأحرقت المنصة بما فوقها وما تحتها.. ملئت رائحة الشواء

المكان.. أصبح أثراً بعد عين..

زاد بكاءها وتلهفت لتكمل الفيديو إلى آخره.. تنتظر أن تري شيئاً
ما..

الدقائق الثلاث قبل الأخيرة.. حدقت مريم في شاشتها...
التقطت عدسة مصور الفيديو من بين شجرتين، امرأة تجلس
القرفصاء، تستند على حائط تساقطت دهاناته، تحتضن طفلة
رضيعة.. تبكي بحرقة مرتعشة أطرافها كمن اهتز جسده من شدة
البرد..

غطاء رأسها وارى جزء من شعرها وتناثر الباقي بعشوائية على
طرفيه من الخارج يحركه الهواء يمناً ويسرة، وتتخلله رائحة الدخان
المسيل للدموع.. تصرخ طفلتها فتربت على صدرها.. كي تهدأ..!
لكن أنّ لها ذلك وقد بدت فزعة مضطربة النفس والأركان..
ثبتت مريم الفيديو.. كبرت الصورة.. وباعدتها.. وثبت من جلستها
وارتكزت على ركبتها ثم لطمت خدها صارخة.... سارة.. زوجة
حسن.. الطفلة..!

لم يبق من الوقت إلا ثلاث دقائق..

ما الذي سيحدث؟!

ما زال المصور مركزاً عدسته على مشهد المرأة وطفلتها..
رفعت سارة رأسها محدقة في شئ بعيد..! بدت وكأنها تراه عن
قرب..

لحظات وظهرت في منتصف جبهتها نقطة حمراء..

أغمضت عينيها..

تلاشت دموعها..

فاخترقت رصاصة الغدر رأسها وعدت للجهة الأخرى..!!

الطفلة تزداد صراخاً..

ومريم تؤازرها وكأنها تراها رأى العين..

مالت سارة بجسدها للأمام وسلمت روحها لخالقها.. فارتمت

الطفلة بين فخديها وبطنها..!

تمنت مريم لو اخترقت شاشة الهاتف واحتضنتها لتقيها من

الغدر..!!

بقي على انتهاء الفيديو دقيقتين.. مائة وعشرون ثانية

اللقطة كما هي وكأنها تتكرر..!

عشر ثواني مرت..!

ثم ظهرت امرأة تحمل كيس بلاستيكي أسود اللون.. تسللت من

بين الشجرتين مروراً بالحائط.. جذبها صراخ الطفلة.. ترددت..!

خطوة للخلف ثم خطوتين للأمام.. ثم رجعت حيث الطفلة

الصارخة..!

سلكتها بعد أن باعدت ذراع حاضنتها عنها..

حملتها مضطربة وهي تنظر للوراء، حتى تتأكد أنه لا يراها أحد..

ظهر وجهها واضحاً في هذه اللقطة..

ثبتت مريم الشريط مرة أخرى..

طبعت صورة وجه المرأة وهي تحمل الطفلة وحفظتها على

الهاتف..

ربما تساعدها فيما بعد في الحصول على طفلة أخيها..

استكملت مشاهدة الفيديو.. لم يبقى سوى خمسة عشر ثانية..

ركضت المرأة خفية بالطفلة وأعطت ظهرها للكاميرا..

لحظات واشتعلت النيران في الشجرتين أكلة الأخضر واليابس..

شاشة سوداء.. انتهى الفيديو..

فسارعت مريم إلى الاستوديو تنظر الصورة المحفوظة به علها

تدلها على ما تريد.

الفصل الرابع والثمانون (الطفلة)

الخميس ٢٠١٧/٣/٢ م

الساعة التاسعة صباحاً

مستشفى سجن وادي النطرون

عادت إلى عملها في مستشفى السجن بعد انتهاء الأجازة المرضية.

لم يكن الوضع كالسابق!!..

الحيطان تنكرت في ثوب جديد..!

والوشوش تغيرت..

عُين مدير جديد للمستشفى.. رجل وصفوه بالجدية ويقظة

الضمير..

خُزن حاتم في زنزانه وصدر ضده قرار بعدم العمل في المستشفى

مرة أخرى..!

كما أضيف إلى ملفه قضية من الداخل، بعد أن تم ضبطه وهو يوزع

برشام مخدر على النزلاء..!

قادتها قدماها إلى غرفة العزل.. فتحت الباب.. لا أحد.. السرير

خالي.. والنوافذ موصدة غطتها الستائر..

شهدت هذه الغرفة حكايتها مع حسن.. تذكرت عناده في أول لقاء..

غضبه.. ثورته.. بسمته في لقاءهما الثاني وهو يعاكسها ويعتذر لها عما بدر منه.. خوفها وهي تعطيه المذكرة والقلم كي يكتب جواباته..

أخرجها من ذكرياتها الجميلة صوت وقور جاء من خلفها..

- سلام عليكم يا دكتورة..

التفتت باتجاه الصوت قائلة :

- وعليكم السلام..

- أنا محمود المسير الجديد.. مكان حاتم..

أومأت برأسها متفهمة فاستطرد :

- أنا مسجون سياسي.. كنت طالب في رابعة صيدلة.. وأكد هكون

ممرض ناجح..

استغربت :

- بس اللي أعرفه إنهم ماكنوش بيوافقوا يشغلوا مسير سياسي

خصوصا في المستشفى.

أكمل :

- الوضع دلوقتي بقى أحسن.. والإدارة الجديدة متفهمة الوضع..

وبتعاملنا باحترام.. وسمحوا لينا بمسير في الزيارة علشان يتابع

التفتيش ومسير في المستشفى يخرج المرضى.. رئيس المباحث الجديد

وعدنا بمكتسبات أكثر طول ما الوضع هادي..

ابتسمت :

- ماشي يا دكتور محمود.. بالطبع هنستفاد منك جدا.. ولو عزت

أي حاجة ياريت ماتترددشي تطلبها مني على طول.. ممكن تعتبرني
أختك..!وياريت تعتبر دي مستشفى بره السجن..!!

ابتسم لها شاكراً وانصرف..

فدلفت إلى مكتبها، وفي طريقها ألقت نظرة سريعة على عنبر
المرضى..

سرير عمر وحسن خاليان.. تلك المسافة التي مسك فيها يدها..
وانصاعت لطلبه طواعية.. وساعدت مريض ربما ينجو من الموت
بفضل التحليل..

تساءلت في نفسها :

ياترى ماذا حدث لعمر الآن؟!

لم تتابع حالته منذ فترة؟!

عادت أدراجها إلى مكتبها وتناولت هاتفها وطلبت رقم والدته،
فطمئنتها عليه، وأنهم سمحوا لهم بعلاجه على نفقتهم الخاصة،
وبالفعل تم نقله في الحال إلى مستشفى خاص، تحت حراسة شديدة،
وأوقات يسمحوا لوالدته بالبقاء بجواره..وأبلغتها أن نقابة الأطباء
تدخلت وطالبت بالإفراج الصحي عنه نظرا لخطورة الحالة.. وهم الآن
في انتظار خبر العفو الصحي، ليسافر إلى الخارج ويكمل علاجه.

أنهت المكالمة معها، وشرعت أن تتصل بمريم لتطمأن عليها هي

الأخرى وعلى مذاكرتها..

يبدوا أن القلوب عند بعضها...

أنيرت الشاشة برقم مريم..

فبادءتها بالكلام :

- تعريفي.. كنت والله هتصل بيكي دلوقتي..

بصوت باكي :

- أنا عاوزة منك طلب يا هبة :

- بطلي بس عياط.. وقوليلي في إيه.. وأنا هاعملك كل اللي انتي

عاوزاه...

قالت مريم :

- قدرت الأقي خيط ممكن يوصلنا لبنت حسن..

هتقت هبة بحماسة :

- إزاي؟

- في فيديو شفته إمبراح على الانترنت لفض إعتمام رابعة.. وفي

آخر الفيديو شفت مشهد لسارة لوجة حسن.. والبنت كانت معاها..

عايشة..

قاطعتها :

- طيب الحمدلله إنها عايشة.. دا أهم شئ.. وبعدين؟!

- فضلت حاملة البنت لحد ما ماتت.. وفي آخر دقيقة شفت ست

جت شالت البنت من بين رجلها ومشيت..

- ست؟! طيب الست دي انتي تعرفيها؟

- لأ.. بس أنا طبعت صورتها من الفيديو.. معالمها واضحة وممكن

أي حد يتعرف عليها..

- اوك.. ابعتي لي الصورة وأنا هاتصرف..

بكت من جديد وهي تقول :

- الست دي بتيجي عندك السجن..!!

- !!!!!

- مرة وأنا بزور حسن جت طفلة صغيرة، عندها حوالى تلت

سنين.. واديته كيس شيبسي وقالته «عمو.. عمو.. ممكن تاخذ كيس

الشيبسي ده وتخرج بابا معايا!» فحسن سألها فين بابا.. شاورت على

مسجون جنائي وزوجته كانت بتزوره..!سألها حسن وراح باتجاههم

وإدهم البننت.. وأنا فضلت أشاور ليها طول الزيارة ولما خرجنا سلمت

عليها وكانت مش عاوزة تسيبني..

- قصدك تقولي إن الست بتاع الفيديو، هي اللي انتي شفيتها في

الزيارة..!

- أيوه هي..!

- والطفلة؟!

- وارد جدا يا هبة إنها تكون بنت حسن.. المهم اللي أنا متأكدة

منه.. إن الست دي كانت في الاعتصام وهي اللي شالت البننت.. أنا

شوفتها..

- طيب الست دي كانت في الاعتصام بتعمل إيه؟! وانتي بتقولي إن

جوزها جنائي..! وكمان خدت البننت ليه؟ وليها مسلمتهاش للشرطة..

قاطعتها :

- مش عارفة... مش عارفة....

- خلاص هدي نفسك دلوقتي.. أنا هاتصرف وهاحاول أوصلها..!

ماشى..

أغلقت الهاتف..

دقائق وأرسلت لها مريم الصورة على واتس أب.. فنظرتها.. كانت

واضحة المعالم كما وصفت..

فوئبت من مكانها وركضت باتجاه بوابة السجن..!

كانت الشاويشة منال منهمكة في تفتيش الزائرات حين اقتربت

منها هبة وجذبتها إلى إحدى الأركان.

رفعت هاتفها وأنارت الشاشة ثم قالت :

- تعري في الست دي يا منال؟

حدقت في الشاشة ومالت برأسها يمينا وشمالا، تنظرها من كافة

الاتجاهات

ثم هتفت :

- أيوه أعرفها.. دي أم نورة.. مرات السيد البرعي.. مسجون هنا

ومحكوم عليه بتأييدة في قضية مخدرات..!

- عارفة عنوانها؟

- لأ.. هاعرف عنوانها منين.. أنا بس عارفاها من الزيارة.. ست

إيديها فرطة وبتدفع كويس..

- يا منال!.. بقى انتي ماتعرفيش عنوانها؟!
- واللّه ما أعرف يا دكتورة.. أكيد لوها عرف مش هتأخر عليكي..
انتي عارفة؟..

- ميعاد زيارتها إمتي؟
عدت على أصابعها :

- يعني ميعاد زيارتها الأساسية بعد بكرة..!!
دست يديها في سترتها وأخرجت خمسون جنيها ودستها في ستره
منال..

- عاوزاكي لما تيجي الست دي الزيارة، تبعيلي.. أنا هاجي بعد
بكرة المستشفى وهاكون موجودة من بدري.. ابعتي أي حد..
مدت يديها لها مرة أخرى بالفلوس :

- عيب يا دكتورة.. من غير أي حاجة خالص.. حاضر من عينية
أول ما تيجي هبعثلك..

ابتسمت هبة وربتت على يديها كي تأخذ الفلوس ولا تردها..
وعادت مرة أخرى إلى المستشفى...

الفصل الخامس والثمانون (البئر- الحبل المقطوع- الطفلة)

السبت ٢٠١٧/٣/٤م

الساعة الثامنة صباحاً

قسم شرطة السادات

بعد مرور يومين..

وقفت منال في مكانها الطبيعي للتفتيش على بعد أمتار من المخبرين
المسؤولين عن محطة التفتيش الأولى.. لمحت أم نورة آتية من بعيد
فانتظرتها على أحر من الجمر.. ستفتشها أولاً وتقبض المعلوم ثم
تتصل بهبة بعد ذلك، أهم حاجة دلوقتي المعلوم..!!

تأخرت أم نورة كثيراً في محطتها الأولى أمام المخبرين..! ربما
حدث شئ ما..!؟

كانت تتحدث معهم متوسلة.. فجأة علا الصوت.. ودفعها أحدهم
إلى الحائط.. ورمى آخر بشنطة الزيارة في مكان بعيد..

تقدمت منال باتجاههم..

فأشارت لها بأطراف أصابعها، كأنها تقول :

«إنهي معهم الأمر.. وأنا سأدفع»

سألت عنها أحد المخبرين :

- في إيه؟.. الست دي واقفة كدة ليه..!؟

صاح :

- الهانم مهربة لجوزها برشام في الأكل..!

لوت شفيتها :

- طيب هاتعملوا معاها إيه..!؟

- هانعمل محضر دلوقتي.. وهاتروح القسم علشان تتعرض على

النيابة..!!

عادت منال إلى مكانها وقد بدا عليها علامات خيبة الأمل، لم تستطع أن تقدم لها شيئاً.. طالما مخدرات لوت دخلت سبتهم بمساعدتها ومشاركتها في الجرم.

بعد حوالي ساعة حضر بوكس من قسم السادات وحملها مكبلة

اليدين..

كان بوكس الشرطة يغادر البوابة الرئيسية للسجن، وهبة داخل سيارتها تنتظر التفتيش على الجانب الآخر من البوابة.. عشرات الأمتار حتى وصلت إلى الباب الداخلي لليمان.. ومنه إلى منال مباشرة..

سألته عن المرأة.. جاءت أم لا..!؟

فشرحت لها منال ما حدث.. وأن من تريدها في طريقها الآن لقسم

شرطة السادات.

ركضت هبة باتجاه مكتب رئيس المباحث، وطلبت منه أن يتوسط لها

عند ضابط القسم، كي يسمح لها بالحديث مع المتهمه..!

فوافق في الحال بعد أن شرحت له الموقف، وأجرى إتصالاً بزميله الضابط..

حيث أبلغه الأخير أنه في انتظارها، وسيسمح لها بالحديث مع المتهمه كما تشاء..

شكرته هبة وركضت إلى سيارتها، واتجهت مسرعة إلى قسم الشرطة..

القسم يبعد كيلومتر من السجن..

كانت المتهمه تجلس مكبله اليدين في الممر، رمقتها هبة وهي في طريقها لمكتب رئيس مباحث القسم، الذي رحب بها فور وصولها.. ونادى الشاويش أن يحضر المتهمه..

ثم تركهما وحدهما وخرج..!

جلست المرأة في الكرسي المواجه لهبة، مندهشة من هذه التي تحددق بها وهي لا تعرفها ولا قابلتها يوماً ما..

أرادت هبة أن تقتصر الطريق أمام دهشتها وحيرتها.. فقالت

- انتي طبعاً ماتعرفنيش..! ولا عمرك قابلتيني.. علشان كدة أنا

هادخل في الموضوع على طول..!

قالت وهي تحددق بها :

- اتفضلي..

- البننت فين؟

- ١٩٩٩

- الطفلة اللي خطفتها يوم فض رابعة.. استغلّيتي وفاه أمها
وخذتيا..!

تلجلجت:

- أنا معرفش أي حاجة عن الموضوع اللي بتكلمي فيه.. وبعدين فض
رابعة إيه؟! إحنا مالناش في المظاهرات والجوده يا مدام..!

- شكلك كدة مش ناوية تتعاوني معانا.. على العموم كان نفسي
أساعدك وأتوسّلك عند رئيس المباحث علشان يخرجك من قضية
أقل حكم فيها ١٥ سنة..!

قامت هبة واتجهت ناحية الباب.. فأدارت المرأة العرض في رأسها
جيداً..

وقبل أن تفتح الباب لتخرج نادى عليها :

- يا هانم.. يا هانم..!

عادت مكانها قائلة :

- فكرتي

أجابتها :

- أنا بس عاوزة أقولك إني مخطفتش البنّت، بالعكس أنا أنقذتها..
الرصااص كان في كل مكان.. والولعة ماسبتش حاجة.. ولو مكنتش
خذتها كان زمنها محروقة أو ميتة..!

- ممكن تحكي لي اللي حصل؟!!

- أنا وجوزي كنا بنعمل شاي للناس في الاعتصام.. وكنا بنكسب كثير..

وفضلنا لحد آخر يوم.. بس الطمع ملي جوزي ومرديش يمشي..
برغم كل التهديدات اللي بتقول أن الشرطة هتقتحم الميدان..!!
- وبعدين؟

- يوم الفض الصبح.. الشرطة فتحت مخرج، وجوزي حمل العدة وراح يوديها وكان فاضل حاجات بسيطة.. بس الشرطة هجمت ودخلت الميدان..سبت كل حاجة وخذت شنطة الفلوس وجريت!! باتجاه شارع الطيران.. كنت بحاول أمشي جنب الحيطان والأماكن المدارية علشان الرصاص، لحد ما سمعت صوت طفلة بتعيط.. اترددت في الأول، لحد ما رجعت وشلتها من بين رجلين أمها وجريت لحد ما خرجت خالص..
- ليه مسلمتهاش للشرطة بعدها؟

- لأنني الصراحة ما بخلفش.. وكان نفسي في بنت.. ولقيتها فرصة!اعتصام وموت، ووارد جداً أبوها كمان مات ومحدث هيسأل..
دا غير إن سنها صغير.. يعني من الصعب حد يتعرف عليها..!!
- وهي فين دلوقتي؟

- كانت نايمة وأنا خارجة الصبح، فسبتها في الشقة وقلت لجارتي تبقى تطل عليها..!

- فين عنوان الشقة دي؟

- ليه؟

- علسان البنت أهلها موجودين ولازم تروحلهم

- بس...

قاطعتها :

- أظن انتي فيكي اللي مكفيكي، ومش حمل قضية تانية، ولا إيه

رأيك؟!

طأطأت رأسها ونظرت للأرض ثم قالت :

- بس انتي قلتي إنك هتساعديني..

- فين العنوان ومفتاح الشقة؟!

وضعت المرأة يدها في صدرها وأخرجت مفتاح الشقة وأعطته لها..

ركضت هبة باتجاه العنوان الذي تقطن به هذه المرأة..

وفي سيارتها تذكرت الحلم.. البنت.. الحبل المقطوع.. البئر.. توسل

البنت وصراخها.. وصوت حسن «أنقذني يا هبة.. أنقذنيها»

الآن بعد أن وصلت للحقيقة.. علمت كيف ستنقذها..!!

٢٠١٧/٣/١٣ م

- العفو عن ٢٠٣ شاب متهمين بالتظاهر وإثارة الشغب والتجمهر.

- قائمة العفو الثانية تدق أبواب السجون وتعيد الشباب إلى

نسائم الحرية.

- مصادر.. قائمة العفو الثالثة خلال شهر على مكتب الرئيس.

- رئيس مصلحة السجون.. تسلمنا كشف بالاسماء المفرج

عنهم وجاري فحصها والإفراج عنها من باب السجن.

الفصل السابع والثمانون

(العضو)

أمام سجن طره

غمرت الفرحة وجوه أهالي المفرج عنهم، وهم يقفون أمام بوابة
سجن طرة العمومية، في انتظار خروجهم..

لهفة وشوق وترقب..

أعين محدقة في البوابة الحديدية.. تنتظر سماع صوت مزلاقها

وهو يفتح..

في أقصى اليمين وقفت مريم وهبة وفي وسطهما حرية.. بنت

حسن.. معلقة يداها في أيديهما..

لم تسمح لهما الفرصة لأخبار حسن بأمر ابنته؛ ففي اليوم التي

عثرت عليها هبة في شقة الجنائي، صدر بعدها بأيام قلائل قرار

العضو، وأبلغوا هاتفيا أن حسن من ضمن قائمة المعضو عنهم.

جلست هبة مع مريم تشاركها الفرحة في الأيام السابقة، وعلمت

منها أن القائمة تضمنت أيضا خالد وهشام وإبراهيم.. هنأتها

بخروج أخوها.. وهذا من سيكون زوجها.. اليوم يجتمعوا من جديد في

بيت واحد.. من اليوم ستكون معهم حورية.. وحرية.. بيت يظله الحب

وتحرسه السعادة..

وتملؤه براءة حرية بطفولتها وشقاوتها وعنادها..

فُتحت البوابة الحديدية..

إقترب المصورون والصحفيون يلتقطون اللقطات التي تسجل
الفرحة وترفع الشكر.. ستكون لهذه اللقطات السبق في صدارة
الجرائد في الأيام التالية.. لا فرحة بعودة الشباب المظلومين إلى
منازلهم، وإنما لتجسيد التوبة والإنابة والرجوع إلى حضن الوطن..!
في مقدمة الصفوف مندوب مصلحة السجون.. اللواء الموقر..
راسم البسمة على الوجوه.. أتي ليرد الأمانات إلى أهلها.. بعد أن
حكم بالعدل واختار من يستحق الخروج..!!

تبعه الشباب المعفو عنهم.. ملابس ملكي.. وبسمات مستبشرة..
يفتحون أذرعهم لاستقبال من حرموا منهم، وتستعد صدورهم
لاستنشاق الهواء النظيف..
من اليوم سترتاح أجسامهم بعد العناء والنوم على الحصى
والتراب..

لم يعد بعد ذلك أوامر أو نواهي..
انتم من الآن تملكون زمام أنفسكم..
فأطلقوا العنان.. وانعموا من جديد..
وإن كانت هذه الفرحة الغامرة ملأت كافة الوجوه.. إلا أن بعض

القسمات مازالت تعلوها مسحة من الحزن..!

لماذا لا يفرجوا عن باقينا؟!

كيف حالهم الآن وهم ينظروننا؟!

ألا آن الآوآن أن يفرح أهاليهم كما فرحنا؟!
لكن في الوقت فسحة..

فرح مؤقت من المؤكد أن يتبعه فرح دائم..
ونضال في الميدان يتبعه دعاء خلف القضبان..

ارتمت مريم في حضن أخيها.. عادت لها الحياة من جديد..
وسرى في عروقها دفء الأخوة ورحمة الأبوة وسكينة الزوج.. أقامت
عودها من جديد مستندة على أخ قد طال غيابه..
في القرب منها نظرة حانية وبسمة ساحرة أطرتها دموع فرحة..
هبة..

نطق اسمها.. فلم تدعه هذه المرة يتمني أو يفكر، دفنت نفسها في
حضنه..

نست الماضي والحاضر والمستقبل في جنته.. أعادها خروجه إلى
جنتها..

ولما لا وهي من سماها حوريته.. حورية السجن..
مازال في الإطار نسمة.. تبثها براءة طفلة، وتزيلها ببسمة صافية
ولهفة لحنان

.. حرية.. أمسكت بطرف عمتها وشدته..! أنا هنا أنسييتيني؟!
رآها حسن تفعل من خلف رأس تلك التي أذفتها حضنه فنامت..

مد يده لها.. حملها بينه وبين حوريته.. بنتي..!!

خرجت حروف اسمها من بين شفثيه حاملة..

وشاكرة لله الذي أكمل فرحته وجمع بينه وبين حوريته ونسمته

وروحه..!! من جديد...

وختاماً وبعد مرور عدة أشهر

× ياسر - مدير مستشفى السجن سابقا -

تم إخلاء سبيله على ذمة القضية.. وعثر على جثته مقتولاً بجوار إحدى العاهرات في شقة السادات...

× محمد - رئيس مباحث السجن سابقا -

ما زالت النيابة تجدد له الحبس الإحتياطي في قضية قتل علي..
وتم إدراج معلومات جديدة في قضية عربية ترحيلات أبوزعبل،
ففتحت التحقيقات من جديد،

حتى حكم عليه ومأمور سجن أبوزعبل بالسجن لمدة عشر سنوات
مشدد ليقضي مدة العقوبة في سجن وادي النطرون..!

× حاتم - مسير مستشفى السجن سابقا -

حكم عليه في قضية من الداخل بالسجن المشدد لمدة ست سنوات
بتهمة

الإتجار في المخدرات داخل الأسوار..

× مبروك - شاويش السجن سابقا -

ما زال يحاكم بتهمة القتل العمد، واستغلال الوظيفة في التريح غير
المشروع.

× عمر - مريض الليشمانيا ونزيل السجن -

لم يصدر إلى الآن عفو صحي عنه، ووصفت أمه ذلك بالتعنت من
قبل وزارة الداخلية..

لكنه بدأ يتمثل للشفاء، وبدأ طحاله يستعيد عافيته من جديد..
× عادل - مسؤل زلزلة (٧) ونزل سجن العقر (٢) الآن -
ترأس فكرة المراجعات داخل السجن، ونبذ العنف والاندماج من
جديد في المجتمع..

ولاقى فكرته قبول في الداخل والخارج..

× هشام - نزل سجن وادي النطرون (سابقا) -

عاد إلى عمله وترك السياسة..!

× خالد - نزل سجن وادي النطرون (سابقا) -

سلك طريق النضال الناعم، وأنجبت زوجته بنتاً سماها جهاد..

× مجدي الغراب - والد هبة -

شرع في كتابة كتاب جديد بعنوان < صناعة الإرهاب > منطلقاً من

البيئة الخصبة التي تؤهله،

ومستعينا على ذلك بالأبحاث الميدانية واللقاءات والمراجع..

ليضع في فصوله الأخيرة الدواء الفكري لاقتلاع الإرهاب من

جذوره..

× السجن السياسي..

أصبح أفضل من السابق، وتخلي رجال الشرطة عن سياسة البطش..

وبدأوا في سياسة التفاوض، فأعلى جزء من حقوق الإنسان لا بأس

به داخل الأسوار.

× مريم...

نجحت في الامتحانات، وحصلت على تقدير إمتياز، وتركت شقة خالتها وعاشت مع حسن وزوجته..

وتم إعلان خطوبتها على إبراهيم الذي انفصل عن الإخوان وسافر للعمل في الخارج..

لتكوين نفسه من جديد استعداداً للزواج..

× حسن.. هبة..

عمل مهندساً في إحدى الشركات الكبرى، وبعد عدة شهور قدم إستقالته،

وتفرغ للأدب والكتابة.. تزوج من هبة التي وافقته على ترك العمل في الشرطة نزولاً على رغبته..

وفتحت عيادة خارجية..

× حرية..

بدأت تكبر وتترعرع في كتف والديها وظهرت على قسماتها علامات الثورة التي ورثتها من أمها.. سارة.. الله يرحمها..

ومازالت الحرية حبيسة القضبان..!!

تمت بحمد الله..

شكر خاص

- ١- سارة سويلم
- ٢- ليلي مواي
- ٣- عبد الحكيم وجيه
- ٤- م/ خالد غريب